جامعة الزقازيق
معهد الدراسات والبحوث الآسيوية
الدراسات العليا - قسم مقارنة الأديان

عقيدة اليهود فى تجسيد الإله وموقف الإسلام منها

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب
السيد عبد البديع محمد

إشراف

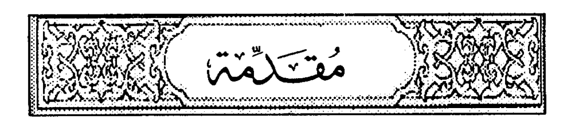
الأستاذ الدكتور
منصور محمد منصور الحفناوى
أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية
بكلية الحقوق جامعة الزقازيق

الأستاذ الدكتور
محمد حسينى موسى محمد الغزالى
أستاذ العقيدة والأديان المساعد
بجامعة الأزهر

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م


قال الله تعالى في كتابه الكريم
سورة الشورى
بسم الله الرحمن الرحيم
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
صدق الله العظيم
الآية ١١

﴿١﴾



مقدمة

الحمد لله تنزهت ذاته ، وعن الأشباه تعالت صفاته ، وعلى سائر المخالفات ثبتت كمالاته ، ﴿ " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " ﴾[١] ،تنزه عن الصاحبة[٢] ، كما تنزه عن الشريك والولد ، فضلا عن الشبيه والكفء المساوى ، أو غير المساوى . قال تعالى ﴿ " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " ﴾[٣] .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله شهادة تنجينا من عذاب الله ، وتجعلنا يوم القيامة فى قبولٍ عنده وتحت هداه ، ليس له شبيه ، ولا قبله قبل ، وليس بعده بعد ، فهو القبل لكل قبل والبعد لكل بعد ، بيده ملكوت السماوات والأرض ، وهو الفاطر لها المبقيها ، ﴿ " فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون " ﴾[٤] ، ﴿ " إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحدٍ من بعده " ﴾[٥] .

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله عرَّفنا كيف ننزه الله ، وبيَّن لنا أنه جل علاه لا يشبهه أحدٌ من خلقه ، فهو المتفرد بالجلال والجمال ، والكمال الذى لا يمكن للعقول أن تتعرف على ذاته ، وإنما يمكنها فقط إثبات وجوده تعالى مع ماله من سائر الكمالات .

يقول الإمام الفخر الرازى[٦] « إن عقول الخلق قاصرة عن معرفة الله تعالى . فكل ما تتصوره النفس فالله بخلافه ، ويرون عن سهل بن سعبد ﷺ أنه سئل عن ذات الله

---

(١) سورة الشورى - الآية ١١ .

(٢) قال تعالى ﴿ " وأنه تعالى حد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا " ﴾ (سورة الجن - الآية ١٣) .

(٣) سورة الإخلاص بتمامها .

(٤) سورة مريم - الآية ٣٥ .

(٥) سورة فاطر - الآية ٤١ .

(٦) هو الإمام / محمد بن عمر بن الحسين الرازى صاحب التصانيف الكثيرة، والعقلية المفكرة الكبيرة من شيوخ أهل السنة والجماعة ، توفى ٦٠٦هـ ، وله مؤلفات كثيرة منها « مفاتيح الغيب ، معالم أصول الدين وغيرها » - راجع رسالة العالمية للدكتور / أحمد محمد على ليله - فكر الإمام الرازى فى النبوات من خلال تفسيره مفاتيح الغيب ومدى توظيفة فى العصر الحديث - مخطوطة بكلية أصول الدين القاهرة ١٩٩٢م .

تعالى فقال « ذات الله موصوفة بالعلم ، غير مدركة بالإحاطـة ، وقـد حجـب الخلـق عـن معرفة كنه ذاته ، ودلهم عليـه بآياتـه ، فـالقلوب تعرفـه والعقـول لا تدركـه ، ينظـر اليـه المؤمنون بالأبصار فى الآخرة من غير إحاطة ، ولا إدراك نهاية »[1] .

قال تعالى ﴿ " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " ﴾[2] ، وفـى الحديـث الشـريف قال ﷺ ((" إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر "))[3] .

وقال الإمام الغزالى رحمه الله تعالى « لا يعرف الله سبحانه وتعـالى كنهه معرفتـه على الحقيقة إلا الله تعـالى »[4] ، وقـد أخبرنـا الرسـول الكريـم ﷺ بذلـك ، كمـا عرفنـا الصحابة الإجلاء بهذا الجانب ، ووقف مفكروا المسلمين عليه .

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليـه وعلـى آلـه الأطـهار ، وأصحابـه الأخيـار ، وأتباعـه رياحين الأزهار ، وأرض اللهم عن آل بيته ، وشيوخنا ، وعلمائنا حملة العلم والدين الذين هم بكتاب ربهم متمسكين ، وبتعاليم نبيـهم مـن المـهتدين ، وعليـها بـالنواجز مـن العاضين ، ومن تبعهم وسلك طريقهم،ونسج على منوالهم ، ونهج نهجـهم إلى أن يـرث الله الأرض ومن عليها وما عليها إلى يوم الدين .

أما بعد

فقد قيض الله لخدمة دينه من أنبيائه ورسله ويقيض أهل العلم به ، وقد يجعل الله فى أهل الضعف مـا يجـبرهم حتـى إنـهم يتطلعـون إلى المعـارف يلتمسـون منـها الخـير ،

---

(١) العلامة فخر الدين الرازى – عجائب القرآن ص١٤٤ – تحقيق الأستاذ / عبدالقادر أحمد عطا (طبعة دار الكتـب الإسـلامية سنة ١٤٠٢/١٩٨٣م)

(٢) سورة القيامة الآيتان ٢٢/٢٣ .

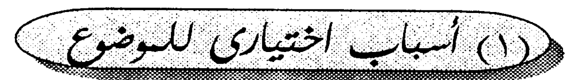
(٣) الدكتور / عبدالعال أحمد عبدالعال – المنهل العذب الفرات فى شرح الأحاديث الأمهات جـ٧ – ط الأولى ١٩٩١م مطبعـة الأمانة ، وهو مروى فى صحيحى البخارى ومسلم .

(٤) الإمام / أبو حامد الغزالى – إلجام العوام عن علم الكلام ص٩٤ – طبعه وحققه الأستاذ / مصطفى ريـاض منشـورات (دار الحكمة بيروت سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)

ويعملون على تقديم ما فيه العلم والمعرفة ، وهم خدمة العلم ، ولا شك أن أشرف العلوم وأذكاها ما كان فى مرضاة الله تعالى ، حتى تتحقق السعادة للناس فى الدنيا والآخرة .

ولماً كنت ممن يسر الله لهم الأمر ، وشرح فيهم الصدر ، وجعلهم من خدمة العلم به ، فإنى أرجو أن أكون معه على العهد باقيا ، وأرجوه السلامة فى الدنيا والنجاة فى الآخرة ، وأن يكون عنى راضياً تفضلاً منه تعالى وبراً وكراماً ورحمةً ، وأن يكرمنا بشفاعة الحبيب المصطفى يوم القيامة .

وها أنا ذا أعرض الخطوات التى سلكتها فى هذا البحث



لما كنت فى مرحلة الدراسات العليا ، وقد قرأت " بقدر توفيق الله " فى مجال مقارنة الأديان ما قرأت فقد رأيت العديد من الموضوعات بحاجة إلى إعادة نظر سواء فى التناول ، أو طريقة العرض ، أو النتائج ، أو المناهج المستخدمة ، باعتبار أنها من مطروحات الفكر ، وهى مما يبذل فيها الباحث ما وسعه من جهد .

غير أن فكرة تجسيد الإله فى الديانات المصرية والصينية وغيرها من الهندية واليونانية كان واضحاً ، وكنُت أظنها مجرد أفكار ، فلّما وقعت على العهد القديم وبدأت أقرأ فى شروحه ، وما أنتجته رءوس مؤلفيه إذ بى أعثر على قاعدة مشتركة بين ما يقول به الوثنيون ، وما يقول به دعاة العهد القديم وشراحه .

وهنا انتابنى أسئلة كثيرة راحت تجول فى رأسى ، وتطرق مسامعى بقوة وعنف ، بل فرضت نفسها على عقلى فرضا ، حتى لم يعد من السهل التخلى عنها إلاّ بدراسة موضوعية تبينها .

وكان من تلك الأسئلة ما يلى :-

هل يمكن أن تكون اليهودية كديانة قد اقتبست عقائدها من الديانات الوثنية ؟[1]

---

(١) نحن نرى التفرقة بين اليهودية كديانة جاءت مع موسى عليه السلام لبنى إسرائيل وكتابها الأصلى التوراة ، وبين اليهودية السياسية التى أقام بإنشائها الحاخامات ورجال السياسة .

- هل يمكن أن تكون اليهودية الحالية هى نفسها اليهودية الديانة الموسوية التى جاء بها سيدنا موسى كليم الله لبنى إسرائيل ؟
- هل يمكن أن يكون العهد القديم الموجود بأيدى القوم الآن ويختلفون كل الاختلاف فى تسميته ووصفه وعدد أسفاره ، هو نفسه التوراة التى أنزلها الله على موسى الكليم ؟
- هل يمكن أن توجد ديانة مشروعة من قبل الله تعالى يأتى بها نبى ، ثم تصف الله جل علاه بأشد الصفات خبثا وانحطاطا ﴿ " تعالى عن قولهم علوا كبيرا " ﴾ وتدنيا من حيث الذات المجسدة والنفس الضعيفة المتهاوية ؟

تلك الأسئلة وغيرها كان مما دار برأسى ، فاستخرت الله تعالى ، ورأيت من الصواب التقدم بهذا الموضوع لتسجيله كرسالة علمية ، غير أننى سأكون بحاجة إلى ميزان أعرف به الصواب من الخطأ ، وذلك يدفعنا إلى ضرورة أن تكون الدراسة فيها شيء من المقارنة ، فكان الموضوع هو " عقيدة اليهود فى تجسيد الإله وموقف الإسلام منها " .

ومن المعلوم لدى دارسى مقارنة الأديان أن العقائد اليهودية تتعدد بتعدد الطوائف ، كما تتعدد بتعدد الأماكن والمصادر التى تستقى منها ، وذلك كشف عنه زملاؤنا فى قسم تاريخ الأديان ، فهم الذين يعنون بذلك الجانب .

ولما كان العهد القديم توجد فيه نصوص كثيرة تتعلق بمسائل غاية فى الصعوبة ، ليس من اليسير على العقل الوقوف بها عند شاطئ الأمان ، فيما يتعلق بذات البارى جل علاه ، فقد رأيت أن ذلك الموضوع بحاجة إلى دراسة موضوعية متأنية ، كما أن إدخال هؤلاء أفكارهم الشخصية فى مجال الغيبيات ، وهم ليسوا على مستوى الخوض فيها ، قد أغرقهم فى نتائج سلبية ، حتى دفع الكثيرين إلى محاولة التعرف على المصادر التى استقوا منها تلك النتائج ، ولذا كان اختيارى لذات الموضوع .

(٢) منهجى فى البحث

من المعروف أن كل علم له طرائق يُبْحَثُ فيها عنه ومناهج تستعمل أثناء السير فيه ، ولا شك أن هذا الموضوع يحتاج عقلا واعيا حتى لا يلتفت إلى فرعيات تاركا الأصول ، وهو ما يعرف بمنهج التزام الموضوعية يقول الإمام الغزالى « فجانب الالتفات إلى المذاهب واطلب الحق بطريق النظر لتكون صاحب مذهب ، ولا تكن فى صورة أعمى تقلد قائداً يرشدك إلى طريق وحولك ألف مثل قائدك ينادون عليك بأنه أهلكك ، وأضلك عن سواء السبيل ، وستعلم فى عاقبه أمرك ظلم قائدك لك ، فلا خلاص إلاَّ فى الاستقلال »[١] ، وهو المنهج الذى حاولت السير عليه من ناحية تناول الأفكار .

بيد أن تناول جزئيات البحث نفسه وأعنى بها جزئيات الفكرة المعروضة قد احتاج فى المعالجة إلى منهج التحليل والتركيب .

- **فالتحليل** : هو الذى أقوم فيه بدور الراصد للفكرة ، من خلال المؤلفات التى صحت نسبتها لأصحابها عندهم ، ثم أقوم بتحليلها على النواحى الممكنة ، ثم أعود إلى صياغتها مشترطا على نفسى عدم التخلى عن الثوابت العلمية القائمة .

- **أما التركيب** : فهو الذى أقوم فيه بتركيب ما حللته منها ، حتى أبصر هل أسقطت شيئا على سبيل السهو والنسيان فأعيده إلى مكانه ، بحيث يمكن أن يخدم قضاياها ، أم أنى كنت موفيا لها فجاءت النتائج حسبما أدلت به المقدمات ؟ مترسما خط العلامة الشهرستانى رحمه الله حيث يقول « وشرطى على نفسى أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته فى كتبهم ، من غير تعصب لهم ، ولا كسر عليهم »[٢] ، وهو ما قبسه الشيخ من قوله تعالى ﴿ " قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " ﴾[٣] .

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالى – ميزان العمل ص٤٩ (طبعة الكليات الأزهرية) .

(٢) الإمام عبدالكريم الشهرستانى – الملل والنحل جـ١ – المقدمة الثانية ص١٤ – تحقيق الأستاذ عبدالعزيز الوكيل (طبعة الحلبى) .

(٣) سورة البقرة – الآية ١١١ .

غير أن منـهج التحليـل والـتركيب مـع الـتزام الموضوعيـة كـان بحاجـة إلى المنـهج التاريخى ، حتى نتابع الفكرة من جذورها ، ونرقبها فـى مطالعـها الأولى ، بحيـث نـرى هل هى امتداد لفكر كان له وجود فى الماضى ؟ وهل لها استمرار فـى الحـاضر ؟ وهـو مـا يعرف بالتأثير والتأثر ، أم انقطع الأمر بها عند نقطة البدايـة ، ثـم يـأتى منـهج المقارنـة حتى نتعرف الأصول التى قامت عليها الفكرة ، على سبيل المقارنـة والمناقشـة لهـا بـالنقل والعقل ، أو بأى منهما ، متى كان ذلك كافيا .

إذن المناهج المستخدمة فى تلك الدراسة هى :

[١] المنهج التحليلى .

[٢] المنهج التركيبى .

[٣] المنهج التاريخى

[٤] المنهج المقارن .

(٣) الخطوات المتبعة

لا شك أن هذا البحث لم يكن ليكتمل فجأة ، أو لينهض فى برهة أو يستقيم بين غمضة عين وانتباهتها ، وإنما استغرق مراحل عديدة ، واسـتنفذ طاقـة كبـيرة ، وقطعـت اليـه خطوات متعددة نذكر منها :-

[أ] القراءة العامة الشاملة فى كل ما يمكن أن يخدم الموضوع ، ثم القراءة المتخصصة علـى الناحية الفنية الدقيقة ، بحيث يكون التخصص على جهة مقبولـة باعتبـار الدراسـة والمنهج طبقا لما استقر لدى علماء مناهج البحث[١] .

[ب] الأعداد والتجهيز مع التحضير لكل ما تم من قراءة ، ومعناه « إفراغ حصيلة القـراءة فى قالب منهجى منظم طبقا لخطة البحث التى أقوم بها »[٢] .

---

(١) راجع الدكتور / أحمد شلبى - كيف تكتب بحثا أو رسالة ، فقد تعرض فيه للعديد من المسائل التى تعين علـى السـير فى دروب الأبحاث المختلفة ، وكذلك غيره ممن اهتموا بتلك الناحية .

(٢) الدكتور / محمد عبدالستار نصار - المدرسة السلفية وموقف رجالها من علمى المنطق والكلام ص١٣ (الطبعة الأولى ١٩٧٩م)

[جـ] النقد والموازنة المستمرة بين الآراء والأفكار المطروحة مع ضرورة التحليل الذاتى للفكرة فى حدود اللفظ المنطوق به ، والمعنى الذى يجرى فيه .

[د] وضع الأفكار التى تم نقدها وموازنتها داخل مجموعات منفصلة مع بيان القائلين بها بعد عرضها ، ثم مناقشة تلك الأفكار بعد إثبات مواطنها من كتبهم التى بأيديهم .

[هـ] محاولة استجلاب بعض المعانى التى أمكننى الوقوف عليها من داخل الفكرة المطروحة ذاتها ، طالما كانت تلك المعانى تخدم ذات الفكرة ، أو تخدم المنهج العلمى ، أو تحقق نتائج من الضرورى الانتهاء إليها ، أو الوقوف بها عند ناحية معينة .

ولما كان هذا البحث قد استغرق تناوله العديد من النواحى ، وهى التى جاءت على العديد من الجهات أبرزها :-

- **الأولى** :- من ناحية الشكل العام الذى تم عليه بناء البحث .
- **الثانية** :- من ناحية الموضوع الذى أمكننى بحثه فى حدود مقارنة الأديان .
- **الثالثة** : من ناحية المنهج الذى حاولت استخدامه ، سواء كان ذلك باختيار منى ، أو دفعت اليه ضرورة البحث العلمى فى ذات الموضوع .
- **الرابعة** :- من ناحية الأسلوب والصياغة ، بحيث لا تكون هناك صعوبة فى تناول الآراء ، أو شيء من العسر فى عرض مفردات الفكرة ، التى حاولت عرضها بشيء من الحيدة .
- **الخامسة** :- من ناحية تناول الأفكار والآراء المطروحة ، التى لابد فيها من الرجوع إلى المصادر الموثقة ، التى يعتمد عليها أصحابها ، وتجرى فى مجال مقارنة الأديان .
- **السادسة** :- من ناحية المراجعُ والتصنيف وفهرست الموضوعات التى جاءت فى صلب هذا البحث على النحو الذى سيطالعه القارئ الكريم إن شاء الله تعالى .

وسأكتفى بالحديث عن بعض تلك النواحى :-

أولا : من ناحية الموضوع

الفصل الأول : التحليل العنوانى للبحث

قمت فيه بتعريف الألفاظ التى جاء عليها العنوان ، وهى ألفاظ :-

[١] العقيدة

[٢] اليهود

[٣] التجسيد

[٤] الإله فى كل من اللغة والاصطلاح .

وذكرت كذلك المسائل المتعلقة بهذا الجانب ، ثم قدمت على الناحية اللغوية تعريفا مقتبسا ، يجمع المعانى فى كل مفردة منها ، وكذلك صنعت على ناحية الاصطلاح .

الفصل الثانى : التطور التاريخى لعقيدة التجسيد الإلهى :-

نهضت أبحث فى المصادر فرأيت أن عقيدة تجسيد الإله وردت فى الديانات الوثنية قديما ، ومن تأثر بهم حديثا(١) ، وإن لم أكن قد تناولت المتأثرين بهم حديثا على سبيل العد الحصرى الذى يستلزم التصريح ، فقد ألمحت إلى ذلك بقدر ما سمحت الإشارة ، باعتبار أنه خارج نطاق موضوع الدراسة .

كما أنى قد رأيت تلك العقيدة لدى المصريين القدماء فى تجسيدهم للإله ، وذلك واضح فى الصور التى طويناها داخل صفحات هذا البحث ، كما ظهرت لدى الكلدانيين(٢) ، فى تمثلهم لإلههم المجسد على العديد من الصور .

---

(١) آمل أن يقوم باحث بدراسة أثر عقيدة التجسيد الوثنية على بعض الناس فى الوقت الحاضر فقد تظهر جماعات كثيرة ربما تنتسب إلى الدين أو تلحقه ، وهو عنها بعيد أو منها براء .

(٢) هم الذين ينتسبون إلى " كلديا " إحدى المدن التى كانت لها حضارة فى الماضى ، باعتبارها جزءا من بلاد الرافدين .

في نفس الوقت فإن بلاد الرافدين كان أهلها على هذا النمط يسيرون ، ولم يقف الأمر بالتجسيد عندهم ، بل امتد إلى الهنود ، وبلاد الإغريق وإن اتخذ الأمر صورا مختلفة ، فإن القاسم المشترك بينها جميعا هو تجسيدهم للإله على ناحية من النواحي .

الفصل الثالث : مراحل اليهودية :-

وهذا الفصل قد أتاح لى الوقوف على أن اليهودية قد مرت بمراحل ثلاثة :-

- المرحلة الأولى :- التى كانت فى عهد سيدنا موسى ﷺ كنبى من عند الله مرسل ، والى قوم بعينهم مخصوصين ، ثم الكتب السماوية التى صاحبت تلك المرحلة وهى التوراة[1] ، والألواح [2] ،الصحف [3] ، وأبرز سمات العقيدة فيها وهى التى يمكن النظر فيها إلى اليهودية باعتبارها ديانة سماوية .
- المرحلة الثانية :- وهى التى جاءت فى أواخر عهد سيدنا موسى ، واستمرت معه حتى نهاية دعوة سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام ، حيث بات الانحراف فيها واضحا ، سواء فى الكتب أو الأفكار ، وعرضت سمات العقيدة فى تلك المرحلة ، كما ألمحت إلى بعض الفرق التى ظهرت فيها ، والتى مهدت للمرحلة التالية لها .
- المرحلة الثالثة :- وهى التى كانت قبيل نزول القرآن ، عندما أيقن اليهود قرب مبعث رسول الله سيدنا محمد ﷺ ، ويمكن أن نسميها " مرحلة اليهود عند نزول القرآن " ، وهى المستمرة إلى يومنا هذا ، وعرضت كذلك سماتها والمنهج المستخدم فى تناولها ، والنتائج التى رأيتها تنطبق عليها ، وقد بان لى أنها - الثانية والثالثة - قد مهدتا لنقل التجسيد الإلهى عندهم ، فى كل صورة ، وجعلتا الخيالات والأساطير مدونة فى نصوص يرتلونها ، وأسفار يتبادلونها ، ومعابد يتنقلون بها إليها ، وذلك كله مما هو مدون فى صلب البحث .

---

(١) قال تعالى ﴿ " إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور " ﴾ (سورة المائدة - الآية ٤٤)

(٢) قال تعالى ﴿ " وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء " ﴾ (سورة الأعراف - الآية ١٤٥) .

(٣) قال تعالى ﴿ " إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم موسى " ﴾ (سورة الأعلى - الآيتان ١٨/١٩) .

۞ الفصل الرابع : تجسيدهم للإله فى صورة البشر المتكامل :-

وقد رأينا أن التجسيد للإله عندهم فى صورة البشر جاء على أنحاء شتى :-

- تجسيد على وجه التكامل ، وكانت له مظاهر عديدة ، جاءت فى تجسيد الهيئة ، حين صورته بأنه رجل حرب ، وتجسيد الحركة باعتبار النزول والوقوف ، والسير للأمام ، والارتداد للخلف ، والانحباس فى أعمدة السحاب ، إلى غير ذلك مما هو وارد فى كتبهم ، بل والتعب الذى هو نتيجة استنزاف الطاقة إلى غير ذلك من الوجوه التى تأتى فيها مظاهر التجسيد غير قابلة للتأويل والحمل على المجاز .

- التجسيد المتجزئ :- وأعنى به تجسيدهم للإله فى صورة بشر متجزئ، وقد رأيت أنهم يجعلونه فى أجزاء عديد منها :-

- تجسيد الوجه ، تجسيد العين ، الأنف ، الأذن ، الفم ، الرأس ، إلى غير ذلك مما هو معروف بتجسيد الجوارح عندهم عرضا ومناقشة على الناحية اللغوية والعقلية والنقلية ، وربما أيضا عن طريق المستجدات العلمية ، وانتهيت فى ذلك كله إلى ضرورة إثبات التنزيه للإله ، ورفض كافة الأفكار المخالفة له على الناحية العقدية .

۞ الفصل الخامس : تجسيدهم للإله فى العلاقات الجسدية والرغبات :-

وقد تناولت فيه العلاقات الجسدية التى وصفوا الله تعالى بها ، ومنها الولادة ، وما يتبعها وطالبتهم إثبات الدليل عليها من النقل المعصوم ، أو الحكم العقلى الصحيح ، أو العادة المتماثلة ، ثم بينت الحكم الشرعى فى المسألة ، وأن دعواهم كذوب ، ولا يوجد دليل واحد على قبولها .

- تجسيد الرغبات :- اقتصرت فيه على تصوير وعرض تجسيدهم للإله فى بعض الرغبات التى وجدتها عندهم أكثر شيوعا فى كتبهم ، وانتشارا ، بل وجدت لديهم المزيد من الحرص عليها ، وذكرت منها الحزن والخطأ والندم ، كما تعرضت للغيظ والخوف ، وفى كل منها حاولت التعرض لمعانيها فى اللغة أولا ، باعتبار أنها ثوب

المعنى ، كما سلكت سبيل الاصطلاح ، ويعلم الله أنى ما قصرت في عرض الفكرة عندهم ، ومناقشة لها من جانبى ، وبينت فى كل جزئية منها ما يمكن قبوله ، وما لا يمكن على النواحى التى يعتمد عليها منهج دراسة مقارنة الأديان ، ثم كانت النتيجة ، أن ما ورد عندهم من تجسيد للإله فى العلاقات الجسدية أو الرغبات لا يمكن قبوله على الله تعالى أبدا ، لأن الله تعالى المنزه جل علاه ، لا يكون متجسدا أبدا ، حتى ولو فى المفاهيم .

الفصل السادس : تجسيدهم للإله فى صورة الحيوان

لم يقف تجسيد القوم للإله عندهم على صورة بعينها ، وإنما كما جاء تجسيدهم له فى صورة الإنسان ، فقد جاء كذلك فى بعض صور الحيوان ، والنبات والجماد ، والكائنات الأخرى ، وحيث قصرنا الفصل السادس على بيان تجسيدهم للإله فى صورة الحيوان ، فقد اقتضانا ذلك أن نقسمه إلى :-

[أ] تجسيدهم للإله فى صورة العجل :-

وقد عرضنا من نصوصهم المعتمدة عندهم ، ثم ناقشتها من النواحى اللغوية والتاريخية والشرعية ، وما حكمت به العادة ، ثم قدمت ما يمكن اعتباره استشعاراً أو اعتراضا على مناقشتى لهم ، وأجبت عليه ، مما يؤكد حرصى الشديد على الموضوعية ، والتزامى بها بغض النظر عن النتائج ، وكل ذلك واضح فى صلب البحث .

[ب] تجسيدهم للإله فى صورة الحية

وقد بان لى أنهم يستخدمون الحية كصورة ومظهر يبدو فيها الإله ، وأنهم جعلوا تلك الحية فى صور شتى ، بعضها يصنع من مواد لها بريق المعادن كالنحاس ، وبعضها يصنع من غيرها ، وعرضت ذلك كله عندهم ، ثم ناقشت تلك الفكرة فى حدود ما أدلت به

مصادرهم والظروف النفسية التى عاشوها ، وقد كشف لنا ذلك عن عشق القوم للوثنية ومخالفة الحكم الشرعى[١] ، حتى صار ذلك عادة لهم يصعب عليهم التخلى عنها .

❁ الفصل السابع : نتائج ختامية

وفيه حاولت رصد بعض النتائج التى يمكن تفريعها أو تقسيمها إلى جزئيات أصغر ، وهى التى كنت أحرص عليها أثناء بنائى لجزئيات البحث ، فكلما أمكننى الوقوف على نتيجة حاولت جعلها فى مكان بعيد ، حتى إذا خلصت إلى غيرها وضعتها بجانبها ، حتى تكون تلك النتائج بديلا عن فصل أخر هو التأثير ، وكان لذلك أمر مهم من وجهة نظرى ، ثم جاءت الخاتمة ، وفيها عرضت للنتائج على سبيل الالتقاط لتلك التى رأيت أنها لم تذكر داخل النتائج الختامية ، ثم ذكرت التوصيات والمقترحات التى رأيت الحاجة ماسة إليها ، من وجهة نظرى أملا أن أكون قد وفقت فيما ذهبت إليه .

ثانيا : من ناحية المعالجة (المنهج)

- وقد قامت تلك المعالجة عندى على نقاط :-

- **الأولى :- معالجة وسائل البحث** فى حدود الوسائل الممكنة ، والألفاظ المستخدمة . إذ لا قيمة لمعالجة موضوع لا يمكننا التعرف على الوسائل الموصلة إليه ، أو المسائل التى تقف عنده ، فنال ذلك منى عناية فوق عنايتى بالمنهج المستخدم نفسه .
- **الثانية : مصادر البحث** :- حاولت تتبع المصادر الأصلية ، وبخاصة فى كتب مقارنة الأديان ، إذ نحيت كتب التاريخ ، فلم أجعلها أصلا أو مصدرا أتعرف منه على العقيدة اليهودية ، وإنما كنت حريصا على أن تكون المصادر فى حدودها ، فما كان أصليا استبقيته وجعلته العمدة ، وما كان غير ذلك جعلته فى مكانه ، وقد

---

(١) لا أقصد بذلك أنى تعجلت ، وذكرت النتائج قبل البحث فأكون قد صادرت على المطلوب ، وإنما فعلت ذلك باعتبار أن المقدمة أخر ما يكتب فى الرسالة ، ولما كان الأمر كذلك فلا شك أن ذكرى لذلك فى المقدمة لا يمثل حكما بقدر ما يمثل استعادة ذكر نتيجة .

حرصت على تدعيم البحث بالمصادر ما أمكننى إلى ذلك من سبيل ، ويعلم الله أننى لم أدخر جهدا فى تلك الناحية .

ثالثا : من ناحية الصياغة والأسلوب :

ألزمت نفسى طريقة الحوار الموضوعى الهادىء، واعتبرت المخالف لى فى النظر صاحب رأى ، من حقه أن أعرض وجهة نظره ، باللغة والأسلوب والصياغة ، التى تمكن هو منها ، لذا فقد جاءت الألفاظ المستخدمة بقدر المعانى المطلوبة ، بحكم أن ذلك أولى ، وفى نفس الوقت حاولت التخلص من عواطفى الشخصية ، والرغبة فى إصدار الأحكام المسبقة والتخلى عن الاتهامات الخاطئة ، وأحمد الله جل علاه أن وفقنى إلى ذلك الطريق ، فهو أقوى وأقوم ، وهو هدى ديننا الحنيف .

رابعا : من ناحية ترتيب المصادر وتصنيفها وفهرست الموضوعات

لا أظن أنى رجعت إلى مصادر محدودة ، ولا أزعم أنها بلغت حد الكثرة المجهولة ، وإنما كل ما أستطيع قوله ، هو أنى رجعت إلى العديد من المصادر والمراجع ، وكذلك العديد من الرسائل الجامعية المخطوط منها والمطبوع ، وكذلك غيرها من المصادر مما هو موجود بهوامش صفحات البحث ، لكنى لم أثبت منها إلا ما تم الاقتباس منه بطريق مباشر على ناحية النقل المتاح علميا .

أما عن التصنيف للمصادر ، فقد راعيت فيه الترتيب العلمى المستخدم فى نطاق مقارنة الأديان ، وعلى حروف المعجم أيضا ، مراعيا ذكر اسم الشهرة للمؤلف أولا بعد تجريده من حرف " الـ " إن كان فيه " الـ " ، ثم ذكر اللقب العلمى له ، ثم الاسم والنسب ، وأخيرا سنة الوفاة إن وجدت ،

بادئا ذلك كله بالقرآن الكريم وعلومه ، ثم السنة النبوية المطهرة وعلومها ، وبعد ذلك المعاجم العربية والرسائل العلمية ، وأخيرا ذكرت المصادر العامة على ما هو مبين فى

صحيفة المصادر بنهاية هذه الرسالة ، وقد نبهت إلى ما رجعت اليه مخطوطا مرة ومطبوعا أخرى .

وإني لأشكر الله تعالى رب العالمين ، أن هدانى لهذا ، فهو صاحب الفضل والمنة والإحسان ، وإنى لطامع فى عفوه جل علاه ، أن يغفر لى ما أكون قد وقعت فيه من سهو أو غفلة فأنا بشر يخطئ ويصيب ﴿ " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب " ﴾[1] .

وبعد هذه المقدمة فإنى اسأل الله رب العرش العظيم ، أن يكون البحث قد جاء على الناحية التى ترضيه جل علاه ، وأن يجعل هذا العمل مقبولا ، وأن يشرح صدرى وصدر إخوانى للخير ، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، إنه سميع مجيب .

ولا شك أن هذا البحث كشأن ما يقوم به البشر لن يخلو من أخطاء ، أو ملاحظات ، فالعصمة لا تكون إلا لمن عصمه الله تعالى من أنبيائه ورسله ، وكل ما أقوله أنه مجهود متواضع بذلته ، وما أردت به إلا وجه الله ﴿ " وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد " ﴾[2] .

وإنى لمدين بكل الشكر والتقدير والعرفان بالجميل لمعلمى الكبير ، وأستاذى العظيم الأستاذ الدكتور / منصور محمد منصور الحفناوى – أستاذ ورئيس قسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة الزقازيق الأزهرى الأصيل ، والعالم الكبير الذى أشرف على رسالتى المتواضعة ، رغم أعبائه الكثيرة ومشاغله المتعددة ، فله منى الشكر ومن الله الأجر .

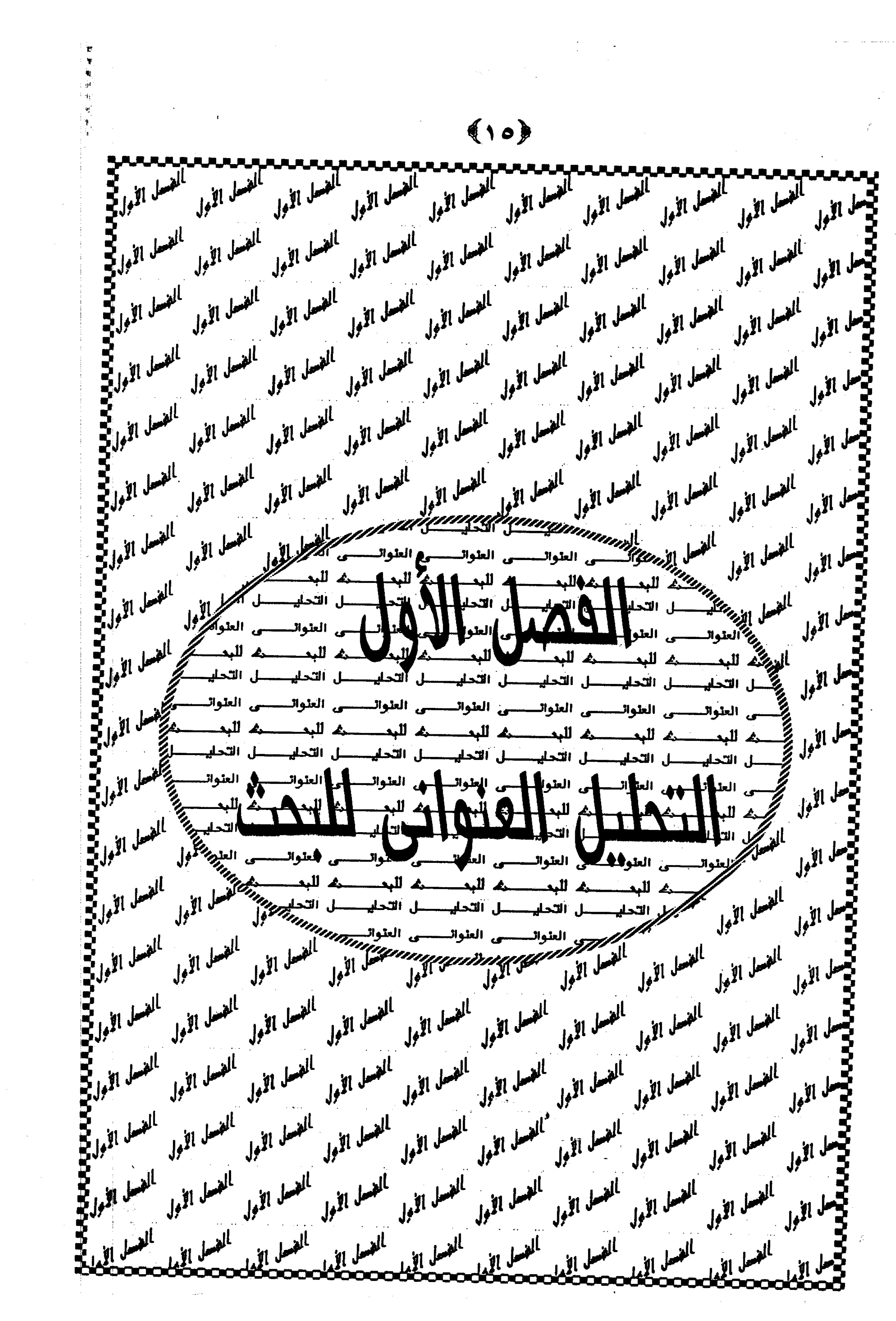
وكذلك خالص شكرى لأستاذى المفضال الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – أستاذ العقيدة والأديان بجامعة الأزهر ، فإنى اسأل الله أن يعينه على ما هو فيه ، وأن يبارك له حتى يستمر فى عمل الخير إنه نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) سورة هود – الآية ٨٨ .

(٢) سورة غافر – الآية ٤٤ .


الفصل الأول
التحليل العنواني للبحث

أولا : تعريف العقيدة فى اللغة والاصطلاح

[أ] فى اللغة :-

وردت مادة " ع ق د " فى القرآن الكريم حوالى ست مرات تقريبا[١] ، كما وردت مادة الكلمة فى لغة العرب على أنحاء شتى ، ومعان متعددة ، نذكر منها :-

- **المعنى الأول : ما عقد عليه الأمر :-**

ومنه قولهم : " عقد فلان الأمر " بمعنى انعقد عليه قلبه وضميره ، فلم يخرج عنه ، وصار بالنسبة له عقيدة يراعى ظروفها ، ويحافظ عليها متمسكا بها[٢] .

- **المعنى الثانى : ذات الأمر المنعقد :-**

ومنه قول العرب : " تعاقد القوم فيما بينهم " ، وصار ذلك الأمر قاسما مشتركا يجرى فى قلوبهم مجرى العقيدة فى النفوس ، بحيث لا يخرجون عليه ، ولا يتراجعون عنه[٣] .

- **المعنى الثالث : ما يدين به الإنسان :-**

سواء كان ذلك من قبيل الاعتقاد كعقيدة وجود الله تعالى ، أو كان من قبيل الارتباط الشرعى كعقد النكاح[٤] .

ومنه قوله تعالى ﴿ " ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله " ﴾[٥] .

---

(١) وقد تكفل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بإحصائها - الأستاذ / محمد فؤاد عبدالباقى - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم " مادة عقد " ص٤٦٨ - مكتبة الغزالى - دمشق .

(٢) المعجم الوجيز - باب العين ص٤٢٦ (طبعة ١٩٩٤م - مجمع اللغة العربية) .

(٣) الإمام / محمد بن أبى بكر عبدالقادر بن الرازى - مختار الصحاح - باب العين ص٤٤٥ (الطبعة الأميرية - مصر ١٩٧٥م)

(٤) العلامة أحمد بن محمد بن على المقريزى - المصباح المنير ص٥٠١ (الطبعة الثانية ١٩٠٦م) .

(٥) سورة البقرة - الآية ٢٣٥ .

- **المعنى الرابع : الالتزام الخالى عن الشك والظن :-**

ومنه قول العرب : " عقد فلان كذا " بمعنى أنه صار موثقا لا يقبل الشك مع الالتزام به[١] ، وجمعه عقائد ، لأنه قصد به ذات الاعتقاد ، وربما يسمى عقودا من قبيل أنه صار خاليا من أوجه الطعن عليه سواء كان فى المعاملات أو غيرها ، فهو اسم عام شامل ، وسواء تعددت أطرافه أم لم تتعدد .

- **المعنى الخامس : التعاهد والمضى فى المسألة حتى النهاية :-**

ومنه قول العرب : " تعاقد القوم على الأمر بمقاتلة الأعداء حتى الغلبة ، مهما كان حلف الآخرين قويا "[٢] .

أو التصالح مهما كانت شوكة المخالفين أو أصوات المعارضين ، وربما سمى موضوعه لدى العرب قديما بالأحلاف التى منها حلف الفضول ، وحلف المطيبين وغيرها من الأحلاف التى كانت عند العرب قبل الإسلام[٣] .

- **المعنى السادس : الانغلاق النفسى والتهيأه لفعل الشر :-**

ومنه قولهم " عقد فلان ناصية رأسه إذا غضب فانغلق وتهيأ للشر سواء كان دافعا له أو مبتدئا به[٤] ، حتى إنه ربما لا يتنازل عن ما عقد نفسه عليه إلا مكرها .

- **المعنى السابع : البناء للمنزل أو الأسرة أو البيعة[٥] :-**

يقال : " عقد فلان أصل داره" ، ومعناه ابتدأ فى وضع اللبنات الأولى ، وعقد على زوجه حتى يبتنى بها ، " وعقد بيعة " بمعنى أنه انتهى معه إلى أمر ، ومنه ما يستقر فى الضمير والقلب ، ويؤمن به الإنسان[٦] .

---

(١) المعجم الوسيط ص٦٣٧ - جـ٢ مجمع اللغة العربية (الطبعة الثالثة ١٩٨٥) .
(٢) ابن منظور - لسان العرب المحيط جـ٢ ص٨٣٥ ، إعداد / يوسف الخياط - دار لسان العرب بيروت .
(٣) راجع سيرة النبى لأبن هشام ، والروض الأنف للعلامة السهيلى ، وحلف الفضول عند العرب وأثره فى العصر الحديث للدكتور / محمد الغزالى .
(٤) الأستاذ الطاهر أحمد الزاوى الطرابلسى - مختار القاموس ص٤٣٠ (الطبعة الأولى ١٩٦٤م - دار لسان العرب بيروت) .
(٥) العقد فى شريعة الإسلام يعقبه الدخول ، وهو الابتناء مادامت فى غير ملك اليمين أما ملك اليمين فإن الأمر معها يختلف ويعتبر الابتناء هو الدخول الذى يتمكن به الزوج من زوجته .
(٦) الإمام الزمخشرى - أساس البلاغة ص٤٢٩ دار الفكر ، وأبو منصور الأزهرى - تهذيب اللغة جـ١ ص١٩٦ ط الأولى .

- **المعنى الثامن : العزم القوى :-**

ومنه قولهم : " عقد فلان عزمه ليبطل عمل غيره " ، وربما نستأنس لذلك المعنى بقوله تعالى ﴿ " ومن شر النفاثات فى العقد " ﴾[١] ، لأن الساحر يعقد عزمه على إبراز قوته والإضرار بغيره[٢] ، ولذا فإن الفقهاء قد حرموا السحر وجعلوا للساحر الذى يفرق بين المرء وزوجه حدا ، فإن تاب لم يقم عليه الحد ، وإلا فإنه يقتل حدا[٣] .

- **المعنى التاسع : الاقتناء والسمة الغالبة :-**

ومنه قولهم : " عقد فلان العقار " بمعنى تملكه واقتناه ، وكذلك " عقد الولاية "[٤] ، لأن صاحبها تغلب عليه سمة القرب من الله ، والقيام بالواجب الذى يرضيه جل علاه ، أو الابتعاد عنه لقربه من الشيطان ، أو انعقاد أمر الأمة عليه حتى يكون قائدا لها[٥] .

- **المعنى العاشر : الصعوبة البالغة :-**

قالت العرب : " هذا كلام غامض " ، ومعناه أنه معقد لا يفهم إلا بصعوبة ، سواء كان ذلك عند المتحدث به ، أو المستمع له[٦] ، أما كونه مهملا ، أو كونه غير مرتب فى الوضع ، أو جاء عاليا عن الأفهام التى تستقبله .

---

(١) سورة الفلق – الآية ٤ .

(٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم جـ٢ ص٢٣٣ مجمع اللغة العربية – الطبعة الثامنة – الهيئة العامة للتأليف .

(٣) مما أفاض فى ذكر هذه الأحكام العلامة الشيخ / عبدالرحمن الجزائرى فى كتابه القيم الفقه على المذاهب الأربعة جـ٥ .

(٤) وردت نصوص كثيرة فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، تتحدث عن الولاية من الناحية الروحية الإيمانية ، وليست الولاية من الناحية السياسية ، التى عنى بها علماء المسلمين ، وذلك أن الولاية الروحية تمثل نوعا من القرب أو البعد عن الله ، فولاية القرب من الله يتمثلها الأصفياء لله ، قال تعالى ﴿ " ذلك بأن الله مولى الذين أمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم " ﴾ (سورة محمد الآية ١١) ، أما الولاية بمعنى البعد عن الله فهى ولاية الشيطان . قال تعالى ﴿ " والذين كفروا أوليائهم الطاغوت " ﴾ (سورة البقرة – الآية ٢٥٧) ، أما الولاية السياسية فهى انعقاد الأمر فى قيادة جماعة المسلمين على رجل بعينه – راجع فى هذا الشأن " الاقتصاد فى الاعتقاد " للإمام الغزالى – الجزء الأخير ، وكذلك " مقاصد الطالبين فى أصول الدين " للإمام السعد التفتازانى .

(٥) الأب بطرس البستانى – قطر المحيط ص١٤٠٥ – مكتبة لبنان ١٨٦٩م .

(٦) الأب لويس معلوف – المنجد فى اللغة والعلوم والأدب ص٣٥٥ بيروت ١٩١٣م .

مما سبق اتضح أن مادة ٠ ع ق د ٠ جاءت فى اللغة العربية على العديد من الصيغ والكثير من الاصطلاحات ، بجانب العديد من المعانى ، مما يجعلنا نحكم مطمئنين بأن الكلمة لها فى اللغة العربية وضع متميز يدفعنا إلى تقديم تعريف شامل يلم تلك الأطراف التى جاءت عليها المعانى .

تعريف الباحث

والدارس يرى ضرورة وجود تعريف للفظ العقيدة على الناحية اللغوية ، يجمع بين المعانى السابقة . فما هو ؟

والجواب :- أن العقيدة هى الأمر المنعقد فى صدر صاحبه الملتزم به الغالب عليه ، فلا ينفك عنه إلا بصعوبة بالغة[١] .

(ب) فى الاصطلاح[٢] :

إذا كنا قد فرغنا من تعريف العقيدة فى اللغة ، باعتبار أن اللغة هى أثواب المعانى ، فلا شك أن تعريفها فى الاصطلاح أمر ضرورى على نفس الناحية ، حتى تتمايز الأشياء عن بعضها ، سواء فى مدلولاتها اللغوية أو معانيها الاصطلاحية ، وهو الذى سوف نوليه تلك العناية على النحو الذى سيرد إن شاء الله تعالى .

- **التعريف الأول :**

العقيدة هى ((الجانب النظرى الذى يطلب الإيمان به أولا ، وقبل كل شيء، إيمانا لا يرقى إليه شك ، ولا تؤثر فيه شبهة))[٣] .

---

(١) هذا ما ما وفقنى الله اليه على ناحية اللغة ، ولا أظن أن أقطع الطريق به على غيرى ، وإنما هى وجهة نظر سلمت لدى ، وربما لم تسلم عن غيرى فذلك من أفضال الله جل علاه .

(٢) يعرف الاصطلاح بأنه اتفاق طائفة على شيء مخصوص أو اتفاق فى العلوم والفنون على لفظ أو رمز معين لأداء مدلول خلص - المعجم الوجيز مادة " صلح " ص٣٦٨ ، وربما يعرف بأنه عبارة عن اتفاق طائفة معينة فى علم من العلوم أو فن من الفنون على استعمال لفظ معين على معنى محدد ، سواء كان منقول أو متفقا عليه أو موضوعا له بحيث يتميز هذا اللفظ بذات المعنى . راجع الدكتور / محمد الغزالى - حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد جـ٣ الأفعال الإلهية ص٢٧ - الطبعة الأولى ١٩٩٩م .

(٣) الإمام الأكبر شيخ الإسلام / محمود شلتوت - الإسلام عقيدة وشريعة ص٩ - دار الشروق - الطبعة السادسة عشر ١٩٩٠م .

◆ وهو تعريف مقبول على ناحيته التى جاء منها ، وقامت فى صدر صاحبه ، وفى نفس الوقت فإن قبوله يستقيم مع نصوصنا الشرعية باعتبار ظاهرها ، وهو الأمر المعتبر عندنا ، وإن لم يكن هو النهائى فى المسألة من حيث أنه ليس التعريف الوحيد الذى يغلق الباب على غيره ، وإنما هو مقبول باعتبار أنه يمثل اجتهاد صاحبه ، وهو أحد علمائنا الإجلاء الذين كانت لهم اجتهاداتهم العلمية الواسعة .

● **التعريف الثانى :**

هى ((مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع والفطرة يعقد عليها الإنسان قلبه ، ويثنى عليها صدره ، جازما بصحتها ، قاطعا بوجودها وثبوتها ، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون ، وذلك مثل اعتقاد الإنسان بوجود خالقه))(١) .

◆ وهو تعريف واسع يشمل لفظ العقيدة فى معانيها اللغوية وغيرها حتى أنه يمكن اعتباره ممثلا لبعض التعاريف الاصطلاحية ، ومن هذه الناحية نراه مقبولا لعدم معارضته قاعدة شرعية .

● **التعريف الثالث:**

((هى ما يؤمن به الإنسان ويعرفه مهما بعدت به تلك المعرفة أو ذاك الإيمان عن الحقيقة والواقع))(٢) .

● **التعريف الرابع :**

((هى التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريبة ، فهى بمعنى الإيمان ، يقال : أعتقد فى كذا أى أؤمن به وأصدقه ، سواء أكان حقا أو باطلا))(٣) .

---

(١) الشيخ / أبو بكر الجزائرى – عقيدة المؤمن ص٢٠ – مكتبة الكليات الأزهرية – الطبعة الأولى ١٩٧٧م .

(٢) الدكتور / محمد بيصار – العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع ص١٤ – ط الثالثة – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢م

(٣) الشيخ / سيد سابق – العقائد الإسلامية ص١٠ – الطبعة الثالثة – دار التراث العربى – الناشر دار الكتب الحديثة .

◆ وهذا التعريف وسابقة أقرب إلى اللغة من الناحية ذاتها ، إذ أن اللغة تتحدث عن مطلق العقيدة ، والمفروض فى الاصطلاح لا أن يكون مباين للغة ، وإنما يقدم فائدة تزيد على المعطى اللغوى ، بحيث يقف عندها المتأمل ، معتبرها قاعدة مستجدة بالنسبة له .

● **التعريف الخامس :**

((هى رباط معنوى يربط المسلم بربه ، وهو رباط لا تحله أزمة مادية ، ولا اضطهاد بشرى))[١] .

◆ وهذا التعريف أقرب ما يكون إلى الفهم الروحى ، والاتجاه القلبى ، بعيدا عن دائرة السلوك العملى .

● **التعريف السادس :**

((هى هذا المبدأ الذى يتمسك به صاحبه ويؤمن بصوابه دون الاستناد إلى دليل))[٢] .

◆ وهذا التعريف يركز على جانب من التقليد المذموم ، ويعرف لدى فلاسفة المسلمين باعتقاد الخاطئ ، لأنه يقوم على غير دليل كاعتقاد الكفرة بالشريك بالنسبة لله ، واعتقاد أهل اليونان وغيرهم بقدم العالم ، واعتقاد المصريين القدماء واليهود بأن الإله متجسدا فى أطراف يمكن أن ترى وأن تحس .

● **التعريف السابع :**

((العقيدة هى الإيمان الجازم بالله تعالى ، وما يجب له من التوحيد والطاعة))[٣] ، وغير ذلك مما جاء به القرآن الكريم والحديث الشريف ، وأجمع عليه

---

(١) الشيخ / محمد الغزالى – عقيدة المسلم ص٥ – دار الدعوة – الطبعة الثالثة ١٤١١هـ .
(٢) الدكتور / على عبدالحليم محمود – مع العقيدة والحركة والمنهج ، فى خير أمة أخرجت للناس ص٢٠ – دار الوفاء – ط الأولى ١٩٩٢م .
(٣) الدكتور / ناصر عبدالكريم العقل – مجمل أصول أهل السنة فى العقيدة ص٥ ١٩٩٢م .

علماء الأمة وسار من بعدهم فيه الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل الله حتى يـرث الله الأرض ومن عليها .

● **التعريف الثامن :**

هى الإيمان بحقيقة معينة إيمانا قطعيا لا يقبل الشك أو الجدل ، أو هـى مـا يؤمـن به الإنسان ويراه عن اقتناع قلبى أكيد.

والعقيدة الدينية هى ما يؤمن به معتقده من أفكار وأراء وتصورات معينة تتصل بالله وملائكته وكتبه ورسله ، كما تتصل بالحياة الدنيا والآخرة[1] .

◆ وهذه التعريفات فى جملتها تكشف حـرص أصحابـها علـى محاولـة تقديـم تعريـف اصطلاحى سواء كان على ناحية عامة أو خاصة .

۞ **ونحن نرى** : أن العقيدة أمر ذاتـى ، يعـبر عنـها كـل مـن خـلال تمكنـها فـى صدره وثبوتها فى قلبه ، طبقا للمعنى العام السائد فـى فـؤاده ، والمنعقـد عليـه دينـه وعقلـه وضميره ، ولذا فإن تعريفات العقيدة على ناحية اصطلاحية حديـة ، ربمـا لم تتوقـف . أما لماذا ؟

فلما سبق القول ، من أنها مسألة ذاتيـة يجتـهد كـل فـى التعبـير عنـها ، وتقديـم التعريف المناسب لها من وجهة نظره هو .

---

(١) الدكتور / عبدالغنى عبود – العقيدة الإسلامية والأيدلوجيات المعاصرة ص١٢ – الطبعة الثانية .

(جـ) أنواع العقيدة :-

تتنوع العقيدة إلى أنواع باعتبارات مختلفة :-

الاعتبار الأول : الصحة والفساد :-

المعلوم أن العقيدة من ناحية قبولها وعدم القبول ، تقع بين الصحة والفساد ، فهى إن كانت مقبولة شرعا ، على ناحية دينية تكون صحيحة ، وإن كانت على ناحية غير شرعية فهى الفاسدة ، ولذا فإن هذا النوع يقع فى :-

[أ] العقيدة الصحيحة :

وهى التى تقوم على أجزاء ستة ثابتة[1] ، بلغ بها المرسلون أممهم عن الله تعالى ، وهذه الأجزاء جاء ذكرها على سبيل الجمع والتوالى فى الحديث الشريف الذى رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ، حيث قال :

« بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس للنبى ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ،ووضع كفيه على فخذيه ، وقال يا محمد أخبرنى عن الإسلام ؟ فقال ﷺ : أن تشهد أن لا إله الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال : صدقت ، ثم قال : يا محمد أخبرنى عن الإيمان ؟ فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت »[2] .

---

(١) الإسلام عقيدة واحدة تقوم على تلك الأجزاء ، وهى تتكامل فيما بينها ، ولا يعتبر الإيمان منجيا لصاحبه إلا باعتقادها جميعا ، وهى الجانب النظرى فى الدين الإسلامى ، أما العقائد التى تجرى فى غير الإسلام ، فإن كل واحدة منها مثل ديانة مستقلة لدى أصحابها ، بحيث يمكن للواحد منهم أن يعتقد فى بعضها دون الأخر ، ولا ينقص ذلك من إيمانه عندهم شيئا ، ونحن لا نوافقهم عليه .

(٢) رواه أبو داؤد - كتاب السنن جـ٤ ص٣٢٤ ، ابن ماجة باب الإيمان ٩ حديث رقم ٦٣ ص٢٤ جـ١ - دار الريان ، سنن الترمذى الجمع الصغير - كتاب الإيمان باب٤ ص٤١ جـ٥ - دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

◆ **ووجه الصحة** : أنـها قائمـة علـى إثبـات التنزيـهات لله رب العـالمين ، والتصريـح بالغيبيات مع صحة الاعتقاد فيها ، والتسليم بها ، وفى نفـس الوقـت هـى حديـث عن اليوم الآخر ، الذى فيه يتحقق الثواب والعقاب .

[ب] العقيدة الفاسدة :-

وهى التى لا تقوم على تلك الأجزاء الشـرعية ، وإنمـا يصنعـها خيـال أصحابـها ، سواء كانوا أتقياء أو أشقياء ،

فإن المسألة عندهم لا تعدوا سوى أن تكون مجـرد تصـورات ذهنيـة يصنعـها خيـال أصحابـها فقـط ، كالحـال مـع دعـاة الماركسـية والوجوديـة ، ومـن قبلـهم البوذيـة والكونفوشيوسية ، وغيرها من أصحاب العقائد الفاسدة التى هى أفكـار شـخصية بشـرية ، صاغها من يظنون فى أنفسهم علو فكر ، ورسوخ قدم فى العلم ، أو يتوسمون فـى ملكاتـهم القدرة على قيادة غيرهم[١] .

◆ **ووجه الفساد** : أنها عقائد بشرية لا تقوم على أسس مقبولة شرعا ، كما لا تحميـها نصوص موثقة من قبل الله تعالى ، وفى نفس الوقت هى تهدم القيم ، وتسقط المعايـير وصاحبها واقع فى نزواته وملذاته ، ومن السهل عليه أن يتخلى عنها .

الاعتبار الثانى : الدين والعبادة

تتنوع العقيدة بهذا الاعتبار إلى أنواع منها :-

[أ] العقيدة الإلهية :-

وهى التى يكون مصدرها الله وحده ، وتتوجه إليه وحده بحيـث لا يقصد سـواه ، ولا يراد بها إلا هو جل علاه ، وهى عقيدة إلهية مـن حيـث أن مصدرهـا هـو الله تعـالى ، ويتوجه بما تتضمنه من عبادات إلى الله وحده ،

(١) وهذا الوضع والتصورات الساذجة من السمات التى تميز الدين الإلهى عن الأديان الوضعية ، فـالدين الإلهـى صحيـح سـليم متكامل ، أما غيره فهو وإن تسمى باسم الدين إلا أن أوجه القصور والفساد فيه تكشف عن نفسها - راجع الدين بحوث ممـهدة لدراسة تاريخ الأديان .

ثم أن المثيب فيها والمعاقب عليها هو الله وحده ، وهى فطرية فى النفوس ، وأيضا ثابتة فى العقول النقية ، والفطر السليمة[١] ،والأعراف المستقرة ، وتكشف عن نفسها داخل المؤمن بها ، كلما اشتدت به الكروب ، أو وقع فى شيء مما قضاه الله تعالى ، أو قدرة عليه ، وهى سماوية .

[ب] العقيدة الوضعية :-

وهى التى تقوم على عبادة البشر أنفسهم ، سواء كان ذلك باعتقاد وسلامة أقوالهم ، أو صحة أفعالهم ، كما اعتقد بعض الأفراد فى سلامة نظرية دارون ، التى حاول بها تفسير نشأة الكائنات الحية على وجه الأرض ، وظلوا يرددونها ، ولا يتنازلون عنها ، بل إنهم وقفوا لها باعتبار أنها قضية مسلمة ، واعتقاد لا يجرؤ أحد على الاقتراب منها[٢] .

وهى أفكار خاطئة رد عليها علماء المسلمين[٣] ، وبينوا وجه فسادها على الناحية العلمية والتاريخية والدينية[٤] ، وكذلك فعل شراح العهد القديم والجديد[٥] ، ورجال الفكر المسيحى أيضا[٦] ، وكاعتقاد بعض الأفكار من أمثال نظريات الاشتراكية ، وفكرة الشيوعية ، والزعم بأنهما الحل الأمثل لإنجاح الأقوام من الأزمات الاقتصادية .

والمؤسف له أن بعض هذه الأفكار فى بلدنا المسلم قد صورت التطور البيولوجى والفكر الماركسى ، وتبنتها وقامت تدعو لها على أنها بدائل قوية ، لما شرع الله ، بل هى

---

(١) قال تعالى ﴿ " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها " ﴾ (سورة الروم – الآية ٣٠) .

(٢) الأستاذ / محمد أحمد باشميل – الإسلام ونظرية دارون – الطبعة الثالثة ص٢٠/٢١ – دار الفتح للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٤م ، وتعرف باسم نظرية التطور والارتقاء ، وكذلك باسم التولد الذاتى والمصادفة .

(٣) راجع تطور الكائنات الحية بين النقل والعقل – الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى الغزالى .

(٤) راجع فى هذا الصدد مذاهب فكرية معاصرة للأستاذ / محمد قطب .

(٥) راجع أدمن للفيلسوف – كليف – س لويس ص٢٧ – طبعة دار الثقافة بالقاهرة ، نقله للعربية القس / منيس عبدالنور – مكتبة كلية اللاهوت الإنجيلية .

(٦) راجع مدخل إلى العقيدة المسيحية – القس / كوستى بندلى ص٧٩ وما عبدها – الطبعة الثانية –منشورات النور ١٩٧٣م – مكتبة كلية اللاهوت الإنجيلية .

الحل الأمثل الذى صوروا فيه – جهلا وظلما – شرع الله بالتخلف والرجعية ، وبئس ما صنعوا ، بل حاول أعوانهم أن يضربوا أعدائهم بعضهم ببعض حتى إذا خلا الموقف لهم اغتنموا الظروف فى إحراز المزيد من النجاحات الواهية[١] .

وقد بان فساد تلك الأفكار والأوهام التى اعتبرت لديهم عقائد ورددها أصحابها ، وأنتهى الأمر معهم فى مسألة الشيوعية إلى أن لبست أكفانها ، وحفر قبرها أبناؤها فتوارت قبل أن تأذن شمس القرن العشرين بالغروب[٢] .

ومثل ما سبق كثير مما يقف به بعض الناس عند حد الاعتقاد ما دام ذلك فى المصلحة والتوجه إليها وحدها ، دون نظر إلى ما يترتب عليها من فساد ، أو خطر ينتظر مستقبل البلاد ويكتوى بلهيب تلك العقائد الوضعية ، ولن يأمنوا على أنفسهم أو أموالهم وبنيهم إن هم تمسكوا بها ، بل ولن تقف الشهوات الرعناء بعيدا عن الحرمات ، إلا إذا عاد الناس إلى العقيدة الإلهية التى جاء بها خاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ ، واستراحوا فى رحابها .

الاعتبار الثالث : اللفظ :

ونقصد باللفظ هنا المفرد الذى يخرج معبرا عن وجهة نظر صاحبه ، فيقول اعتقد كذا ، وهى مجرد عقيدة من حيث اللفظ فقط ، ويقصد به صاحبه تأكيد القول .

ولها صور عديدة ذكر العلماء منها :-

[أ] عقيدة الكلام ليقال[٣] :

وهى تقوم على أن المراد بالكلام مجرد القول فقط ، بحيث يصير هذا الأمر اعتقادا لصاحبه ، بجانب ممارسته ، ولا ضر على الناس من هذه العقيدة ، لأنها تفرض طابع

(١) الدكتور / رفقى زاهر – أوهام الماركسية ص٧ – الطبعة الأولى – دار زاهر للنشر والتوزيع ١٩٩٦م .

(٢) علما بأن الشيوعية قامت فى روسيا وعرفت باسم الثورة البلشفية ١٩١٧م ، ثم انتهى أمرها على يد زعيمهم الروسى جورباتشوف قبل العقد الأخير من القرن العشرين .

(٣) الأستاذ / مصطفى صادق الرافعى – وحى القلم – الطبعة الثانية ص٢٩٧ – مطبعة الاستقامة ١٩٤١م .

الهـزل علـى أخـلاق الأمـة ، باعتبـار أن القـدرات سـوف تختبـئ فـــى بــاطن الحـــروف والكلمات ، ولذا فهى عقيدة كلامية .

[ب] عقيدة القتال :

والمراد بها المسائل التى تتعلق بفنون القتــال ، ووسـائل مدافعـة الأرزاق والآجـال ، وكلها غير صحيحة[1] ، لأنها بمثابة تأجير مصلحة ، ولا يدخل فى عقيدة القتال ما يقـوم به المسلم نحو دينه ، والدفاع عنه لأنه جهاد فى سبيل الله أجره عند مولاه .

[جـ] عقيدة الغلبة والتحايل

[د] عقيدة الالتفاف حول الآخرين

[هـ] عقيدة استحلال المحرمات حتى إذا بلغ الشيب تاب[2] .

---

(١) هى غير صحيحة لأنها لا تتعلق بالجهاد الذى هو الأمر الشرعى ، فلو كانت للجهاد وفى سبيل الله فإنها تكون تابعـــة للإيمــان ، وجزء من أجزائه عندنا نحن المسلمين .

(٢) الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – حفيف الأفنان فى الملل والنحـــل والأديـــان ص٦٧ – الجـــزء الأول – مطبعـــة الهدى ١٩٩٧م .

ثانيا : لفظ اليهود فى اللغة والاصطلاح

(أ) فى اللغة :

وردت مادة " هـ و د " فى اللغة على العديد من المعانى ، كما جاء ذكرها فى القرآن الكريم[١] .

وكلمة " هاد " جاءت فى لغة العرب بمعان كثيرة من أبرزها :-

المعنى الأول : الرجوع إلى الحق أو عنه

- **فمن الأول** : الرجوع إلى الحق، قولهم هاد فلان إلى الحق ، بمعنى رجع إليه ، ومنه قوله تعالى ﴿ " إنا هدنا إليك " ﴾[٢] ،
- **ومن الثانى** : الرجوع عن الحق :- قالت العرب " هاد الباطل " بمعنى تجاوزه ، وهاد إلى الباطل بمعنى رجع إليه ، بعد أن كان قد عرف الحق ، وسلك طريقه ، فهو رجوع عن الحق لا إلى الحق ، وهو عكس الأول[٣] ، لأن الحق والباطل نقيضان لا يجتمعان فإما حق أو باطل .

وهكذا يقع لفظ الكلمة " هـ و د " بين الإقبال على الحق ، أو الإدبار عنه .

الثانى : التحول من الحسن إلى السيئ والعكس :-

ومنه قولهم " هاد التائب إلى ما كان عليه سيئ "[٤] .

الثالث : السير البطيء :-

قالت العرب " فلان يمشى الهوينة والهويدا " ومعناه أنه يمشى ببطء فيه نوع من الاعتداد بالنفس ، أو الإعلان عن عذر من الأعذار[٥] .

---

(١) حيث عدها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم حوالى ثمانى مرات .
(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٦ .
(٣) المعجم الوسيط ص١٠٣٩ - مجمع اللغة العربية ١٩٨٥م .
(٤) المعجم الوجيز ص٦٥٤ - مجمع اللغة العربية .
(٥) مختار الصحاح ص٦٤١ أبو بكر الرازى .

الرابع : المطاوعة والليونة :-

ومنه قولهم " هادى فلان فلانا " ومعناه طاوعه وصالحه ، وجعله له وديعا[(١)] .

الخامس : الإنشاء فى البيئة التى وجدوا فيها :-

ومنه قوله تعالى ﴿ " وعلى الذين هادوا " ﴾[(٢)] ، لأنهم نشأوا فى اليهودية ، المكان المعروف بأرض يهوذا ، إحدى بلاد العرب قبل الإسلام[(٣)] ، ومنه قولهم " تهود الرجل إذا كان فى اليهودية داخلا "[(٤)] .

السادس : الشعب المعروف :-

ومنه ما قيل أنهم سموا باليهودية لشبههم بيهوذا أحد أبناء يعقوب عليه السلام[(٥)] ، وإن لم يكن التشابه بينهما قائما ، إلا أنها تسمية ربما كان لها بعض الوجود فى ذهن أصحابها ، ونحن لا نوافقهم عليها ، لأن لفظ " يهوذا " لفظ ورد فى الكتاب المقدس على أكثر من شخص – شقى أو تقى –[(٦)] .

تعريف الباحث :-

أن كلمة " هاد " هى الرجوع والتحول البطيء مع المطاوعة والليونة سواء على سبيل الإنشاء أو الاستمرار من الحق أو إليه .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٤٦ .

(٣) كان " يهوذا " فارسيا تزوج بقريبته ، ولم يطيقا البقاء فى بلادهم ، فتركوا بلاد فارس ونزلوا أرض العرب ، فأقاموا بها ، ولما كان العرب يسمون البئر بمن يجدونه عندها ، ويسمون الأرض بمن يقيم فيها ، فقد سمى المكان الذى مكث فيه يهوذا وعائلته بذلك الاسم ، ثم دخل فى الكلمة بعض التصحيف ، فصارت يهوذا ونسب أبنائه إلى ذلك المكان – راجع فى هذا الصدد رسائل العلامة الجاحظ – تحقيق الأستاذ / عبدالسلام هارون ، والأستاذ / أحمد أمين – فجر الإسلام ، وغيرها من المصادر التى عنيت بهذا الجانب .

(٤) المصباح المنير ص٧٩٣ – الطبعة الثانية المطبعة الأميرية ١٩٠٦ .

(٥) المصباح المنير ص٧٩٣ – العلامة المقريزى

(٦) راجع قاموس الكتاب المقدس ص١٠٨٥/١٠٩٢ – الطبعة التاسعة– دار الثقافة ١٩٩٤م – نخبة من علماء اللاهوت .

(ب) فى الاصطلاح :-

[١] فى اصطلاح علماء اللاهوت ومفسرى الكتاب المقدس :

ذلك باعتبار سبق ذكرهم لعنوان هذه الرسالة .

عرف قاموس الكتاب المقدس اليهود بالعديد من التعريفات منها ما هو قائم على العموم ، ومنها ما هو مائل إلى الخصوص ، وقد جاءت حسبما يلى :-

[أ] اليهود : أطلق على سبط[١] ، أو مملكة يهوذا تمييزا لهم عن الأسباط العشرة ، الذين سموا إسرائيل إلى أن تشتتت الأسباط ، وأخذ يهوذا إلى السبى .

[ب] اليهود : لفظ يشمل كل من رجعوا من الأسر من الجنس العبرانى .

[جـ] اليهود : اصطلاح يطلق على جميع اليهود المشتتين فى العالم[٢] ، سواء كانوا من الأصلاء ، أو من الدخلاء .

- والملاحظ على التعريفات التى وجدت فى ثنايا قاموس الكتاب المقدس ، أنها مالت إلى النزعة الشعوبية[٣] ، والتعصُّب للجنس ، ومثل هذا الميل يفقد القول كثيرا من دعائمه القوية ، بل ويجعل التردد فى قبوله أكثر قوة .

فكان من الأولى أن ينسب اليهود إلى الدين ، أو إلى النبى ، وليس للجنس ، أما أن ينسب إلى الجنس السامى ، فهذا مردود عليه ، بأن آدم عليه السلام هو أبو البشر جميعا ساميهم وآريهم ، أبيضهم وأسودهم عربيهم وعجميهم .

---

(١) السبط " ولد الولد ، وهو مشتق من السبط أى الشجرة ، والسبط من اليهود كالقبيلة عند العرب - طونى مفرج - موسوعة المجتمعات الدينية فى الشرق الأوسط ص٦١ - دار نوبليس بيروت ط١ ١٩٩٥م .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص١٠٨٤/١٠٨٥ - دار الثقافة ١٩٩٤م .

(٣) العلامة الزمخشرى يقول : " الشعوبية هم الذين يصغرون شأن العرب ، ولا يرون لهم فضلا على غيرهم ، أساس البلاغة مادة شعب ص٤٩٣ ، ويرى ابن عبدربة أن الشعوبية هم أهل التسوية فيما بينهم ، مع تفضيلهم على غيرهم ، العقد الفريد جـ٣ ص٤٠٣ . ، ويرى العلامة محمد كرد على " أن الشعوبية قوم متعصبون على العرب ، يفضلون عليهم العجم الإسلام والحضارة العربية جـ١ ص٣٢ .

وإن من طبيعة بنى آدم أن يرتحلوا طلبا للعيش ، فساكن آسيا السامى يمكنه أن يسكن فى أفريقيا مكان الآرى طلبا للرزق وسعيا له ، والواقع الحالى للعالم يثبت ذلك .

(٢) فى اصطلاح مفكرى الإسلام :-

(أ) الحافظ ابن كثير [١] :-

يعرفهم بأنهم أتباع موسى ﷺ ، والذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة فى زمانهم ، واليهود من الهوادة ، وهى المودة أو التهود ، وهى التوبة ، كقول موسى ﷺ إنا هدنا إليك [٢] .

وهذا الرأى للإمام ابن كثير ربما استقام من خلال تفهمه للآيات القرآنية ، ولكنه لم يقف عنده ، وإنما حكى فى المسألة وجوها أخرى بصيغة الحكاية [٣] .

(ب) أنهم يتهودون عند قراءة التوراة [٤] :-

ولكن الملاحظ أن هذا التعريف فيه متابعة حركات الجسم يمنه ويسره ، وأماما وخلفا ، ومثله يصح وصفا لهم لما لحالهم أكثر مما يمكن اعتباره تعريفا اصطلاحيا يقف المتأمل للمسألة عليه .

(جـ) هى كلمة تدل على رعايا دولة يهوذا فى عهد الاحتلال الفارسى ، ثم أصبحت تطلق على كل من يعتنق اليهودية [٥] .

---

(١) هو العلامة الحافظ ابن كثير – عالم التفسير الحديث والتاريخ ، وهو غير الإمام عبدالله بن كثير بن المطلب القرشى ، ولد سنة ٤٥هـ ، وتوفى ١٢٠هـ ، كان إمام أهل مكة فى القراءات ، لقى جمعا من الصحابة ، فهو تابعى وصاحب قراءة من القراءات السبع ، أخذها عرضا عن عبدالله بن ثابت ، كان فصيحا بليغا مفوها ، عليه السكينة والوقار ، وروى عن أحمد البزى ، وقنبل بسنده ، العلامة الجذرى النشر فى القراءات العشر ط١ ص١١٣ ، وكذلك العلامة المخللاتى – القول الوجيز فى فواصل الكتاب العزيز ص٣٨٩ .

(٢) الإمام / ابن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ١ ص١٨٠ – الطبعة الأولى – دار الأندلس ص١٩٩٦م .

(٣) راجع العلامة ابن كثير – جـ١ ص١٨٠ وما بعدها ، فقد ذكر العديد من تلك الأوجه .

(٤) الدكتور / محمد سيد طنطاوى – بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ص١٩ – الزهراء للطباعة .

(٥) الأستاذ / مصطفى السعدنى – الفكر الصهيونى والسياسة اليهودية ص٦٨ – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

◆ والملاحظ أن هذا التعريف قائم على حكاية الجنس باعتبار التفرقة بين السامى والآرى ، وهذا مما لا يستقيم ، حيث إن مقصدنا تقديم تعريف دقيق لليهود على ناحية اصطلاحية .

❁ **مما سبق** : يتضح استحالة تقديم تعريف اصطلاحى لليهود على ناحية حدية ، يضمن المرء فيها السلامة ، إذ أن تلك التعريفات الاصطلاحية السابقة أغلبها يضرب بعضه الآخر ، ولم يسلم أى منها لمخالفة فى الرأى .

❁ وربما نستشهد لذلك بما ذكره أحد الدارسين فى المسألة حين قال : « وأن كل ما نستطيع أن نقوله عن أصل اليهود من ناحية جنسهم هو ذلك القول الغامض ، وهو أنهم ساميو الأصل ، لا يتميزون تميزا واضحا ، ولا يختلفون اختلافا كبيرا عن غيرهم من الساميين سكان آسيا ، وأنهم لم يوجدوا تاريخهم ، بل إن تاريخهم هو الذى أوجدهم ، وإنا لنراهم من بداية ظهورهم خليطا من سلالات كثيرة »[1] .

❁ **والذى أراه** : أن اليهودية كاصطلاح ينتسب إلى شخص يهوذا ، والمكان الذى تسمى باسمه ، ولا ينسب إليه إلا من كان قائما تحت أى منهما ، أما الديانة التى جاء بها موسى كليم الله ، فلم تكن اليهودية ، وإنما كانت من تعاليم الله إلى سكان تلك المنطقة من نسل ذلك الرجل ، لما هو معروف عندنا من أن نبوة سيدنا موسى عليه السلام خاصة لطائفة بعينها ، فى مكان محدد ، وهو الذى نعتقده ونذهب اليه .

---

(١) ول ديورانت - قصة الحضارة - جـ١ ص٣٢٨ - ترجمة محمد بدران - جامعة الدول العربية .

ثالثا : التجسيد[١]

من المعلوم أن التجسيد لفظ عربى ، وهو أيضا له دلالة فى اللغات التى تعاملت معه ، ولسنا نشغل أنفسنا إلا بما ورد فى لغتنا العربية ، والذى نتحاكم إلى المعانى التى قامت عليها ، إذ من المؤكد أن اللغة ثرية فى مفرداتها والمعان ،وهذا الثراء يتيح للدارس العديد من الاتجاهات حتى يتعرف على المعانى والمفردات ، ومادة " ج س د " جاءت فى لغة العرب تشتمل على العديد من المعانى ، كما جاء ذكرها فى القرآن الكريم[٢] .

ونذكر معانيها فيما يلى :-

(أ) فى اللغة :-

وردت الكلمة فى اللغة بمعان عديدة منها :-

المعنى الأول : ماله امتداد ووصف معين سواء أكان مرئيا ، أو غير مرئى :- ومنه قول العرب " البدن جسد الروح " ، وهو أيضا جسم الإنسان والجان والملائكة[٣] .

المعنى الثانى : المخلوق من صنع الإنسان :- ومنه قولهم " " عجل بنى إسرائيل "[٤] ، قال تعالى ﴿" فأخرج لهم عجلا جسدا " ﴾[٥] .

---

(١) يذهب الصرفيون إلى أن الفعل الرباعى المضعف عينه يأتى مصدره على وزنين ، إما تفعل أو تفعيل مثال الأول جسد تجسيد ، والثانى جسد تجسد ولما كان الأول غالبا فى اللسان فقد جعلته لذات العنوان ، ويذهب العلامة سعد الدين الأزهرى المنياوى إلى أن الفعل الرباعى إذا جاء صحيح اللام كجسد فإن مصدره فى الغالب التجسيد – الجواب الظريف عن السؤال فى فن التصريف ص٢١ – العلامة سعد الدين بن سعد بن حمزة الأزهرى المنياوى – ط الأولى المطبعة الجمالية ١٣٣٢هـ .
ويذهب كتاب ومفسروا العهد لقديم إلى أن كلمة جسد وجسم بمعنى واحد ، و لم يفرق مترجموا العهد الجديد فى الكلمتين بين جسد وجسم – قاموس الكتاب المقدس ص٢٦١ ، وبناء عليه سوف نستخدم اللفظين حتى لا نكون مخالفين القوم فى مصطلاحاتهم .

(٢) حيث عدها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم حوالى أربع مرات ص٢١٥ – طبعة دار الحديث .

(٣) مختار الصحاح ص١٠٥ .

(٤) أساس البلاغة – العلامة الزمخشرى ص٩٣ .

(٥) سورة طه – الآية ٨٨ .

المعنى الثالث : الحيوان العاقل :-

يقال الإنسان جسد ، والجن جسد ، وماله هيئة يعقل أو لا يعقل فالنبات[١] ، والجن ، والملائكة ، كلها أجساد ، ولكن النبات غير عاقل ولا يأكل ، ولا يشرب ، ولكنه يتغذى ما دام حيا[٢] ، قال تعالى ﴿ " وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام ، وما كانوا خالدين " ﴾[٣] .

الرابع : ما يخفى جسد المرأة :- ومنه قولهم " أخفى جسد المرأة ما تحته " أى أن ثوبها صار كجسد ثان لها[٤] ، وبالتالى فلم يعد الجسم الأصلى واضحا .

❁ تعريف الباحث :-

التجسد هو الشيء الذى له امتداد ، وطول وعرض ، مصنوعا كان أو غير مصنوع ، عاقلا أو غيره ، يخفى ما تحته ، ويقبل الإذابة والتراكم ، أو الليونة والصلابة ، مرئيا كان أو غير مرئى .

(ب) تعريف الجسد فى الاصطلاح :-

❁ أولا : عند علماء اللاهوت :-

يعرف لفظ الجسد عند علماء اللاهوت بعدة تعريفات لكل تعريف منها دلالة معينة ، واتجاه خاص ، ومغزى قام عليه ، واستقر فى أفهامهم من ناحية ، ولذا سوف نلمح إلى أغلبها ، حتى تكون بمثابة القواعد التى يتم أمر الاصطلاح عليها .

[أ] **الجسد هو : عضلات الجسم الحيوانى** إن كان إنسانا ، أو حيوانا ، أو سمكا[٥] .

---

(١) هناك بعض الكائنات الحية يتم تغذيتها عن طريق غدد موجودة بأجسادها ، مما تحدث عنه أصحاب الكائنات الحية .
(٢) المصباح المنير ص١٢٣ .
(٣) سورة الأنبياء - الآية ٨ .
(٤) لسان العرب ص٤١٥ .
(٥) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر التكوين - إصحاح ٦ فقرات ١٩/١٧ ، وسفر اللاويين إصحاح ٢١ فقرة ٥/٥ « حيث جاء الأمر إلى نوح أن يأخذ بنيه وزوجته وولده فى الفلك ويأخذ من كل كائن حى ذى جسد » - قاموس الكتب المقدس ص٢٦٠ .

[ب] **الجسد هو : كلمة تطلق على الكنيسة ، وجماعة المؤمنين** ، رمزا لتنوع المواهب بين أعضائها وتعاونهم معا لارتباطهم بالرأس الذى هو مسيح عصره ، وهو الذى سوف يعيد للأمة مجدها[1] .

- ويبدو أن التعريف قد ركز على الجانب العضوى من التجسيد القائم على أجزاء كثيرة بغض النظر عن كونها موجبة عاملة أو غير عاملة .

[ج] **هو الإنسان الطبيعى المجرد من روح الله** التى تسيطر عليه الشهوات ويطيع الذهن ، ولذا فهو يشمل الطبيعة البشرية غير المجددة وغير المقدسة[2] .

[د] **هو مجموعة اللحم والعظم التى يجدها الإنسان فى تصرفه كل يوم** ، والتى تسمى جثة عند موته[3] .

[هـ] **والتجسيد لفظ يستخدم للإله حين يتجسد فى العالم** ، وحين يظهر على هيئة شخص محسوس يمكن إدراكه بالحواس الخمس وبالذات على صورة شخص[4] .

- وتلك التعريفات تنتهى بنا إلى أن القوم لا يمكن فهم التجسيد عندهم فى الدنيا ، لأى موجود إلا فى شكل معين ، ووضع معين ، ومكان معين ، على جهة معينة . سواء كان ذلك للمخلوق ، أو لغيره ، لكنه لا ينطبق إلا على الموجود ، أما المعدوم فلا التفات إليه .

وبالتالى فهم يقسمون تصوراتهم عن التجسيد إلى أقسام يحسن بنا أن نقدم التفاته إليها :-

أقسام التجسد :-

(١) الجسد المادى المحسوس :-

وهو لا ينطبق على كافة الكائنات الموجودة بشكل تفصيلى ، غير مرموز إليه برموز أو إشارات ، إنما يحس كما يتحرك ويلمس على أى وضع من الأوضاع المعروفة[5] .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٢٦٠ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) الأب / صبحى حموى اليسوعى – معجم الإيمان المسيحى ص١٧٣ – ط الأولى – دار المشرق بيروت ١٨٩٤م .
(٤) عبدالوهاب المسيرى – موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية ص١٨٥ – المجلد الثالث – ط الأولى ١٩٩٩م .
(٥) قاموس الكتاب المقدس ص٢٦٠ ، فيدخل فيه تجسد على شكل الإنسان والحيوان والطائر والجماد والكائنات البحرية .

(٢) التجسيد الاعتبارى :-

ويطلق على جماعة المؤمنين بالتعاليم اللاهوتية ، ما دامت تربط بينهم كنيسة بذاتها ، يتعاونون فيما بينهم لخدمتها ، ويقومون بواجباتهم تحت رعايتها من غير نظر إلى نوع الكنيسة من كاثولوكية أو أرثوذكسية أو بروتستاتنيه[١] .

(٣) التجسد الروحانى :-

وهو الذى سيلبثه المؤمنون بعد قيامهم ، كما لبسوا صورة الحيوانى يلبسون صورة السماوى ، وهو الجسد المجرد عن الشهوات الحيوانية ، والأميال العالمية ، شكله لا يتغير ، وإنما يكون طاهرا نقيا قابلا ، يجمع الأفراح السماوية ، والمباهج الروحية مع النفس المطهرة[٢] .

والمطالع لتلك الأقسام ، يرى أنه ينطبق جزءان منها فى الدنيا ، أما الثالث فهو فى الآخرة ، كما أن الجزأين الأولين كلاهما تجسد حقيقى ، وإن كان الأول فى أفراد والثانى فى جماعات .

❁ تعريف الدارس :

<u>والذى أميل اليه</u> : هو أن التجسيد تصور للشيء فى صور مجسدة لها أطراف ، وأجزاء ، ويشملها كل واحد يمكن أن يعبر عنه بأوصافه الثابتة له ، والحكم عليه بواسطة الحس والعقل[٣] .

---

(١) نفس المصدر ص٢٦١ .

(٢) نفس المصدر ص٢٦١ .

(٣) يعلم الله أنى طوفت بأرجاء الكثير من المصادر بغية الوصول إلى تعريف للتجسيد ، فلم أظفر به ، وقد اجتهدت قدر ما أعاننى الله عليه ، فلما استبان لى عدم وجود تعاريف متعددة أنتقى منها ذكرت ما وصلت اليه فى المسألة ، ثم عقبت عليها بما رأيته تعريفا جامعا من وجهة نظرى .

رابعا : الإله

من المستحسن النظر فى مادة " أ ل هـ " هنا على ناحية اللغة ، وإن كـانت مسـألة الاعتقاد فى الله واجبة فى عقولنا وديننا والضمير .

وقد جاء ذكرها فى القرآن الكريم[١] ، وكذلك جاءت فى كل من اللغة والاصطلاح . وسوف نحاول بيانها فى كل منها بقدر ما تتطلبه الدراسة ، وذلك على النحو التالى :-

(أ) فى اللغة :-

وردت مادة " أ ل هـ "[٢] ، فى المعاجم العربية على كثير من المعانى نذكر منها :-

❁ المعنى الأول : التأمين :-

ومنه قولهم : " مال فلان لإلهه انقيادا وتأمينا "[٣] ،بحيث لا يلجأ إلا إليـه ، ولا يستجير إلا به ، ولا يأمن إلا فى رحابه . ولا يخاف إلا منه .

❁ الثانى :- الإيجارة وقت الجزع :-

ومنه قول العرب لجأ إلى فلان وعليه اشتد جزعه ، وفعله ألهه من باب نصـره[٤] ، ويقول العرب أله الرجل إذا فزع من أمر نزل به فألهــه أى أجـاره ، فالإلـه هـو المجـير ، ومنه قوله تعالى ﴿ " وهو يجير ولا يجار عليه " ﴾[٥] .

❁ الثالث : ما يمكن اتخاذه معبودا :-

ﷻ ومنه قوله تعالى ﴿ " أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون " ﴾[٦] .

---

(١) حيث عدها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم حوالى ثمانين مرة - المعجم المفـــهرس لألفـاظ القـرآن الكـريم ص٤٩ - الأستاذ / محمد فؤاد عبدالباقى .
(٢) ويمكن البحث عن معنى لفظ الألوهية فى مادتى " و ل هـ " ، " ل أ هـ " .
(٣) المعجم الوسيط ص٢٥ .
(٤) مختار القاموس ص٢٨ .
(٥) سورة المؤمنون الآية ٨٨ .
(٦) سورة الأنبياء - الآية ٢١ .

وقوله تعالى ﴿ " لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون " ﴾[١] .

فلو كانوا آلهة على وجه الحقيقة لكانوا لهم عبادا ، ولو كانوا آلهة على وجه الصواب ، لاستمعوا إلى أنات من يعهدونه واستجابوا لندائهم ، وحققوا لهم بعض ما يدعون إليه .

الرابع : المتعبد به ظاهرا أو خفيا :-

ومنه قولهم : " تعبد فلان لإلهه ، ومعناه جعله معبودا سواء كان على وجه الحق وهو عبادة الله سبحانه وتعالى ، أو على وجه الباطل ، وهي عبادة غير الله من الأصنام[٢] ، أوالأوثان[٣] ، أوالمنافع ، أو غيرها[٤] ، مما يجري في بعض الناس مجرى العبادة ، ويقع في نفوسهم موقع الاعتقاد .

الخامس : المعبود المنزه المطاع :-

ذلك أن المعبود المماثل يذكر ويؤنث ، أما المعبود الذى لا مثيل له ، وهو الله تعالى ، فهو متفرد ، ولا يخضع للتذكير ، ولا التأنيث ، أو التعريف ، ولا التنكير ، ولا ما شابه ذلك ، إنه فوقها جميعا ، وخالقها جميعا ، ولذا نقول ((أن الله هو اسم للذات الواجب الوجود ، وأصله في اللغة أله ، بمعنى معبود ، أو " ل أ هـ " بمعنى محتجب ، والإلهة أنثى الإله والجن والأصنام ، والهلال ، وكلها مصنوعة مخلوقة مردودة ، لأنها سوى الله[٥] ، عز وجل المنزه عن كل صفات النقص ، والواجب له وحده كافة صفات الجلال والجمال والكمال .

السادس : المعبود من غير مقاومة :-

- الإله علم دال على الإله الحق دلالة جامعة لمعاني الأسماء الحسنى[٦] ، الواردة في :

---

(١) سورة الأنبياء - الآية ٩٩ .

(٢) الأصنام : جثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب ، وكانوا يعبدونها متقربين بها إلى الله - الأستاذ / عكاشة عبدالمنان - عبادة الأوثان ص٧ - مكتبة التراث الإسلامي ١٩٩٠م .

(٣) الوثن : هو المصنوع من الخشب - المرجع السابق ص٧ .

(٤) لسان العرب - ابن منظور جـ١ ص٨٧/٨٨ .

(٥) المعلم بطرس البستاني - قطر المحيط جـ١ ص٤٤ .

(٦) الدكتور / جميل صليبا - المعجم الفلسفي جـ١ ص١٢٩ - دار الكتاب اللبناني الأول ١٩٩٤م .

ﷻ القرآن الكريم من قوله تعالى ﴿ " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها " ﴾[(١)] .

ﷻ والحديث الشريف من قوله ﷺ « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة »[(٢)] صدق رسول الله ﷺ .

۞ تعريف الباحث :

مما سبق اتضح لنا وجود العديد من المعانى اللغوية الواردة للفظ الإله ، وأن هذه المعانى متفرقة ، تحتاج تعريفا واحدا يجمع بينها كلها على وجه اللغة ، وهو الذى نحاول تقديمه .

الإله : هو الذى يستجار به ويلجأ إليه ، ويتعبد به ظاهرا ، أو غير ظاهر منزه مطاعا ، أو غير منزه[(٣)] .

(ب) فى الاصطلاح :-

۞ أولا فى اصطلاح علماء اللاهوت[(٤)] ، ومفسرى الكتاب المقدس

يذكر كتاب وشراح الكتاب المقدس أن الله هو :-

- اسم للإله خالق جميع الكائنات ، والحاكم الأعظم لجميع العوالم ، الواهب كل المواهب الحسنة[(٥)] .

- وهذا التعريف أقرب ما يكون إلى التعريفات الكلامية[(٦)] ، متى قصد بها الجانب التنزيهى ، مع الاختلاف فى بعض التصورات والتعبيرات اللفظية .

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٠ .

(٢) مسند الإمام / أحمد – حديث رقم ٧٤٩٣ – شرحه : أحمد محمد شاكر – دار المعارف ١٩٥٥م .

(٣) هذا التعريف هو الذى غلب عندى على ناحية اللغة ، لا باعتباره تعريفا حديا ، ولكن باعتباره من التعاريف التقريبية ، وهو الذى وفقنى الله اليه .

(٤) نقصد بعلماء اللاهوت المعنين بدراسة العهدين القديم والجديد ، وهم الذين يتخصصون فى قضايا اللاهوت ، واللاهوت مصطلح بقصده طبيعة الله نفسه – قاموس الكتاب المقدس ص٨٢٠ .

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص١٠٧ .

(٦) نقصد بالتعريفات الكلامية ، ما يتردد لدى علماء الكلام المسيحى – راجع إلياس مقار فى كتابة إيمانى ، وصموائيل مشرقى فى كتابه الإلهيات .

ويبدوا أن كتاب العهد القديم وجدوا أن التعريف السابق لا يكفى ، فقدموا تعريفا آخر يقوم على أن الله هو :

روح غير محدود ، أزلى غير متغير ، فى وجوده وحكمته ، وقدرته وقداسته وعدله ، يظهر لنا فى أعماله ، وتدبير عنايته ، وأعلن لنا عن نفسه بأجل بيان وعلى أكمل كيفية[١] ، والله هو أبو الأنوار ، وقد وجد النور بكلمته[٢] .

ويبدو لى أن اصطلاح علماء اللاهوت المسيحى لم يسلم لهم من أنفسهم ، حيث أنهم يقررون أن الخوض فى صفات البارى بالظن لا يجوز ، ومعنى ذلك أن التسليم فى المسائل الإلهية أمر يقتضيه العقل ، ولا يأباه ، والله بغير شبيه ، فنحن لا يمكننا أن ندرك أحكام البساطة الإلهية[٣] .

وعلى هذا فالله يتجلى غاية التجلى ، ويظهر ذاته فى الكتب المقدسة[٤] ، ومثل هذا التردد والقلق فى إصدار الأحكام ، يجعل الباحث فى حل من التسليم بما ذكر ، وأقرب ما يقال أنها تعريفات ارتضاها أصحابها ، وإن لم تكن على قواعد البحث العلمى عندنا .

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه هو ذلك التعريف الذى ورد للألوهية عندهم بأنه يطلق على الآلهة الباطلة[٥] .

وهذا النص أقرب ما يكون إلى روح التردد ، وعدم الحسم ، بجانب عدم كفاية التعريف اللغوى له ، وإن كان مأخذها ليس واحد .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص١٠٧ .

(٢) القس صموئيل مشرقى – الكتاب المقدس يتحدى مشاكل الاعتراضات ص٢٠ – طبعة القاهرة ١٩٠٦م – الكتاب الثامن والأربعون – مطبعة الأمانة .

(٣) القس صموئيل مشرقى – الإلهيات ص١٠٢ – لكتاب الثالث والستون – الطبعة الثانية ١٩٨٧م – الكنيسة المركزية المجمع الخميسى .

(٤) راجع مأخذ الإله فى التعريف اللغوى من هذا الكتاب .

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص١٠٧ .

على أن ما يدعم موقفنا هو استعمال قاموس الكتاب المقدس الكلمة وصفا لله ، وفي نفس الوقت استعمالها وصفا لمن يصدر الأحكام بين الناس ، فلم تعد تطلق على الله وحده ، فيقول قاموس الكتاب المقدس .

أن هذه الكلمة تستعمل للقضاة بما أنهم يمثلون الله ويعملون نيابة عنه[١] ، ثم إن الله اسم خاص لأنه يحمل حقيقة شخصية ، ويشيع استخدامه اليوم باستهانة ، حتى يصعب علينا إدراك مدى خطورة ذلك ، والطريقة التى نستخدم بها اسم الله تدل على حقيقة مشاعرنا نحوه[٢] .

وبهذا يتبين لنا عدم توافقهم على وضع تعريف للإله عندهم ، وترددهم في وصفه بالأوصاف التى أطلقوها عليه ، فالله فى كتابات اليهود يسمى "يهوه" ، كما يسمى " ياهو "، وفى نفس الوقت يسمى " آلوهيم "[٣] ، وأن القوم ما يزالون حوله مختلفين ، مما يجعلنا أيضا نتردد فى الاعتماد على الآراء الصادرة عنهم كحلول للمسألة . فما هو الإله فى اصطلاح علماء الإسلام ؟

❁ ثانيا : عند علماء الإسلام :-

(أ) عند علماء التفسير :-

يذهب المفسرون من أهل الإسلام إلى أن مادة كلمة " الله " إما أن تكون من فعل مشتق[٤] ، أو أن تكون من فعل جامد[٥] ، فإن أتت من فعل جامد فهى علم على الذات الإلهية الأعظم جل وعلا .

---

(١) المصدر السابق ص١٠٧ .

(٢) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص١٧٢ - مجموعة من كتاب اللاهوت - الطبعة الثانية ١٩٩٨م .

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٤٩/١٠٥٠ .

(٤) المشتق : هو الذى يأتى من الماضى وغير الماضى ، كما يأتى منه سائر المشتقات الاسمية .

(٥) الجامد : هو الذى يظل على حاله ، ولا يتغير - الدكتور / عبدالعزيز محمد فاخر - الجزء الثانى - توضيح النحو ص١٤٠ سنة ١٩٩٨م .

يقول العلامة الفخر الرازى :- أن الله اسم علم على الله تعالى ، وهو ليس بمشتق[١] .

قال أحد الدارسين « إن الإله هو المستحق للعبادة ، وهو واحد لا شريك له ، ولا نظير له فى ذاته ، ولا فى صفاته »[٢] ،

ومن يرى أنه من فعل مشتق فإنه يقول ، إن الألوهية تطلق بالاشتراك على الإله الحق ، وعلى غيره من الآلهة الباطلة .

يقول صاحب مفاتيح الغيب : « أن الإله هو المعبود ، سواء عبد بحق أو بباطل »[٣] ، والألوهية : « تطلق على كل ما عبد بأى نوع من أنواع العبادات ، ولو كان المعبود جمادا »[٤] .

❁ ولم يرتضِ الإمام الفخر الرازى هذا الرأى ووجه إليه الانتقادات الآتية :-

[١] أنه لا يكون معبودا فى الأزل .

[٢] أن الأوثان عبدت مع أنها ليست آلهة .

[٣] أنه تعالى إله الجمادات والبهائم ، مع أن صدور العبادة منها محال .

[٤] أنه تعالى إله الأطفال والمجانين ، مع أنه لا تصدر العبادة عنهم[٥] .

وقد توسط فريق ثالث فى المسألة ، حيث مال إلى أن الله علم على الذات الإلهية ، إذ لم يكن مشتق ، وإذا جاء مشتق فإنه يغلب فى لسان الشرع على الإله المعبود بحق[٦] .

<u>(ب) فى اصطلاح دعاة السلفية[٧]</u> : يكفينا أن نذكر أن أحد دعاتها البارزين ، وهو العلامة ابن القيم الجوزية[٨] يقول :

---

(١) الإمام الفخر الرازى - مفاتيح الغيب ص٢٠١١ جـ١ - ط أولى دار الغد ١٩٩١م .
(٢) الشيخ / محمود محمد حمزة وآخرون - غاية البيان فى تفسير القرآن ص٥١ جـ١ - دار إحياء التراث الإسلامى قطر .
(٣) الإمام الفخر الرازى - مفاتيح الغيب ص٢٠٤ ط أولى .
(٤) الدكتور / محمد أمان على الصفات الإلهية فى الكتاب والسنة ص٧٨ دار التقوى .
(٥) الإمام الفخر الرازى - مفاتيح العيب ص٢٠٣ .
(٦) المصدر السابق جـ١ ص٢٠٧ .
(٧) اختلف فى تحديد السلف على أنحاء شتى ، منهم من قال أنهم الذين صحبوا رسول الله على التعيين ، فردا فرداً، ومنهم من قال هم الذين يرونها فى المائة الأولى ، وقال آخر حتى المائة الثالثة ، وقال آخر حتى المائة الخامسة ، وقال آخر هم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وتقديمهما على غيرهما فى الاستدلال والسلوك ، إلى غير ذلك ، وهذا الأخير هو أرجح الآراء من غيره ، لأن كل واحد منهم تتجه عليه اعتراضات لا يمكن ردها بسهولة - راجع الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى الغزالى - حبو الوليد فى علم التوحيد ص٥٥/٥٦ .
(٨) هو الإمام العلامة المحقق / أبو عبدالله محمد بن أبى بكر بن أيوب بن القيم الجوزية ، ولد فى ٦٩١ ، وتوفى ٧٥١هـ .

« إن لفظ الجلالة هو الموصوف بصفات الكمال ، والمنزه عن كل نقص ، ﴿ " وليس كمثله شيء وهو السميع البصير " ﴾[1] ، واسم الله يدل على جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى »[2] .

(جـ) في اصطلاح الصوفية :-

إذا كنا قد عرضنا لمفهوم لفظ الألوهية فى بعض جوانب الفكر الإسلامى على ما سبق بيانه ، فإن هذا يدفعنا إلى محاولة التعرف على جانب آخر من جوانب الفكر الإسلامى ، ألا وهو الجانب الوجدانى الصوفى ، وحيث لا نقصد إحصاء كل الصوفية ، فإننا سنكتفى بعرض المسألة عند واحد من أبرز رجالاتها فى القرن الخامس الهجرى ، ألا وهو الإمام أبو حامد الغزالى[3] .

حيث يقدم الإمام الغزالى تعريفا للإله على ناحية اصطلاحية ، فيه إثبات الكمالات لله سبحانه وتعالى ، ونفى السلبيات عنه سبحانه وتعالى ، فيقول : ((إن الله قديم أزلى ، ليس لوجوده أول ، وليس لوجوده آخر ، فهو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو ليس بجوهر متحيز ، وليس بجسم مؤلف من جواهر ، وليس بعرض ، فالله منزه الذات عن الاختصاص بالجهات)) [4] .

وهذا التعريف أقرب ما يكون إلى اصطلاحات كل من المتكلمين والفلاسفة المسلمين ، حيث أنهم يستخدمون فى مجال إثبات البارى جل وعلا تلك المفردات من أمثال الجوهر[5] ، والعرض[6] ، والتحيز ، وعدم التحيز[7] .

---

(١) سورة الشورى - الآية ١٣ .

(٢) ابن القيم الجوزية - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبدوا وإياك نستعين ص٣٢ جـ١ - طبعة الشيخ الصبان .

(٣) ولد بغزالة من أعمال طوس ، القريبة من جرجان فى بلاد فارس ، وتنقل فى العديد من بلدان العالم الإسلامى ، وله العديد من المؤلفات من أبرزها فى مجال التصوف " إحياء علوم الدين ، والمنقذ من الضلال ، السكينة الوقار وغيرها " ولد سنة ٤٥٠ ، وتوفى ٥٠٥هـ - راجع حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد جـ٣ ص٣٨ - الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى .

(٤) الإمام أبو حامد الغزالى - إحياء علوم الدين - جـ١ ص١٥٧ - الطبعة الأولى - مكتبة الإيمان ١٩٩٦م .

(٥) الجوهر : منحصر فى خمسة : هيولى ، صوره ، وجسم وعقل ، نفس ، وهو أما أن يكون مجرد ، أو غير مجرد ، فالمجرد إما يتعلق بالبدن أولا يتعلق والأول العقل والثانى النفس ، والجوهر ينقسم إلى بسيط روحانى كالعقول والنفوس المجردة ، وإلى بسيط جسمانى كالعناصر - التعريفات ص٧٠ - الإمام الجرجانى .

(٦) العرض : ما يعرض فى الجوهر مثل الألوان والطعوم والذوق ، وما يستحيل بقاؤه بعد وجوده - المصدر السابق ص١٣٠ .

(٧) العلامة / عضد الدين الايجى - المواقف - الموقف الخامس - المسلك الأول ص٣٧٥ - مكتبة المتنبى .

والإمام الغزالي يقدم تعريفا للإله على ناحية ذوقية ، فيقرر أن الله عز وجل ، واحد لا شريك له ، فرد لا ند له ، لا مثيل له ، ولا ضد له ، منزه عن الصورة ، مستوى على عرشه[١] ، بالمعنى الذى أراد[٢] .

والملاحظ أن هذا التعريف الذوقى ، أقرب ما يكون إلى روح السلف الصالح الذى يفوض الأمر فى المسائل المتشابهة إلى الله تعالى .

(د) فى اصطلاح علماء العقيدة :-

سلف الحديث عن نبذة مختصرة لمفهوم الألوهية فى فكر الصوفية ، ومن المناسب أن نقدم تعريفا لاصطلاح ذات اللفظ عند علماء العقيدة ، ونميل إلى اعتبار الإمام محمد عبده ممثلا لهذا الاتجاه فى التعريف ، فيرى : « أن الله هو الواحد الذى لا كثرة فى ذاته ، فهو ليس مركب من جواهر مختلفة ، وليس بمادى ، ولا هو من أصول متعددة غير مادية ، والله واجب الوجود »[٣] .

❁ **وفى تقديرى** : أن ما ذهب إليه الإمام محمد عبده يؤدى الغرض منه على الناحية التى قصدها الإمام نفسه ((والله هو الخالق المعبود بحق ، المتصف بصفات الكمال ، المنزه عن كل نقص[٤] .

◈ فما هو التطور التاريخى لعقيدة تجسيد الإله ؟

هذا ما سوف نتناوله فى الفصل القادم بإذن الله تعالى .

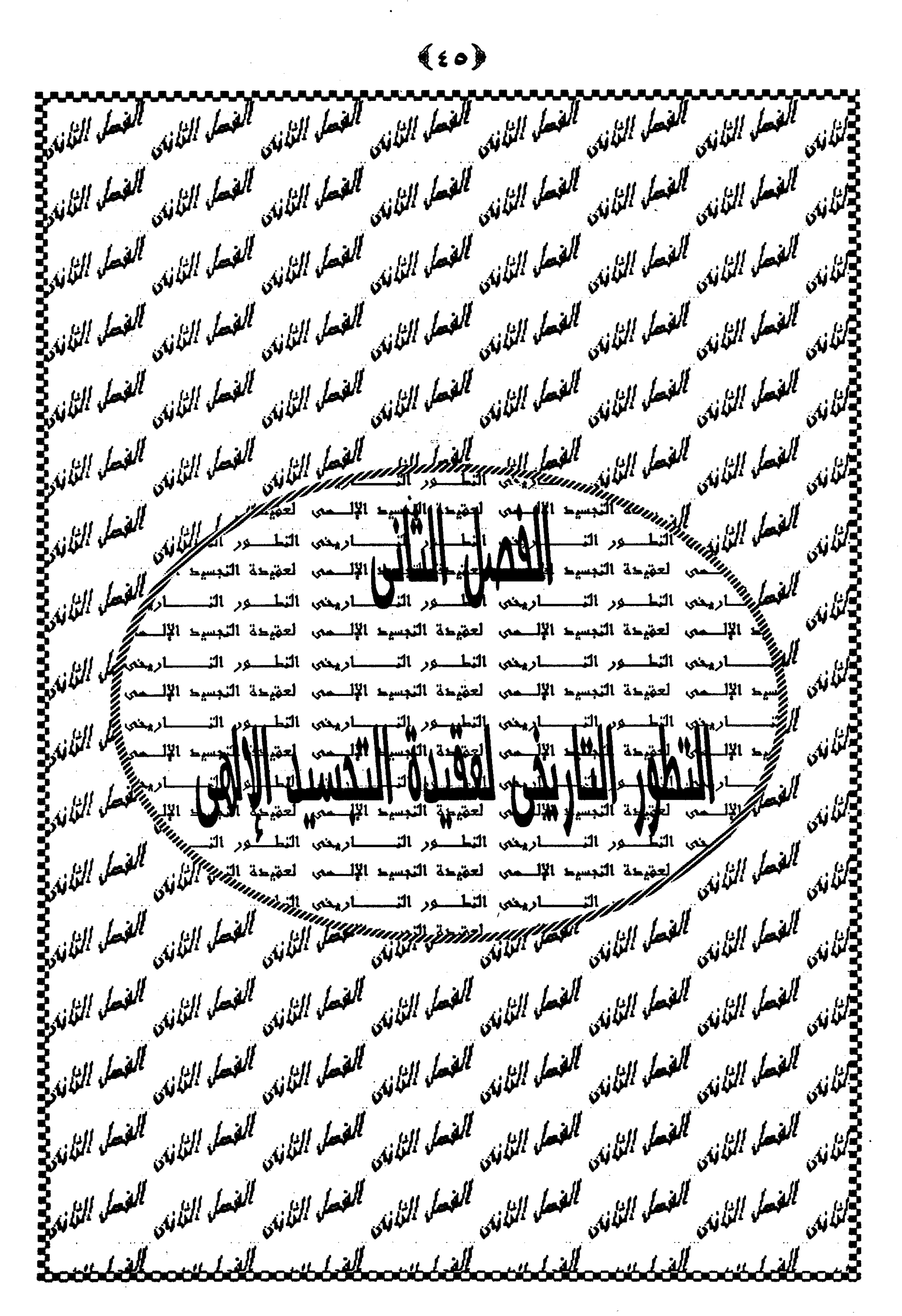
---

(١) مسألة الاستواء على العرش من حيث المفهوم شغلت العديد من المفكرين المسلمين ، حتى أنهم ألفوا فيها رسائل منها رسالة الاستواء على العرش للإمام ابن تيميه وغيرها .

(٢) الإمام أبو حامد الغزالى – إحياء علوم الدين جـ١ ص١٥٩ .

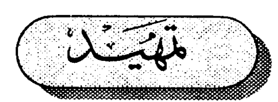
(٣) الأستاذ الإمام / محمد عبده – تفسير جزء عم ص١٣٤ – طبعة البحوث والثقافة بالأزهر .

(٤) الدكتور / على عبدالمنعم عبدالحميد – العقيدة الإسلامية ص٣٨ – دار القلم – الكويت الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .



الفصل الثاني

التطور التاريخي لعقيدة التجسيد الإلهي



من الثابت على وجه النصوص الدينية أن التوحيد هو الفطرة ، والعقيدة الإلهية الصحيحة التى جاء بها الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – ابتداء من أبى البشر سيدنا آدمﷺ ، حتى رسولنا سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى ﴿ " إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك " ﴾[١] ، وقال أيضا ﴿ " ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم " ﴾[٢] .

ومن المؤكد الذى لا يقبل منازعة لدى المتدينين ، أو أهل العلم بالله رب العالمين ، وأصحاب الفطر السليمة ، أن عقيدة التوحيد المنزه هى عقيدة إلهية خالصة لا تثنية[٣] ، فيها ولا تثليث[٤] ، ولا تشبيه ، كما لا تجسيم لقوله تعالى ﴿ " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " ﴾[٥] ، وبالتالى فكل نبى تعبده الله بالتوحيد الخالص ، وهو قد جعل قومه يتعبدون الله تعالى بذات التوحيد الخالص ، قال تعالى ﴿ " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه " ﴾[٦] .

غير أنه كلما خاصم القوم نبيهم ووقفوا فى وجه دعوته ، عاقبهم الله تعالى برفع أنوار النبوة عنهم ، بجانب ما قد يصبه من عقاب فى الدنيا عليهم ، وحينئذ تدرج

---

(١) سورة النساء – الآيتان ١٦٣/١٦٤ .

(٢) سورة فصلت الآية ٤٣ .

(٣) قال تعالى ﴿ " وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو إله واحد فإى فارهبون " ﴾ (سورة النحل – الآية ٥١) .

(٤) قال تعالى ﴿ " لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد " ﴾ (سورة المائدة – الآية ٧٣) .

(٥) سورة الشورى الآية ١١ .

(٦) سورة الشورى الآية ١٣ .

عقولهم فـى الضـلال ، وتنغمـس أفئدتـهم فـى البحـث عـن معبـود جديـد ، تبحـث عنـه مشاعرهم باعتبار أن التدين غريزة فطرية[١] ، لا تستغنى عنه نفس أبدا .

بيد أنه كلمـا انغمـس النـاس فـى بحـث تلـك المسـألة الميتافيزيقيـة[٢] ، علـى لغـة الفلاسفة والحكماء ، أو القضايا الإلهية على لغة علماء الكلام[٣] ، فإنهم فى كـل الحـالات يرتدون إلى قدرات العقل ، واجتهاداته ، مع أنه لا مجال لـه فيـها طالمـا كـان بعيـدا عـن أنوار النبوة ، وبالتالى فإن ارتدادهم يكون معكوسا ، فتظـهر عقـائد اصطنعوهـا بأنفسـهم ، وصورتها لهم أوهامهم ، يلجأون إلى تقديسها ، ثم عبادتها ، وفى نفـس الوقـت يوجـهون الناس إليها .

وهؤلاء وإن كانوا قلة فى مجتمعاتهم ، إلا أنه قد يكون لهـم مـن التأثـير القـوى مـا يجعل مراكزهم فى نفوس أتباعهم مؤثرا ، وربما بلغ مبلغ النبوة ، أو يزيد عليـه عندهـم ، حتى إن ما تمليه أفواههم يعتبرونه عقائد تجب المحافظة عليها ، وعـدم التخلـى عنـها ، وهم مقلدون لهم ، وكأنى بهم قد وضعوا عقولهم فى آذانهم ، فصارت معارفهم رهينة أفواه غيرهم .

« وقد يتمسك الناس بما قاله هؤلاء النشطون ، وقد يحاولون ترديده فى كـل آن ، وإذاعته فى كل مكان ، حتى يصل الأمر بهم إلى حد اعتقاده على أنه جوهر الدين ، وهـو فى الحقيقة عليه دخيل لا مكان له فـى الديـن ، ولا أصـل يتفـرع عليـه »[٤] ، أو أسـاس يقف عنده .

---

(١) راجع فى هذا الصدد الدين للدكتور / محمد عبدالله دراز ، والدين وحاجة الإنسان اليه للدكتور / محمود محمد مزرعة ، وكذلـك غريزة التدين للدكتور / نشأت خيرى ، وغيرهم ممن عنر ببحث الدين على تلك الناحية .

(٢) الميتافيزيقية - مصطلح يقصد به القضايا المتعلقة بمسائل العقيدة فى جانب اللاهوت - راجع ريـاض الأشـواق فى الميتافيزيقـا والأخلاق - الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى ص٨٥ ط الثالثة ١٩٩٨م - دار آل بسيونى .

(٣) علماء الكلام من أهل الإسلام يتناولون ذلك الجانب تحت اسم علم التوحيد الذى يبحثون فيـه مسـائل الإلهيـات والنبـوات والسمعيات - راجع الأربعين فى أصول الدين للعلامة الرازى حـ١ ص٣ ، من المقدمة للدكتور / أحمد حجازى السقا - طبعـة الكليات الأزهرية ١٩٨٧م .

(٤) الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى - عقيدتا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية ص٩ مـن المقدمـة - رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بالقاهرة مخطوطة ١٩٨٢م .

فإذا استمر ذلك الحال ، وتوارثه الأبناء عن الآباء ، ثم تركوه للأحفاد ، فإنه يتحول – مع أنه فكر غير صحيح – إلى عقيدة ثابتة ، وقواعد قائمة ، بل يضيف الأبناء الكثير إلى ما تركه الآباء ، ويعدلون فيه ويطورون طبقا لمقتضيات العصر الذى وجدوا فيه[١] ، والظروف التى أحاطت بهم ، من ثم فقد كان الله يرسل الرسل على فترات[٢] ، حتى يعيدوا الضالين إلى عبادة رب العالمين[٣] .

وكان الرسل فى أغلب الحالات يخفقون فى الوصول بتلك القطعان إلى عبادة الرحيم الرحمن ، ولذا كان ينجى الله هؤلاء الرسل ، ثم يسلط عذابه على الكافرين[٤] ، سواء كان الرسل وحدهم وباقى القوم من الكافرين ،

أو كان الرسل ومعهم قلة من المؤمنين ، حتى أن وعد الله لهم لم يتخلف[٥] ، إلا فى قوم يونس ، لقوله تعالى ﴿ " فلولا كانت قرية ءامنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين " ﴾[٦] ، وقال تعالى ﴿ " وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين " ﴾[٧] .

والدارس للظاهرة التى تحكم الأمر يرى التاريخ الفكرى العام قد تحدث عن أنماط كثيرة من الاعتقادات الفاسدة والعبادات الباطلة ، بعضها جاء فيه التثنية فى الإله بدل التوحيد ، وبعضها جاء فيه التثليث بدل التوحيد ، وبعضها جاء فيه التعدد الكثير

---

(١) قال تعالى ﴿ " وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه أباءنا أو لو كان ءاباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون " ﴾ (سورة البقرة – الآية ١٧٠)

(٢) قال تعالى ﴿ " وان من أمة إلا خلا فيها نذير " ﴾ (سورة فاطر – الآية ٢٤) .

(٣) قال تعالى ﴿ " أن تقولوا إنما أُنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين " ﴾ (سورة الأنعام الآية ١٥٦)

(٤) ودليل ذلك أن الأنبياء كانوا يقتلون . قال تعالى ﴿ " وباءوا بغضب من الله وضربت عليه المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق " ﴾ (سورة الأعراف – الآية ١١٢) ، وغيرها من الآيات القرآنية الدالة على ذلك .

(٥) من ذلك ما قصه القرآن الكريم قال تعالى ﴿ " قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم " ﴾ (سورة هود الآية ٤٨) ، وقال فى شأن عاد ﴿ " فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين " ﴾ (سورة الأعراف الآية ٧٥) ، وغيرها من آيات القرآن الكريم .

(٦) سورة يونس الآية ٩٨ .

(٧) سورة الصافات – الآيتان ١٤٧/١٤٨ .

بجانب التجسيم ، وبعضها الأخير جاء فيه التجسيد كصور لما يعتبر من التوحيد ، وهو عنه بعيد ، ذلك كله يعطى الدارس متسعا ، حتى يتمكن من رصد التسلسلات التى تمت وامتدت فيها عقيدة تجسيد الإله فى الماضى حتى وصلت إلى اليهود فى عهودهم المتلاحقة ، وربما امتدت فيما بعد إلى غير اليهود ، حاملة النمط والمعطى الفكرى الذى تتوارثه الأجيال البعيدة عن هدى السماء .

إذن هناك جانبان فى مسألة إثبات العقيدة الدينية وتصويرها وهما :-

الجانب الأول : الإيجابى :-

ونعنى به الذى يقوم على الدين السماوى ، بحيث تكون عقيدته وشريعته وأحكامه ومعاملاته كلها من عند الله الواحد المنزه جل شأنه ، وذلك هو الذى يأتى به الأنبياء والمرسلون ، ونحن نرى ذلك واضحا لدى علماء العقيدة والتفسير والحديث ، وغيرهم من أهل الإسلام ، وهو ليس موضوعا للمعرفة من حيث قبول العنصر الوضعى فيه .

الجانب الثانى : السلبى :-

ونعنى به الذى اخترعه البشر من عند أنفسهم ، طبقا لقدراتهم العقلية ، وأنماطهم الفكرية ، وتكويناتهم التى كان للخيال الدور الأكبر فيها ، ولم يأتِ الأنبياء[1] بها ، وإنما حاربوها[2] ، وأبطلوها[3] ، ووقفوا فى وجهها[4] ، واستعملوا ما شرعه الله لبيان فسادها .

---

(١) من ذلك قوله تعالى فى إبراهيم عليه السلام ﴿ " قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون " ﴾ (سورة الأنبياء - الآيتان ٦٦/٦٧) ، وقوله تعالى ﴿ " أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين " ﴾ (سورة الصافات - الآية ١٢٥) .

(٢) قال تعالى ﴿ " يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب " ﴾ (سورة الحج الآية ٧٣) .

(٣) قال تعالى ﴿ " وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس إتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم " ﴾ (سورة المائدة الآيتان ١١٦/١١٧) .

(٤) قال تعالى ﴿ " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون " ﴾ (سورة الأنبياء الآية ٢٢) .

ونحن من جانبنا سنركز على بيان هـذا الجـانب السـلبى ، الـذى نـراه قـد انطلـق هنا ، فأثر فى قوم أو تأثر بآخرين ، ثم انطلق فأضاف إليه اللاحقون من التصورات ما رأوا أنهم يصوبون به ما ترك الأقدمون ، وسـيكون ذلـك فـى محاولـة منـا لمتابعـة ورصـد تلـك التصورات التى عنى بها أصحابها كنماذج واقعية ، أو رموز فعلية للإله ، أو الآلهــة التـى يعتقدونها .

ونحن لا نضرب فى أعماق الزمن الغابر ، لأن ذلـك ليـس بإمكـان أحـد مـن البشـر باعتباره من قصص الغيب التى أخبرنا الله تعالى عن بعضها ، وأخفـى عنـا بعضـهـا ، فمـا حدثنا عنه فنحن نلتزم به ، لأنه النقل المنزل المعصوم ، وما لم يحدثنا عنه فـإن الالتفـات إليه قد يكون غير مقبول على الناحية الشرعية ، وإن كان مقبولا على ناحية الحكاية التى صارت فيما بعد – لدى أصحابها – عقائد لا يمكنهم الهرب منها ، أو التخلى عنها .

۞ ونحن سنحاول أيضا الإلماح إليها ، وليس التفصيـل الدقيـق لكـل صغـيرة وكبـيرة فيـهـا ، فذلك شأن المؤرخ وليس مهمة باحث علم مقارنة الأديان ، وسيكون ذلك على النحو التالى:

أولا : عند المصريين القدماء

يذكر المؤرخون أن المصريين القدماء كانت لهم حياة مستقلة وأفكار متوارثة وحضارة ضاربة فى أحضان الزمن الغابر ، قد تقدر بثلاثين ألف سنة أو تزيد أو تقل(١) ، وأنهم قد أقاموا تلك الحضارة فى الجانب المادى على المنتج العقلى ، أما الجانب الثقافى والدينى ، فقد أقاموه على ما صنعته لهم خيالاتهم .

وإن الدارس فى عقائد قدماء المصريين ليواجه بالعدد الكبير من أنواع الاعتقادات والعبادات ، عندهم ، ويمكن لى وضعها فى ثلاث مجموعات :-

المجموعة الأولى : تجسيدهم للإله فى شكل إنسان :-

ذهب المعنيون بالأمر إلى أن المصريين القدماء قد سمحوا لخيالاتهم أن تتصور معبوداتهم فى أشكال بشرية ، حتى إن بعضها « يتصف بالجمال ، كبتاح وحاتور ، وبعضها الآخر يتصف بالدمامة والقبح كبسو »(٢) ، وبعضها يجمع بين القبح والجمال ، ففى حالة الرضا عنه يكون جميلا ، وفى حالة الغضب منه يكون قبيحا دميما .

وأنهم قد أخذوا يتصورون هذا الإله الإنسانى فى أشكال بشرية خالصة ، وكل شكل منها له أجزاء من رأس وأطراف ، وجزع ، غير أن هذا الشكل كانوا يرون قبوله فيما بينهم على شكل التأليف المتكامل ، ((حتى حكموا بأن إلههم إنما هو فى شكل إنسان ورأسه رأس الحيوان الذى يظهر فى هيئته))(٣) .

وقد كثر ذلك لدى المصريين فى الماضى ، فظهر عندهم ما يسمى بالإله " مين " ، والإله " بتاح " فى منف ، والإله " أتوم " فى هليوبليس ، والإله " أمون " فى طيبة ،

---

(١) جيمس هنرى برستيد - فجر الضمير - ترجمة الدكتور / سليم حسن ، فقد عنى بالحديث عن الأسر والأنظمة التى تحكمها ، ونقل العديد من النقول التى أرجعت حضارة المصريين إلى ما يزيد عن ثلاثين ألف سنة .

(٢) الدكتور / إبراهيم عبدالله الحصرى - دراسات فى الملل والنحل ص٨٦ - أصول دين طنطا .

(٣) الأستاذ / محمد سيد كيلانى - تزيل على الملل والنحل للشهرستانى ص٣ سنة ١٩٦١م

وإله الموتى " أوزوريس " وإلهة النيل[1] ، بل كان إخناتون هو أيضا صورة متجسدة للإله البشرى الذى نصب نفسه ملك على البلاد ، وجمع الآلهة الشعبيين وكون منهم اتحادا عرف باسم توحيد إخناتون ، وقد كان المصريون آن إذ يعتبرونه إلها كاملا هو ابن إله الشمس .

المجموعة الثانية : تجسيدهم للإله فى شكل حيوان :

كثيرا من المؤرخين – إن لم يكن جميعهم – يذهبون فى حكاياتهم إلى أن المصريين القدماء جسدوا الإله فى شكل حيوان اعتقدوا فيه ، وعبدوه ، وقدموا له القرابين ، حتى كانت « عبادة الحيوان فى مصر جزءا أساسيا من الديانة المصرية القديمة »[2] .

وظلت تلك العبادة للحيوان سائدة فى مصر تتناقل لدى عصورها المتخالفة ، فلم يخل عصر من عصورهم التاريخية عن تلك العبادة ، التى تصور الإله فيها .

إذن من المؤكد على الناحية التاريخية أن عبادة الحيوان « كانت سائدة فى مصر فى مختلف العصور التاريخية »[3] قبل الإسلام ، لكنها لم تقتصر على حيوان بعينه ، بحيث يظل رمزا ، وإنما تنوعت حسب تصورهم للقوة التى يتميز بها ذلك الحيوان .

يقول أحد العلماء : « اتفق المؤرخون على أن المصريين كانوا يعبدون الحيوان ، ولا يستطيع أحد أن ينكر ذلك »[4] ، سواء أقام فى بلاد مصر ، أو لم يقم ، كما أن التماثيل التى يكشف عنها العلم يوم بعد آخر شاهدة على أن المصريين القدماء قد لجأوا إلى عبادة الحيوان كمظهر من مظاهر وجود الله عندهم .

(١) حفرى بارندر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٥٠ – ترجمة الدكتور / إمام عبدالفتاح – الكويت – عالم المعرفة العدد ١٧٣ لسنة ١٩٩٣م .

(٢) حفرى بارندر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٥١ – المصدر السابق

(٣) الأستاذ القس / حبيب سعيد – أديان العالم ص٣٢ – دار التأليف والنشر والكنيسة الأسقفية ١٩٧٧م .

(٤) الإمام الشيخ / محمد أبو زهرة – الديانات القديمة ص١٣ – دار الفكر العربى ١٩٦٥م .

◈ **غير ان التفسير الديناميكي للتاريخ يجيب على لماذا عبد المصريون القدماء الحيوانات الضارة ؟**

◈ **فيقرر** أن المصريين القدماء كانوا يعبدون الحيوانات الضارة اتقاء لشرها ، ومنها التمساح ، والثعبان ، لأن المصرى القديم لم تكن لدية قدرة فى ذلك الوقت على مواجهتها ، فاعتبرها قوة خارقة متميزة عن باقى القوى المحيطة به وسماها الإله ، وراح يداعبها فى هدوءه ، ويتمسك بها فى حله وترحاله ، ويقدم لها ألوان الطاعة ، وفروض الخضوع ، علها ترضى عنه ، أو تبتعد بشرها الذى لا يستطيع دفعه .

« إذن المصريون القدماء عبدوا الحيوان ، وقدسوه ، وكانت آلهتهم تظهر أمامهم ممثلة فى صورة الحيوان المختلفة ، ومنها العجل ، والتمساح ، والصقر ، والبقرة ، والأوزة ، والكبش ، والقط ، والكلب ، والدجاجة ، والخطاف ، وابن أوى ، والأفعى »[١] ،

« وكذلك عبدوا الجعران ، والعجل أبيس ، الذى رسموه على هيئة جسم إنسان ورأس حيوان »[٢] ، « والتيس والنعجة ، والنسناس »[٣] ، وغيرهما من الحيوانات التى أظهرت الآثار احتفاظهم بها وحرصهم عليها وتقديسها ، حتى يمكن القول بأن هذه الحيوانات عندهم « قدست لأنها رموز للآلهة التى كان يعبدها المصريون القدماء »[٤] .

وقد تناقل المصريون ذلك اللون من العبادة ، وأمسكوا به كميراث لم يتخلفوا عنه . من ثم فقد دفعوا مفكريهم ونحاتيهم إلى رسم الإله فى شكل حيوان مستقل ، أو فى شكل حيوانات هولامية غير معروفة .

---

(١) الأستاذ / أدولف أرمان – مصر القديمة " نشأتها وتطورها ونهايتها " ف أربعة آلاف سنة ص٩ – ترجمة الدكتور / عبدالمنعم أبو بكر ، والدكتور / محمد أنور شكرى – طبعة مصطفى الحلبى بدون تاريخ – اشراف وزارة المعارف العمومية .

(٢) جفرى بارتدر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٥٠ .

(٣) الشيخ / مصطفى محمد الحديدى الطير – أقباس من نور الحق – الجزء الأول ص٢٩ – سلسلة مجمع البحوث الإسلامية السنة التاسعة – العدد ٨٦ لسنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية .

(٤) الدكتور م عبدالغفار محمد عزيز وآخرون – الدين والإنسان دراسات فى الأديان والمذاهب القديمة ص٦٥ – الطبعة الأولى – مطبعة الفاروق الحديثة سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

بمعنى أن يكون ذلك الإله متجسدا فى بعض الكائنات الحية الغير محددة الهوية ، فقد يكون الشكل فى الأطراف بشكل إنسان خيالى ، له ساقان طويلة ، وسواعد قوية ، ومنكبان عريضان ، وصدر وجزع كبيران ، ثم توضع فوق ذلك الجسم رأس هى رأس الحيوان الذى يظهر أنهم صنعوا ذلك الإله فى هيئته .

ولذا كثرت الآلهة عند المصريين القدماء ، وتعددت مظاهرها ، ومنها " أتون ، رع ، أمون ، ايزيس ، سيت ، وغيرهم "[1] ، وربما تعرفوا على صورة للإله رسموها هادئة وديعة فى صورة حيوان وديع ، فلما احتاجوا إلى القوة تصوروه فى حيوان مندفع يرد الغاشمين ، ويعيد الفارين ، فإذا لم يتمكن من ذلك تصوروه فى أكثر الحيوانات عنفا وصرامة .

يقول أحد الباحثين : « وبعض هذه الحيوانات قدست لأنها رموز للآلهة التى كان يعبدها المصريون ، فالإله " توت " رمزه رأس أبى قردان ، والإله " أمون " رمزه رأس كبش ، والإله " بتاح " رمزه رأس عجل »[2] .

ويبدو أن العجل كان له النصيب الأوفى من تلك العبادة فى عالم الحيوان ، لأنه يجر المنافع ، فبألبانه الأكل والشرب ، الزيت والزبد ، وبلحمه بناء الخلية ، وأوجه الحياة ، وفى نفس الوقت فهو مصدر القوة ، ودليل الأبهة والعظمة ، التى يتفرد بها كثيرا عن غيره بالنسبة لهم ،

ولذا كانت عنايتهم به وبلوغه ذلك المبلغ فى نفوسهم ، وربما نرى أثر عبادة العجل لدى المصريين القدماء قد أخترق الزمن فرمى بهم داخل أعماق من نقرأ لهم ، أو نرصد تلك الحياة الفكرية عندهم ، أو نقارن القضايا المطروحة فى مؤلفاتهم .

---

(١) راجع ذلك التفصيل لدى الأديان فى كفة الميزان للدكتور / محمد فؤاد الهاشمى ص٢٦ وما عبدها .

(٢) الدكتور / عبدالغفار محمد عزيز – الدين والإنسان دراسات فى الأديان والمذاهب القديمة ص٦٥ .

المجموعة الثالثة : تجسيدهم للإله فى مظهر طبيعى (كونى)

ذكر المؤرخون أن المصريون القدماء قد صوروا آلهتهم فى أشكال الإنسان ، كما تصوروه فى أشكال الحيوان ، وفى نفس الوقت فإنهم ألهوا أجزاء الطبيعة كالشمس ، والقمر ، والسماء والأرض ، باعتبارها تقدم نفعا ، أو تدفع ضرا ، وكذلك المطر ، والزلازل ، والبراكين ، والرعد ، والبرق ، وكل مظاهر الكون التى يتوقعون خيرها ، ويكرهون شرها . قال تعالى ﴿ " لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون " ﴾[1] ، وظلوا على ذلك الحال فظهر عندهم آلهة محليين ، وهى التى يرونها باستمرار عندهم ، مثل " الشمس ، والأرض ، والنيل " وهى محلية لقصورها عليهم .

يقول أحد الباحثين : « وكان المصريون القدماء يعبدون مظاهر الطبيعة ، من شمس ، وقمر ، وسماء ، وأرض ، وأطلقوا عليها ألفاظا من عندهم تدل عليها متى أطلقت كألفاظ "سب" ويعنون بها الأرض ، "ونون" ويعنون بها السماء ، "ونو" ويعنون بها الماء الأصلى »[2] .

ولم يكتفوا بإطلاق الأسماء عليها ، وإنما راحوا يحددون لها وظائف بعينها ، راجعة إلى المصالح التى تؤديها ، أو المضار التى تدفعها ، فعبدوا النيل « لأنه هو الذى يهب مصر الحياة ، وكان يمثل له شكل ذكر وأنثى ، فله من الأنثى ثدياها ، ومن الذكر لحية طويلة »[3] تسقط حتى تقترب من منطقة الصدر ، باعتبار أنه مظهر الحياة ، وقوة الوجود ،

وفى نفس الوقت فإنهم قسموا مظاهر الطبيعة من ناحية العبادة إلى مجموعات ، كما قسموا الحيوانات إلى مجموعات أيضا ، فكان من مجموعة الآلهة الشمسية ، « "رع"

(١) سورة فصلت – الآية ٣٧ .

(٢) الدكتور / إبراهيم عبدالله الحصرى – دراسات فى الملل والنحل ص٨٦ .

(٣) الأستاذ / محمد سيد كيلانى – تذييل على الملل والنحل للشهرستانى ص٤ .

أعني الشمس ، "وآمون" ويعنون به القمر »[١] ، وكذلك "حتحور" إله السماء ، « التى اتخذت شكل البقرة السماوية ، فصوروها فى جسم ورأس بشريين ، ولكن مع تاج يمثل قرنى البقر »[٢] .

إذن البقرة والعجل كانا من الحيوانات التى ألهها المصريون القدماء ، سواء باعتبارها الحيوانى ، أو باعتبارها مظهرا من مظاهر وجود الإله فى الطبيعة ، أو باعتبارها ذات الإله نفسه .

وقديما ذكرت الدراسات التاريخية أن المصريين القدماء تصوروا الشمس والنيل إلهيين اثنين على وجه العموم ، « وكان لهما التطور الدينى والعقلى فى النفوس منذ أقدم العهود »[٣] .

وهكذا ينتهى بنا الأمر إلى أن المصريين القدماء عبدوا الإله على الشكل الذى رسمته لهم مشاعرهم ، وخيالاتهم ، وقد كان الثور والبقرة هما فى الغالب المحور الذى قامت تجسيدات الإله لدى المصريين القدماء فيه .

ومن المعروف أن اليهود قد أقاموا لدى المصريين القدماء فترات متقاربة طويلة ، وأنهم قد رأوا ثقافات المصريين ، وأطلعوا على عبادتهم وعقائدهم ، وأنهم تأثروا بتلك الأفكار فى الجوانب المادية والثقافية ، بل والدينية أيضا ،

وأن ذلك ظل مع اليهود يتوارثونه فيما بينهم ، كما يتوارث المصريون الثقافات فيما بينهم ، دون أن يفصح اليهود عن المصادر التى استقوا منها ثقافتهم ، وهى فى نفس الوقت قد صار وجودها عندهم علامة على قبسهم إياها من الثقافة المصرية القديمة .

---

(١) الدكتور / إبراهيم عبدالله الحصرى - دراسات فى الملل والنحل ص٨٦ .

(٢) حفرى بارندر - المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٥١ .

(٣) جيمس هنرى برستيد - فجر الضمير ص٤٣ - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ثانيا : عند الكلدانيين

هم الذين كانوا يسكنون " كلديا " فى جنوب بابل قديما ، وكانوا هم الجنس الغالب بين سكانها[١] ، ولذا فقد شغلوا كل المناصب الرفيعة فى تلك المنطقة ، وتولوا أمر السلطة والسياسة ، وكان غيرهم يقوم بالأعمال الأخرى طبقا لقاعدة سيادة الأغلب ، وقد ملئوا كل المناصب الكهنوتية فى عاصمتهم بمن هو كلدانى ، حتى صارت تلك الوظائف قاصرة عليهم ، وفى نفس الوقت « اعتقد شعب بابل أن هؤلاء الكهان يملكوا ناصية الحكمة ، ولهم معرفة سحرية ، ومقدرة فائقة على العرافة ، والكهانة ، والتنجيم ، ومعرفة الغيب »[٢] ، وغير ذلك من الأمور التى تأتى على تلك الناحية .

وكثير من المؤرخين يذهبون إلى أن الكلدانيين كانت لهم علاقات ثقافية مع المصريين ، وأن تلك العلاقات بلغت حد الامتزاج فى بعض الأحيان ، وبخاصة أن هناك قواسم مشتركة بين أهل بابل والمصريون القدماء ، وأن الحضارة التى تميزت بها مصر قد انتقلت إلى بابل عن طريق اقتباسها والتأثر بها ، ولم تكن هناك حواجز تحول بين القوم الكلدانيين وبين ثقافة المصريين .

ولما كان الكلدانيون قد تأثروا بثقافة المصريين فى أنماط حياتهم ، فإنهم أيضا قد حاولوا إشباع غريزتهم الوجدانية عن نفس المصدر لتصورهم أنه ما دام أمر الثقافة كان لصالح المصريين فى الجانب المادى ، فإنها أيضا لصالحهم فى الجانب الدينى ، الذى لا يمكن أن يكون هناك مصدر آخر يمكن إشباعه عن طريق سواه .

من ثم أخذ الكلدانيون عن المصريين عبادتهم ، واعتبروها آلهة لهم ، كما هى عند المصريين ، ومن تلك الآلهة الشمس ، وسائر النجوم ، بل وجرى إطلاق تسميات آلهة المصريين على نفس تسميات آلهة الكلدانيين ، مع اختلاف طفيف جدا فى الحروف المعبرة .

---

(١) استمر هذا الأمر من سنة ٧٢١ / ٥٣٩ ق.م - قاموس الكتاب المقدس ص ٧٨٤ .
(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٧٨٥ .

يقول أحد الباحثين : « إن الكلدانيين أخذوا عن المصريين عبادة الشمس ، وسائر النجوم ،

وكان من أشهر آلهة الكلدانيين :-

[١] **الإله بعل**[(١)] ، **أو أمون ، وهو إله الشمس**[(٢)] : الذى يعبر عنها ، وتعبر هى من خلاله ، ولا يمكن تصورها بدونه ، أو تصوره هو بدونها ، فالعلاقة بين بعل - أمون - والشمس علاقة متبادلة ، وكانت قائمة لدى المصريين القدماء ، وهى أيضا ظلت قائمة فى نفوس الكلدانيين ، وكل من تأثر بعبادة الإله بعل هو متأثر بالفكر المصرى القديم على ذلك الجانب .

[٢] **الإله عشتروت أو إيزيس - إله الجمال**[(٣)] ، وهو الذى كان يحفل به المصريون ويقسمون به ، بل كان غالبا عندهم على غيره فى بعض الأحيان ، بدليل أنه ذكر فى رواياتهم الأدبية على أنه مصدر الجمال ومظهره ، ومن يطالع أسطورة إيزيس يجد ذلك واضحا[(٤)] ، وأهل كلديا قد امتصوا تلك العقيدة من المصريين القدماء ، ثم نقلوها كفكر ثقافى دينى أيضا لكل من أمكنهم التعامل معه أو التأثير فيه .

[٣] **حورس أو تموز إله الخصب والنماء**[(٥)] ، وكان المصريون يحفلون به ويناجونه ويكثرون من تقديم القرابين له ، وبخاصة إذا قلت مياه الأمطار ، أو امتنع النيل عن الفيضان ، وقد قام الكلدانيون بتصوير ذلك الإله عندهم ، وجعلوه رمزا للخصوبة والنماء ، كما هو عند المصريون القدماء ، وأقاموا له التماثيل والأصنام ، والمذابح

---

(١) ويبدو لى أن بعل هذا قد ظل يتقلب جنبات التاريخ من المصريين القدماء إلى كل من حاورهم ، أو أخذ من ثقافتهم ، أو التزم اعتقاداتهم .

(٢) الدكتور / محمد فؤاد الهاشمى - الأديان فى كفة الميزان ص٣٣ - دار الحرية ١٩٨٦م .

(٣) الدكتور / محمد فؤاد الهاشمى - الأديان فى كفة الميزان ص٣٣ .

(٤) شغل المصريون القدماء بإنشاء الأساطير وحكاياتها ، وقد أخذ عنهم اليونان وغيرهم ، ذلك اللون من الثقافة الأسطورية ، ثم أضافوا إليه الكثير من عندهم .

(٥) الدكتور / محمد فؤاد عبدالباقى الهاشمى - الأديان فى كفة الميزان ص٣٣ .

والمحرقات ، كما كان يفعل المصريين القدماء تماما بتمام من غير منازعة في المسألة .

وإذا كان لنا أن نغمس أقلامنا في مداد التاريخ فإنا سنسجل به تأثر الكلدانيين بالمصريين ، وتأثير الكلدانيين فيمن جاورهم ، أو تعامل معهم من البابليين ، أو غيرهم ، أو من أهل كلديا ممن كانوا يعيشون كخدم في حماية رجال الكهنوت الكلداني .

وإذا كان لنا أن نقرأ التاريخ الذي ينتهي بنا إلى أن آزر والد إبراهيم عليه السلام كان كلدانيا ، فمن المؤكد أن هذا الوالد قد تأثر بذلك الفكر حتى صار صانعا لأصنامه بائعا لها ، وذلك مما قص علينا القرآن الكريم طرفا كبيرا عنه ،

📖 من ذلك :

﴿الله﴾ قوله تعالى ﴿ " وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين " ﴾[1] ،

﴿الله﴾ وقوله تعالى ﴿ " واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا – إلى أن قال – قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا " ﴾[2] .

﴿الله﴾ وقوله تعالى ﴿ " ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين " ﴾[3] .

ولما كانت الثقافات تتزاوج بعضها بعضا ، فإن عبادة الآلهة المتعددة المتجسدة قد انتقلت من الكلدانيين إلى من تعاملوا معهم على تلك الصورة المجسمة ، وإذا كنا قد رأينا قاعدة تأثر اللاحق بالسابق قائمة ، وحاولنا تطبيقها ، ربما نجد أن الفكر اليهودي قد تعامل معها ، وطور قليلا فيها ، أو رجع بها إلى الأصول التي قامت عليها في التجسيد التام للإله ، وذلك ما سوف نتعرف عليه أثناء بحثنا لتلك المسألة إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة الأنعام – الآية ٧٤ .

(٢) سورة مريم – الآيات ٤١/٤٦ .

(٣) سورة الأنبياء – الآيات ٥١/٥٣ .

ثالثا : بلاد الرافدين[1]

عرفت أنواع كثيرة من المعبودات فـى بـلاد الرافديـن ، وكـانت فـى الغـالب الأعـم تتعلق بالقوى الخارجية التى اعتبروها آلهة تتحرك هنا وهناك من خلال مظاهر تقوم بها ، أو تعبر عنها ، غير أن تلك المعبودات لم تكن كلها على قدر واحد من العناية والاهتمـام أو الشهرة والزيوع .

ولذا يحسن بنا أن نقدم إلفاته إلى تلك العبادة :-

(١) القوى المؤثرة فى أنماط الحياة : -

عبد ساكنو بلاد الرافدين القوى التى كان لها تأثير فى حياتهم اليومية ، « فعبدوا القمر ، وعرف عندهم باسم سين تنا ، ومعناه رجل السماء ، وكانت له زوجه تسمى ننجل وأنجبا – كما يزعمون – الإله شمش إله الشمس ، والإلهة عشتر ، واعتبروا إله النار نسكو ابنا لها[2] ، ولا شك أن ذلك المعبود الغيبـى قد جسـدوه فـى صـورة تبعـث فـى نفوسـهم الطمأنينة ، أو تبعد عنهم اليأس والقنوط لكنها فى كل الحالات مظهر من مظـاهر تجسـيد الإله عندهم فى صورة مرئية .

كذلك لجأ القوم إلى عبادة « كوكب المريخ وأسموه مردوخ إله الحرب ، وعبدوا معه كوكب الزهرة ربة الحب ، وكانوا يطلقون عليـها اسـم عشـتار ، وعبـدوا أيضـا أنـو ، إلـه السماء »[3] .

ولم تكن تلك العبادة إلا تجسيدا حقيقيا لفكرة ذهنية لها وجود فى الوجدان انطلاقا داخل المعايير التى تنطلق منها النفوس فى محاولة لإشباع ذلك الجانب الذى يبحـث عـن حاجياته الاعتقادية .

---

(١) بلاد الرافدين مصطلح يطلق على كل البلاد الواقعة بين نهرى دجلة والفرات – راجع الدكتور / فتحى محمد الزغبى تأثر اليهوديـة بالأديان الوثنية ص١٠٩ .

(٢) الدكتور / نجيب ميخائيل إبراهيم – مصر والشرق الأدنى القديم جـ٦ ص١٢٤ – الطبعة الأولى – دار المعارف ١٩٦١م .

(٣) الأستاذ / عباس محمود العقاد – الله كتاب فى نشأة العقيدة الإلهية ص١٠٢ – دار المعارف ١٩٨٠م – الطبعة الثامنة .

كذلك عبدوا الشمس لا باعتبار أنه كائن علوى ، وإنما باعتبار أنـه « الـذى يـهب الحياة ويحيى الموتى ، وأن لـه زوجـا وأبنـاء ، حتـى كـان لـه مستشـارون يعاونونـه فـى القضاء »[١] .

ومثل هذا الإله تقوم عبادته عندهم باعتبار المصالح والمنـافع التـى تتوالـد عنـه علـى سبيل الإكراه ، أو الاختيار طبقا لما هو مستقر فى أعراف سكان بلاد الرافديـن ، وهـى إن تكن أعرافا فاسدة إلا أن تمسكهم بـها جعلـها تتنـامى فـى عقولهـم ، وتسـتمر معـهم ولا تتخلف عنهم ، وهم فى كل حال إنما يبحثون عن مظاهر متجسدة لذلك المعبود عندهم .

(٢) المظاهر الجوية :-

لجأ سكان بـلاد الرافديـن فـى الأغلـب الأعـم إلى عبـادة الصواعـق ، والعواصـف ، والرعد ، والبرق ، والمطر ، ورمزوا لتلك الظواهر الجويـة برمـوز ماديـة ، « حيـث جعلـوا الإله أدد ممثلا العاصفة سواء فى مظهرها اللين السخى من مطر وفيضان ، أو فـى مظـهرها العنيف المدمر من برق وإعصار ، وكان يوجد الإله ننجرسو على أنه إله العاصفة »[٢] .

ولا شك أن هذه الظواهر قد تجسدت فى مفـاهيم هـؤلاء باعتبارهـا آلهـة طبيعيـة لا باعتبارها مظهرا من مظاهر الألوهية ، وذلك فى حد ذاته يمثـل نوعـا مـن التطـور السـريع المتلاحق فى تجسيد العقيدة الدينية .

ومن البين أن هؤلاء القوم قـد نسـبوا إلى آلهتـهم سـواء مـردوخ أو مـردوك أو غيرهـا صفات البشر الروحية والمادية ، وأنهم توغلوا فـى عـرض تلـك المفـاهيم ، وتقديمـها حتـى صارت لدى الأحفاد ميراثا وصل إليهم عن الأجداد .

يقول أحد الباحثين : « ينسب إلى آلهة بلاد الرافديـن العديـد مـن صفـات البشـر الروحية والمادية ، كالصورة ، والأعضاء ، والفكر ، كمـا هـو عنـد الإنسـان تماما بتمـام ،

(١) الدكتور / نجيب ميخائيل – مصر والشرق الأدنى القديم جـ٦ ص١٢٨ .
(٢) المصدر السابق جـ٦ ص١٣٥ .

وكذلك ينسب إليهم الأفعال التى يمارسها البشر فى حياتهم الخاصة والعامة »[١] ، فهم يأكلون ويشربون ، وينكحون ، ويبيعون ، ويشترون ، لكن فى حدود ما تسمح به ظروفهم ، فإذا لم تتح لهم الفرصة للقيام بذلك الدور ، فإنهم يلجأون فيه إلى إنابة غيرهم ، حتى يؤديه عنهم .

وفى نفس الوقت فإن تلك الآلهة المجسدة هى أيضا أفكار مجردة[٢] ، وأنهم يأخذون هذه من تلك ، ويعكسون الأولى على الثانية ، بمعنى أنهم يستلهمون معبوداتهم من الصور الطبيعية ، ثم يحولون الآلهة إلى صور طبيعية ، فينعكس الأمر معهم ويستقر فى أعماقهم .

ويذهب أحد الباحثين : « إلى أن تلك الآلهة التى اعتقدها أصحاب بلاد الرافدين تعيش ، وتأكل وتتزوج ، ثم تلد ، وهى تسكن فى بيوت أيضا ، كما أن لكل إله منها زوجا ، أو زوجات ، وسرار ومعشوقات ، ولكل واحد من تلك الآلهة بنون وبنات »[٣] .

كما أن كل إله منها يقع له التسامح ، كما يرد عليه الغضب ، وتسيطر على جوانحه نزعة التشفى والانتقام التى تتولد عنها مظاهر العنف المدمرة ، وألوان الحروب غير المنقطعة ، وهو ما عرف باسم حرب الآلهة .

غير أن ذلك التجسد للإله قائم فى مفاهيم القوم على الصورة الحسية المتكاملة حتى يمكن القول « بأن الآلهة لدى سكان بلاد الرافدين قد انطلقت من عبادة الأفكار إلى عبادة الأوثان ، وعبادة الأشخاص »[٤] ، الذين تحولوا فيما بعد إلى آلهة أسطوريين فيهم تجسد واضح ، وعنف قائم ، ونفوس قلقة لا تلين .

والآلهة المجسدون هؤلاء يتألمون ، كما يفرحون ، حتى إنهم يتخاصمون ، ويتحاربون ، وبالتالى فالإله عندهم يمثل أفضل جوانب الطبيعة البشرية وأسوئها معا[٥] ،

---

(١) الدكتور / فتحى محمد الزغبى – تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص ١٥٠ .

(٢) الأستاذ الدكتور/ محمد حسينى موسى محمد الغزالى – دراسات فى التراث اليهودى ص٢١ – ط آل بسيونى ١٩٩٦م .

(٣) فتحى محمد الزغبى – تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص١٥٠ .

(٤) الدكتور / سعد الدين صالح – مدخل لدراسة الأديان والملل والنحل ص١٥١ – الطبعة الأولى ١٩٩١م .

(٥) الدكتور / فتحى محمد الزغبى – تأثر اليهودية بالأديان السماوية ص١٥٠ .

فهو صورة للإيجابيات والسلبيات ، وهو صورة للخير والشر ، وهو أيضا الموقع التى تتجمع فيه كافة المتناقضات ،

ومن المؤكد أن تلك العبادة قد نفذت فى تخوم البلاد المجاورة لبلاد الرافدين ، كما أثرت فى ثقافة بنيٍّ تلك البلاد ، حتى يذكر المؤرخون وجود نوع من الاتفاق بين الساميين المستمرين على تلك الآلهة سواء فى المفهوم أو المنطوق .

بل أن تلك المعبودات قد تسللت إلى فكر البابليين أيضا ، حتى قالوا « إن أتون إله السماء قد انهزم أمام جحافل تيمات ، فلم ينتصر إلا بعد أن برز من الماء بطل هو مردوخ رب الجنود ، وسيد الحروب[1] ، وهو نفس الإله الذى استنام فى أحضانه سكان بلاد الرافدين ، وتسمى بالأسماء العديدة عندهم .

بل إن الدارس ليسمح لنفسه بالتأكيد ، على أن هذه الآلهة المجسدة قد انتقلت إلى كل من تعامل مع هؤلاء على سبيل التُجارة ، أو تبادل المنافع ، فضلا عن الإقامة فيهم والسكنى بينهم ، وحيث قد أقام اليهود جيلا بعد جيل ، وعاشوا فترات متقطعة من الزمان فى بلاد الرافدين ، فهم قد اطلعوا على عقائدهم ، ونقلوا عنهم ، وتناقلوا تلك العقائد فيما بينهم ، كأنها ملك خاص لهم ،

فلما بعث الله نبيه موسى ﷺ إليهم ، كانت لديهم أفكار مسبقة عن الآلهة المادية المجسدة ، ومن ثم فإن تلك الأفكار ربما قد تكون تاركة أثارها على هؤلاء القوم ، بحيث لم يستطيعوا التخلص منها ، أو الانفلات عنها ، أو ربما تكون لدى البعض القدرة على القفز من قيودها ، أو الخروج من أغلالها ، وذلك ما سوف تنتهى إليه الدراسة كنتائج لا كمقدمات وتوصيات .

---

(١) الأستاذ / عباس محمود العقاد - الله ص١٠٤ .

رابعا : لدى الهنود

ذكر المؤرخون أن سكان بلاد الهند قد تأثروا بغيرهم من البلاد المجاورة ، أو التى كان بينها تعامل ، وأن ذلك التأثر كان فى كافة الجوانب ، سواء فى العقيدة ، أو المعاملات ، فضلا عن الثقافة والمعارف ،

بحيث يمكن القول « بأن بلاد الهند صارت حصيلة لتجارب ، وثقافات وعقائد الآخرين ، حتى أنهم التقطوا شيئا من المصريين ، وآخر من البابليين ، وارتضعوا ثالثا من بلاد الرافدين ، وتمثل ذلك كله فى أنهم عبدوا " النار واعتبروها المعبود المقدس ، والذى تقدم له القرابين ، وعبدوا الشمس ، وعبدوا الحيوانات المخيفة كالتنين والوحش »[1] ، وهى التى سبق أن عرضنا جزءا منها لدى المصريين القدماء وغيرهم .

بيد أن هؤلاء الهنود قد ظهرت فيهم طوائف عديدة ، كل طائفة منها تتبع شخصا على سبيل العبادة له ، أو الاعتقاد فيه ، أو باعتبار أنه حق مقدس له منحته الآلهة الأقدمون إياه ، وكانوا فى كل حالاتهم يركزون على آلهة مجسدة مادية ، وإن اختلفت الألفاظ المعبرة ، فإن الدلالة واحدة .

❁ نلمح ذلك فى البراهمة الذين عبدوا ثلاث آلهة هى :-

[١] براهما ، وهو الإله الخالق العظيم .

[٢] فشنو ، وهو القوة الحافظة أو الإله الحامى للخليقة .

[٣] سيفا ، وهو القوة التى تفنى وتفيد وتحول[2] .

وهذه الثلاثة مجتمعة تمثل قوة واحدة هى قوة الإله براهما نفسه ، أو بمعنى آخر فإن براهما فى هذه الآلهة الثلاثة يمثل الرأس ، بينما ما بعده يمثلان الأجنحة ، فلا يطير

---

(١) الشيخ / محمد أبو زهرة – الديانات القديمة ص٥٣ .

(٢) الدكتور / محمد فؤاد الهاشمى – الأديان فى كفة الميزان ص١٥ – دار الحرية ١٩٨٦م .

الإله بجناح واحد ، كما لا يمكن التعرف عليه من خلال رأس فقط ، ولذا فإن هذه الآلهة الثلاثة تكونت عنها فكرة متجسدة « اعتقدوا حلولها فى بعض الأجسام ، فعبدوا الأصنام ، ولهذا تعددت الآلهة عندهم »[١] ،

بل وكثرت كثرة كبيرة فاقت غيرها من البلدان التى ظهرت فيها عقائد تجسيد الإله ، وهو ما يؤيد الفكرة التى وقفنا عليها ، من اعتبار بلاد الهند بمثابة الخزينة ، أو المحصلة التى انصبت فيها أفكار السابقين .

ويذكر المؤرخون ، ومن يعنون بدراسة مقارنة الأديان أن الهنود اعتقدوا حلول بعض آلهتهم فى إنسان اسمه كرشنا التقى فيه الإله بالإنسان ، أو حل اللاهوت[٢] ، فى الناسوت[٣] داخل كرشنا نفسه[٤] .

ولا نعجب إذا رأينا أمريكا يقف أهلها مع مطالع القرن العشرين ، ثم يرددون نفس الأفكار ، تحت اسم عبادة هارى كرشنا ، حيث يقوم أتباع تلك الجماعة بحلق جزء من الرأس من الجانبين والخلف ، ثم يقفون فى جماعات منتظمة ويرددون عبارات كثيرة منها هارى كرشنا عدة مرات .

« وهذا المذهب منتشر بوضوح فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وله أتباع كثيرون ، ومؤسسة عالمية ، ويذهب أحد المتخصصين فى شئون الهند وأديانها بأن حركة كرشنا العالمية تنتشر فى أوساط الغرب ، دون أن تتنازل الحركة عن تراثها الشرقى الذى قد يبدو غريبا على المجتمع الغربى[٥] .

---

(١) العلامة الشيخ محمد أبو زهرة – الديانات القديمة ص٩٧ .

(٢) اللاهوت مصطلح يقصد به طبيعة الله نفسه – قاموس الكتاب المقدس ص٨٢٠ ، وهى المفهوم من الروح الإلهى فى المؤلفات التى تتعرض لذلك المفهوم .

(٣) الناسوت مصطلح يقصد به التجسد فى شكل من الأشكال ، ولذا يقولون أن الناسوت قد حل فيه اللاهوت فوقعت الحياة ، كما يقولون فارق اللاهوت الناسوت ، فوقع الموت على الجسم ، وعند دعاة المسيحية أن يسوع صلب ، وأن الصلب وقع على الناسوت ، وهو الجسم الطينى ، بينما نجا اللاهوت – راجع عنايات الأبدية للقس أنور خليل – ط الثالثة ١٩٦٧م .

(٤) العلامة الشيخ / أبو الحسن النداوى – ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص٤٨ – ط العاشرة – دار النصر للطباعة ١٩٩٤م .

(٥) مجلة الأمة القطرية – العدد الخامس عشر – السنة الثانية ربيع الأول ١٤٠٢هـ – يناير ١٩٨٢م ص٣٥ نقلا عن عقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية للدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – رسالة ماجستير مخطوطة .

ويذهب أحد الدارسين إلى أن « كرشنا تقوم الفكرة عند أتباعه على تجسده الإلهي في تسع صور أعلاها هو تجسده في هاري كرشنا ذاته الذى ألف كتابهم المقدس المعروف باسم " جيتا " ،

حيث أرسله إلى الناس ليبلغوا الكمال ، ويتخلصوا من كل الآلام ، وأن كرشنا متى حل في إنسان يستطيع الواعي له أن ينهي كل مشاكله ، بل وينقله إلى حالة الارتباط الكامل ، بذلك الإله الذى يصير جزء منه »[1] .

وعلى كل فإن الهنود لم يكونوا أحسن حالا من غيرهم ، وإنما كانوا يرددون ويجسدون الإله بشكل واسع جدا ، بحيث يمكن القول بأن هذا الإله قد ظهر في براهما ، كما ظهر في فشنو ، وكذلك سيظهر في غيرهم طالما كانت الفكرة قائمة على هذا النحو من التجسيد للإله .

ويذهب الدارسون إلى أن إله الهنود المتعدد في أسمائه - براهما ، فشنو ، سيفا ، كالي - قد تعددت صورة ومظاهرة ، كما تعددت الملامح الجسدية التي تصون كافة جوانحه ، وتبرز التجسد الإلهي في العديد من الأشكال ، حتى ذهب أحد دارسي فكر الشرق القديم إلى أن :

" كالي " هي الإله الذى ولد من صلب رب الغضب ، وهي أشد صور هذا الإله قوة وإثارة للرهبة في النفوس ، ثم إن " كالي " هذي ترتدي جلد نمر ضارب للسواد ، وتتقلد قلادة جماجم ، وتحمل في يدها عصا تعلوها جمجمة ، وفي الأخرى إنشوطة الموت ، لها لسان دموي ولها عيون غائرة محمرة ، وبشرة خشنة ، وصوت مدو يملأ الأفاق ، إنها حقا صورة الموت والدمار ، فهي قوة رهيبة مدمرة للمردة لإنقاذ الأرباب[2] .

---

(١) عقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية ص٢٨١ للدكتور / محمد حسيني موسى محمد الغـزالي - رسالة ماجستير مخطوطة بكلية أصول الدين القاهرة ١٩٨٢م .

(٢) جون كولر - لفكر الشرقي القديم ص١٥٩ - عالم المعرفة - ترجمة كامل يوسف حسين - الكويت العدد ١٩٩ .

وهذا كله يعطينا تصور قد ينتهى إلى قريب من النتائج المعمول بها ، حيث يذهب فريق من المؤرخين إلى أن « الديانة الهندية لا تخلو من قبس منقول إليها من البابلية والمصرية وقد اشتملت كذلك على أنواع شتى من الآلهة »[١] .

ويذهب غيره إلى أن الهنود « عبدوا التماثيل الحجرية ، سواء فى صور رمزية أو فى صور طبيعية ، واعتبروا تلك الصور رموز تعبر عنها الأشجار أو الحيوانات ، التى من أبرزها الأفاعى ، والثيران مثل ثور سيفا »[٢] ،

وغيرها من تلك الحيوانات حتى قيل « إن الحية كانت من الحيوانات التى يقدسونها نتيجة لما تبعثه فى نفوسهم من الخوف ، ولقد رسم على جدارن المعابد صور كثيرة لها »[٣] .

وقد تأثر بتلك الأفكار كل من تعامل معهم ، أو عاش بينهم ، ولم تحفظه عناية الله من السقوط بين مخالب شيطان الهوى ، أو التردى فى معافر الضلال ، كما أن الدارس يرى وقوع الهنود فى تلك الأفكار ،

وكذلك تأثر من تعامل معهم بها ، حتى أن بعض الدارسين يذهب إلى وجود عناصر متشابهة بين تلك الأفكار الهندية ومثيلاتها فى اليهودية ، حيث أن رب السماء " حامى النظم الأخلاقية " وهو الإله الأكبر فارونا فى الهندية ، يرقى إلى مستوى إله اليهود

(١) الأستاذ / عباس محمود العقاد – الله ص٧٥ .

(٢) جفرى بارندر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١٦٣ .

(٣) الأستاذ / عبدالمنعم النمر – تاريخ الإسلام فى الهند ص١٠ – الطبعة الأولى – دار العهد الجديد للطباعة ١٣٧٨هـ/١٩٧٩م .

" يهوه " ، بل هو شبيه به تماما ، وكذلك الإله " أجنا " إله النار المعروف بأنه مخيف ورهيب بجانب طبيعته النارية التى تنزل الأذى بالعصاة[١] .

ومن المعلوم أن اليهود قد عاشوا فى آسيا التى تمثل الهند جزءا منها ، وأنهم تنقلوا داخل الهند وأقاموا بين أهلها ، ورأوا ما عليه الناس من تلك العبادة ، ولكن هل تأثروا بها ، أم أنهم ظلوا حيارى ، يتخبطون حتى جاءهم موسى عليه السلام ؟

أم أنهم تخلوا عن شرع الله الذى بعث به موسى عليه السلام ، ثم انطلقوا على رغباتهم وأهوائهم ، يقتبسون من ديانات هؤلاء ، وعبادة أولئك ، ثم يصدرونها للآخرين على أنها عقائد مقبولة ؟ أم هناك احتمال آخر ؟ ذلك ما سوف نلمح إليه عند حديثنا عن عقيدة تجسيد اليهود للإله التى هى صلب ذلك البحث .

---

(١) الدكتور / محمد جابر عبدالعال الحينى – فى العقائد والأديان ص٩٦ بتصرف يسير – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م

خامسا : لدى اليونان

أمة اليونان لها جذور قديمة فى التاريخ ، وهى وإن لم تكن أقدم الأمم ، إلا أن أهلها استطاعوا أن يقتبسوا من الأمم المجاورة لهم ، أو أصحاب الحضارات القائمة بينهم ،

ولم يكن ما يقتبسونه فى كل المجالات ، وإنما فيما يقدم إليهم نفعا ، فى جوانب الحياة المختلفة ، غير أن مشاعر القوم الوجدانية كانت تحكمهما نزعات . بعضها قائم على المشاعر ، وبعضها مستمد من العواطف ، وبعضها الآخر ينهض لتحقيق المصالح ، أو دفع المضار ،

وقوم حالهم كهذا من الممكن أن يظهر فيهم مفكرون ، وأهل رسم وفنون ، وأصحاب معارف ومبدعون ، لكن نظرا لارتباطهم بالحضارات القائمة ، فقد حرصوا على التقليد والمتابعة ، حتى بلغوا سن النضج العقلى ، فكانت لهم نتاجات فيها شيئا من الجدة ، ولكنها تابعة لغيرها فى الأصول القائمة عليها .

بيد أن الدارس لعقائد اليونان يراها لم تكن على مستوى يتميز عن سابقه ، وإنما كانت غارقة فى تقليد الآخرين ، حتى أنهم عبدوا العديد من الآلهة وصلت فى بعض الأحيان إلى ما يربو على تسعة عشر إلها ، وفى بعض الأحيان كانت تنقص إلى أحد عشر إلها منها « إله الشمس ، وإله القمر ، وإله الليل ، وإله النهار ، وإله الحرب ، وإله السلم ، وإله الجمال ، وإله المطر »[1] .

وأن هذه الآلهة المتعددة قد صارت لبعضها تجسدات طبيعية ولبعضها الآخر تجسدات غير طبيعية ، لكنها فى كل الحالات آلهة « يأكلون ، ويشربون ، ويلعبون ، ويلهون ، ويخوضون المعارك ، فيغلبون ، أو يغلبون ، وفوق ذلك فهم يتألمون ويفرحون ،

---

(١) الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى - رياض الأشواك فى الميتافيزيقا والأخلاق ص٩٣ - ط أولى - دار الشروق ١٩٩٦م

ويحزنون ، ويتباغضون ، بل ويتحاسدون ، فيتحقادون ، والويل لمن تعرض لهم ، أو أغضبهم ، فإن غضبهم لا حد له ، وإن عقابهم الشديد جدا »[١] .

وآلهة اليونان فيها تجسدات البشر على أوسع نطاق ، بل وتجسدات الحيوان أيضا كأنها صورة مما ذكر لدى فكر المصريين القدماء مضافا إليه ما تركه أصحاب بلاد الرافدين ، وما تناقل لدى الهنود ، بحيث يمكن القول بأن اليونان صرفوا مفاهيمهم الدينية على ناحية حسية تجسدية نسبوها لآلهتهم على ناحية ملموسة حسية .

فهم من وجهة نظرهم « يتناسلون ، ويناسمون ، ويمرضون ، ويرتكبون الجرائم ، ويتزوج ذكورهم من الإناث ، وهم بعد ذلك عبدوا الأسلاف والطواطم ، ومظاهر الطبيعة ، وأعضاء التناسل ، كما عبدوا النيازك ، وحجارة الرواسب » [٢] .

ولا شك أن آلهة اليونان قد تعددت في أسمائها ، وصفاتها الملازمة لها ، أو سماتها التى تنطبق عليها ، مما يصعب حصر ذلك كله فى رسالة علمية هدفت إلى تقديم فكرة موجزة عن تطور تلك الديانة ، وتجسداتها ، لا عن فحصها على وجه تفصيلى[٣] .

أما آلهتهم فقد تعددت مسمياتها ، ومنها :-

[١] الإله " زيوس " ، وهو الإله ديوس المعروف فى الديانة الهندية الآرية .

[٢] " الربة أرتميس " ، مثلها الربة أفروديت ، أو فينوس ، وهى الربة عشتار اليمينة البابلية .

[٣] الربة ديمتر ، هى إيزيس المصرية ، وكذلك سرابيس ، وهو اسم مركب من اسمى أوزيريس ، وأبيس المعبودين المصريين[٤] .

---

(١) الدكتور / محمد فؤاد الهاشمى - الأديان فى كفة الميزان ص٣٤ - دار الحرية ١٩٨٦م .

(٢) الدكتور / عبدالغفار محمد عزيز - الدين والإنسان دراسات فى الأديان والمذاهب القديمة ص٢٢٤ - دار الفاروق الحديثة - الطبعة الأولى ١٩٨٢م

(٣) ذلك شأن المؤرخ لعبادة اليونان ، أما دارس الأديان المقارنة ، فإنه يكتفى منها بتقديم نبذة عنها ، وقد التزمته فى ذلك الفصل .

(٤) الأستاذ / عباس محمود العقاد - الله ص١٠٥ .

ولا شك أن ذلك التعدد فى الآلهة ليس له ما يبرره ، لأنـها عبـادة باطلـة ، ولكـن خيال القوم قد صور لهم آلهتهم الكثيرة بهذا الشكل ،

وفى نفس الوقت فإنهم قد جعلوا لتلك الآلهة وظائف منها ما هـو موكـل بـالليل ، ومنها ما هو موكل بالنهار ، « أما الموكل بالليل عندهم فهو إله فى صـورة امـرأة متراخيـة الأعضاء يداعب النعاس جفونها ، وفـى يدهـا مشـعل مقلـوب ، وكـانوا يعتقـدون أن كبـار آلهتهم يقيمون فوق جبل الأليب أو اليمبس »[1] .

❁ **وفى تقديرى** : أن هؤلاء القوم قد قبسوا عقائد وثنية ، ثم أضافوا إليها من عندياتهم مـا سمحت به أهوائهم ، لا ما استقر فى ضمـائرهم ، لأن التديـن فطـرة ولا يمكـن مخالفـة الفطرة ،

❁ أما إذا لم تنطبق تلك الفطرة على ناحية سليمة ، فـإن النتـائج سـتكون حتمـا سـلبية ، ودليل ذلك أننا رأينا مفكرى اليونان الذين أبدعوا فى بعض المجالات العلمية قد وقعـوا فى المفاهيم الدينية ، ولم يخرجوا منها سـالمين ، وإنمـا انتـهوا إلى نتـائج هـى الإلحـاد بعينه ، وذلك ما تناولته الكتب التى قد عنيت بذكر هذا الجانب عندهم .

وسوف أضع بين يدى الدارس قائمة ببعض آلهـة اليونان التى وقفت عليها على سبيل العرض لا التناول ، حتى تكون لدى الدارس صورة عن تلك الآلهـة المجسمة عندهم .

[١] **زيوس** : إله الزمن ، ولترا إله الأرض .

[٢] **أثينا** إلهة الحكمة ، والعلوم ، والفنون ، وكانت مقربة إلى كبير الآلهة .

[٣] **هستيا** إلهة النار .

[٤] **أبولو** – أحد أبناء زيوس ، خصه أبوه بالضوء ، وهو الذى يقود عربة الشمس .

(١) الدكتور عبدالغفار محمد عزيز – الدين والإنسان ص١٦٩ .

[٥] ارتميز : وهى ابنة زيوس ، وتوأما لأخيها أبولو ، وهى فى الأرض إلهة الغابات والصيد ، وفى السماء إله القمر ، يشبهونها بامرأة مكشوفة القدمين فى ثياب الصيد ، وفوق جبينها هلال .

[٦] ديمترا : وكانوا يعتقدون أنها هى التى علمت الإنسان حرث الأرض ، وبذر الحبوب ، وكانوا يشبهونها بامرأة تجرى بحثا عن ابنتها " يروسر بينا " ، وأحيانا يتمثلونها امرأة وعلى رأسها إكليل من نبات القمح .

[٧] هفيستس : وهو أحد أبناء زيوس ، وهو عندهم إله الحديد والنحاس والفضة والذهب ، ويرمزون له برجل فى يمناه مطرقة ، وفى يسراه ملقط .

[٨] أيرس " مارس " وهو إله الحرب ، يرمزون له برجل قوى فى لباس الحرب ،

[٩] أفروديت " فينوس " إلهة الجمال ، والحب ، ويمثلونها مبتسمة ابتسامة تكشف عن ثناياها راكبة عربة تجرها بجعتان ؛

[١٠]ديونيس : وهو الذى علم الناس زراعة الكرون ، وقد مثلوه برجل يركب برميلا ، وفوق رأسه إكليلا من أوراق العنب ، وله قرنان دلالة على القوة .

[١١]تميس : وهى عندهم إلهة العدالة والقانون والسلام ، ويمثلونها ، وهى تقبض بإحدى يديها على السيف ، وترفع بالأخرى الميزان ، وقد وضعت عصابة فوق عينيها رمزا ، لعدم التحيز لأحد المتخاصمين .

[١٢]أيروس " كيوبيد " : وهو رمز الحب يمثلونه بطفل جميل له جناحان ، وفى يده قوس ، وبجعبته سهام ، وهو يصيب بها الناس خبط عشواء .

[١٣]جوفيتس ، وهى ساقيه الآلهة ، ورمزوا لها بامرأة توجت رأسها بالأزهار ، وفى يديها قدح[١] .

---

(١) الدكتور / عبدالغفار محمد عزيز وآخرون - الدين والإنسان دراسات فى الأديان المذاهب القديمة ص١٦٧/١٧١ - مطبعة الفاروق الحديثة ١٩٨٢م .

وكذلك انتشرت فى اليونان عبادة الآلهة الأنثى ، لأنها تمثل قوة الخصوبة فى الطبيعة[١] .

وقسم أحد الباحثين الآلهة عند اليونان إلى سبعة مجموعات :-

(١) آلهة السماء

(٢) آلهة الأرض .

(٣) آلهة الخصب .

(٤) الآلهة الحيوانية .

(٥) آلهة ما تحت الأرض .

(٦) آلهة الأسلاف والأبطال .

(٧) الآلهة الأوليمبية[٢] .

ولقد صور اليونان ألهتهم بهيئات بشرية ، وحسبوها ذات صفات إنسانية صالحة ورديئة ، فهم فى نظرهم « يأكلون ، ويشربون ، ويتناسلون ، وينامون ، ويمشون فى الأسواق ، وتنتابهم الأمراض ، ويتزوج ذكورهم بإناثهم ، وقد يتصل ذكورهم بإنات البشر وإناثهم بذكور الآدميين »[٣] .

ولهم أقرباء كما للبشر ، ولهم أولاد وأسر ، فأمهم ربه وأخواتهم أرباب ، وأنصاف أرباب ، ولهم تاريخ وحوادث وقصص ، ومن آلهة اليونانيون السماء والأرض والبحر والشمس والزمن[٤] .

وهكذا نرى العقلية اليونانية قد جسمت[٥] ، إلهها فى الأشكال التى سبق ذكرها ، وقد كانت أمة اليونان يضرب بها المثل فى الماضى باعتبار الناحية العلمية التى قبسوها من

(١) جفرى بارندر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص٦١ .

(٢) الدكتور / ول ديوانت – قصة الحضارة – الجزء الأول من المجلد الثانى حياة اليونان ص٣٢١/٣٢٨ – ترجمة محمد بدران – الطبعة الثالثة – لجنة التأليف والتراجم ١٩٦٩م .

(٣) الدكتور / على عبدالواحد وافى – الأدب اليونانى القديم – دلالته على العقائد اليونانية ص١١ – دار نهضة مصر ١٩٧٩م

(٤) الإمام محمد أبو زهرة – الديانات القديمة ص١١٢/١١٣ – دار الفكر العربى ١٩٦٥ .

(٥) أقصد بالتجسيم للإله هنا تعدد المظاهر والصور ، بجانب تعدد الذوات على ما هو مبين فيما سلف من صفحات .

مدارس الإسكندرية وغيرها[١] ، غير أن بعض الإغريق قد وثقوا فى الجانب الإيمانى لدى اليونان ثقتهم فى الجانب العلمى[٢] ، فسقطوا فيه ، كما سقط من قلدوهم ، وكانوا معا من مجسدة الإله أصحاب الفكر المادى المنحرف .

ولا شك أن اليهود قد تعلقوا فى الماضى بما خلفه اليونان شأنهم فى ذلك شأن باقى الأمم التى تقع فريسة التقليد من غير طلب دليل[٣] ، وأنهم قد استقوا من اليونان العديد من الأفكار ، لكن هل قبسوا من اليونان شيئا مما يتعلق بالجانب العقدى فى مسائل تجسيد الإله .

◈ أم أنهم وقفوا بعيد عنه ؟!

◈ ذلك ما سوف نعرض له فيما يأتى إن شاء الله تعالى

---

(١) وقد ذكر الكثير من الدارسين ذلك الأمر راجع ربيع الفكر اليونانى - د/ عبدالرحمن بدوى ، وكذلك فجر الإسلام وضحاه للأستاذ / أحمد أمين ، والفكر الشرقى القديم بجانب غيرها من المؤلفات التى تعرضت لتلك الناحية .

(٢) وهى مقايسة خاطئة لأن الجانب الإيمانى قلبى أما الجانب العلمى ، فعقلى ، ولا تصح المقارنة بين العقلى والعلمى إذا قصد إثبات التشابه ، أو اعتبار إحداهما مقياسا للأخر .

(٣) يذهب العلماء المسلمون إلى أن التقليد نوعان :

الأول : تقليد محمود ، وهو تقليد العالم بدليل يثبت عند المقلد من أن العالم كانت لديه القدرة على الاجتهاد بجانب الالتزام الشرعى ، فتقليده حينئذ يكون نوعا من المعرفة المحموده كتقليدنا نحن أصحاب المذاهب الرئيسية فى الفقه الإسلامى وهم الإمام أبو حنيفة ، الإمام مالك ، الإمام الشافى ، والامام أحمد بن حنبل ، وغيرهم .

الثانى : تقليد مزموم كتقليد العوام وأهل الفسق ، أو من ليس لديه دليل أو فاقد القدرة على اقتناص الدليل من النصوص الشرعية ، والذى أثبتت التجارب العلمية خطأه ، فذلك تقليد مزموم ، فنهى عنه شرعا - راجع فتاوى الإمام ابن تيميه - المجلد العاشرة ص٣٢ ، وما بعدها ، وكذلك كتاب أوراق مطوية فى التصوف والصوفية للدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى ص١٤٧ وما عبدها - الطبعة الرابعة .

۞ **مما سبق اتضح لنا :**

[أ] أن عقيدة التوحيد المنزهة لله تعالى جاء بـها الأنبياء والمرسلون فى نصوص قطعية باعتبار الدلالة والورود[(١)] ، وأن هؤلاء الأنبياء والمرسلون قد بلغوا أممهم ، وظل أهل التوحيد على ذلك فى كل نبوة صحيحة النسبة لله رب العالمين لقوله ﷺ « نحن معاشر الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد »[(٢)] .

[ب] أن غير التوحيد[(٣)] الإلهى يكون من وضع البشر ، وقد تناقل ذلك الوضع صور كثيرة بعضها وقع فى :-

[١] **تعدد الآلهة باعتبار التثنية** ، والله تعالى قد بين فساد ذلك ، فقال ﴿ " وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد " ﴾[(٤)] .

[٢] **تعدد الآلهة فى أكثر من اثنين** ، والله أخبرنا بأن ذلك كفر ، فقال تعالى ﴿ " لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم " ﴾[(٥)] .

[٣] **الآلهة المتعددة من غير حصر لعدد** ، والله تعالى أخبرنا بأن ذلك ليس من مدركات العقول السليمة ، ولا الفطر المستقيمة ، لأن الله قال ﴿ " قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعلى عما يقولون علوا كبيرا " ﴾[(٦)] .

---

(١) يقصد بقطعية الورود صحة نسبته إلى الله تعالى ، ويعرف أيضا باسم قطعى الثبوت ، أما قطعى الدلالة فمعناه عدم وجود معنى أخر يحتمله اللفظ - راجع فى هذا الشأن كتب علماء الأصول من الفقهاء والمفسرين بخاصة الأحكام فى أصول الأحكام للإمام الأمدى ، وأصول التشريع الإسلامى للدكتور / على حسب الله .

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده جـ٢ ص٣١٩ - دار الفكر .

(٣) هناك فرق بين التوحيد كعقيدة يتمكن منها العامى والمتعلم ، ولا يحتاج موظفا يقوم بها ، وبين علم التوحيد الذى تحكم القواعد والأصول ، ويتمكن منه المتقن لها العارف بها ، فهى أشبه ما يكون بوظيفة من الوظائف يقوم بها من يتقنها .

(٤) سورة النحل الآية ٥١ .

(٥) سورة المائدة الآية ٧٣ .

(٦) سورة الإسراء الآيات ٤٢/٤٣ .

[٤] **تجسيم الإلـه وتجسيده فى صورة بشرية** ، يـأكلون ، ويشـربون ، وينكحـون ، ويجرى عليهم ما يجرى على أصحاب الصور من غضب وضيق وفرح سرور وندم ، واتخاذ قرارات خطأ وصواب ، وذلك مما يتنزه عنه البارئ جل علاه ﴿ " سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا " ﴾(١) ، وقال سـبحانه ﴿ " سـبحان رب السماوات والأرض رب العرش عما يصفون " ﴾(٢) .

[٥] **تجسيد الإله فى صور حيوانيـة** كـالبقر والأفعى ، والثعبـان ، باعتبارهـا مظـاهر للإله ، أو هى الإله نفسه ، وذلك كفر صراح ، وإلحاد غير بواح ، عوامل الوضـع فيه طوفاح ، والله سبحانه وتعالى بين أن ذلك مـن قبيـل سـقطات العقـول ، لأنـه تعـالى مـنزه عـن كـل ذلـك ، قـال تعـالى ﴿ " ليـس كمثلـه شـيء وهو السـميع البصير " ﴾(٣) .

[٦] **تجسيد الإله فى قوى الطبيعة أو مظاهر الكون** ، كالليل ، والنـهار ، والظلمـة ، والنور ، أو الشمس ، والقمر ، أو المطر ، والعواصف ، والزلازل ، والـبراكين ، إلى غير ذلك مما وقعت فيه العقول ، وانزلقت إليه الأفهام ، ولا يمكن نسبه شيء من ذلك لله تعالى .

[٧] **تجسيد الإله فى مظاهر أخرى** تحمل صورا مزدوجة كأن يكون الجسد لحيـوان ، بينما الرأس والأطراف على شكل إنسان ، أو العكـس ، وهـو مـا يعـرف بالشـكل الهولامى(٤) ، التى لا تتحدد معالمه ، ولا تتضح تفصيلاته ، ولا يمكن قبولـه علـى الناحية العقلية السليمة .

---

(١) سورة الإسراء الآية ٤٣ .

(٢) سورة الزخرف الآية ٨٢ .

(٣) سورة الشورى – الآية ١١ .

(٤) الهولامى : مصطلح يقصد به الصورة المجسمة التى لا تظهر لها أطراف على وجه متكامل .

[٨] **أن بعض العقول قد التزمت ذلك الباطل واعتبرته قاعدة دينية** يتمسكون بها ويقاومون أنبيائهم ، إذا دفعوهم إلى الابتعاد عنها[١] ، وقد تأثر بتلك الأفكار العديد من الطوائف ، وتناقلتها الكثير من المفردات ، يعرف ذلك من له إلمامه بتاريخ الأديان .

[٩] **أن بعض تلك الأفكار قد توالت في بعض الأمم** حتى صارت عقائد يتناقلها الناس[٢] ، ليس لها أساس مقبول ، ولا تقوم على أسس معقولة ، وهو مما عرفت به الأديان[٣] الوضعية عموما ، كما ظهر في الديانات التي قامت تسميتها على أصول مقبولة ، ثم انحرف بها أتباعها ، بحيث لم يعد لها وجود باعتبار القواعد والأسس ، وأن ذلك قد تناقلته بعض المفاهيم ، وهو ما سوف نعرض له فيما بعد .

[١٠] **أننا نؤمن بالله الواحد المنزه الذى لا مثيل له** ، ولا شبيه ، ولا ند ، ولا شريك له ولا والد له ، ولا ولد ، ولا زوجة ، ولا صاحب ، لا يعلمه على الحقيقة إلا هو جل علاه ،

﴿ كما نؤمن بأن التجسيد له جل علاه لا يمثل إلا بعض صور الشذوذ الفكرى الذى يعيش في بعض الأفهام ، ولسنا نرجحه ، ولا نرتضيه ، وإذا كنا سنعرض له فتلك ناحية علمية دراسية لا ناحية اعتقاديه ، والفرق بين الأمرين كبير جدا .

(١) قال تعالى ﴿ " أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب " ﴾ (سورة ص الآية ٥) .

(٢) كالحال مع المصريين القدماء والكلدانيين ، والهنود ، واليونان وغيرهم .

(٣) نقصد بالفظ الأديان هنا المورد اللغوى فقط باعتبار أن لفظ الدين في اللغة يطلق على العديد من المعان - راجع في هذا الشأن الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان للدكتور / محمد عبدالله دراز .

الفصل الثالث

مراحل اليهودية



مراحل اليهودية(١)

الدارس لمقارنة الأديان يجد نفسه مضطرا لتتبع العقائد اليهودية بدءا من نبى الله موسى عليه السلام حتى عصر نزول القرآن ، مرورا بما بينهما بغرض التعرف على الظروف والملابسات التى واكبت تلك المراحل ، فقد يكون لذلك أثره المهم فى النتائج التى نتوصل إليها ، وذلك يقتضى تقسيم الحديث عنها فى المراحل الآتية :-

المرحلة الأولي مع نبى الله موسى (عليه السلام) :

من يحاول تقديم نبذة عن اليهود قبل موسى عليه السلام حتى إبراهيم الخليل ، أو غيره ، إنما مثله مثل من يبحث عن قطة سوداء فى غرفة مظلمة ، أو من يجمع حطبا بأرض فلاة ، اشتد به الريح ، فلا هو عائد بما جمع ، ولا وفر على نفسه الجهد ، ومثل ذلك لا يوثق فى حكمه ، ولا يطمئن لنتائجه ، وسوف لا نسير فى هذا الطريق ، ولنبدأ حديثنا مع نبى الله موسى عليه السلام ،

فمن هو موسى عليه السلام ؟

ربما يأتى الجواب على هذا السؤال بأنه سؤال بسيط ، فلا يحتاج إلى جواب ، غير أن الدارس المدقق يرى ورود لفظ موسى فى العهد القديم(٢) ، ولدى شراحة وممن يتمسكون به مع اكثر من شخص ، وسنقدم لمحة عنه فى كتبهم :-

فيذهب كتاب العهد القديم : إلى أن موسى اسم مصرى معناه ولد ، وفى العبرية معناه منتشل ، وهو قائد الأمة العبرانية(٣) ، وهو موسى بن عمرام بن قهات بن لاوى ، كان نبيا عاين شبه الرب ، وبقى أربعين يوما مع الله فى السحاب على سيناء ، وقبل

---

(١) هود رحلان حوله إلى دين اليهود ، وهاوده مايله ووداعه - دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدى - مطبعة معارف القرن العشرين ١٣٤٣هـ .

(٢) يتمسك اليهود بالعهد القديم ويسمونه بأسماء كثرة تجرى فيما بينهم ، كما يتمسك به دعاة المسيحية ، ويعتبرونه والعهد الجديد شيئا واحدا ، ويعلنون ذلك فى كتبهم .

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٩٣٠ .

وفاته راجع مع الشعب سنن الناموس ، ولخص لهم تاريخ رحلاتهم ومعاملة الله لهم ، ويوم وفاته صعد إلى رأس الفسجة ، ومع أنه بلغ المائة والعشرين سنة من العمر ، لم تكل عيناه ، ولا ذهبت نضارته ،

وفى لحظة وفاته أراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان ، وجميع ففتالى وأراضى إفرايم ، ومانس ، وجميع أراضى يهوذا إلى البحر الغربى والجنوب والدائرة بقمة أريحا مدينة النخل إلى صوغر ، ثم مات ودفنه الرب فى الجواء فى أرض مؤاب مقابل بيت فغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم ، ولم يقم نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجه لوجه[١] ،

وقد اختلف العلماء والمؤرخون فى تحقيق زمن موسى ، فقد ظن بعضهم أنه كان معاصرا للملك تحتمس الثالث[٢] ، وأن الخروج من مصر حدث فى أيام الملك أمون حتب الثانى ١٤١١/١٤٣٦ ق م وقد ظن آخرون أنه حدث فى أيام الملك رع رمسيس الثانى ١٢٢٣/١٣٩٠ ق م ، كما ظن غيرهم أنه حدث فى أيام نفتاح ١٢١١/١٢٢٣ ق م[٣] .

وهناك موسى منصب يراد به المعلم والمفسر[٤] ، الذى يقوم على خدمة الشرع ، كما أن هناك موسى إله الحق[٥] ، وكذلك موسى لسان الشر الذى يخترع المفاسد[٦] ، وهناك موسى المستأجرة التى يحلق بها جسم إسرائيل[٧] ، كما يوجد موشى[٨] بن مرارى بن لاوى .

---

(١) المرجع السابق ص٩٣٢ .

(٢) هو أحد ملوك مصر القدماء ، فيما بين ١٤٩/١٤٣٦ ق م .

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٩٣٣ .

(٤) المصدر السابق ص٩٣٣ .

(٥) سفر العدد إصحاح ٦ عدد ٥ ، وربما يستخدم اللفظ عندهم بأله يحلق بها .

(٦) المزمور ٥٢ عدد ٢٠ .

(٧) سفر اشعياء - إصحاح ٧ عدد ٢٠ .

(٨) سفر الخروج إصحاح ٦ عدد ١٩ ، وكذلك سفر العدد إصحاح ٣ عدد ٢٠ ، سفر الأخبار الأول إصحاح ٦ عدد ١٩ .

وهكذا يتعدد اسم موسى عندهم تعددا كبيرا ، والذى يركنون عليه كنبى لهم هو موسى بن عمرام بن قهات بن لاوى ، على ما سلف ذكره ، غير أننا سنتحدث ها هنا عن موسى بن عمران[١] ، الوارد ذكره فى القرآن الكريم ، والحديث الشريف .

تربى فى دار فرعون ملك مصر ، وكان فى رعاية الله لا فى رعاية فرعون ، صنعه الله على عينه ، فحماه وأعطاه النبوة ، فكان كليم الله[٢] ، قال تعالى ﴿ " وكلم الله موسى تكليما " ﴾[٣] ، وبينما كان موسى عليه السلام يسير فى الطريق وجد رجلين يقتتلان هذا من شيعته ، والآخر من عدوه ، فاستغاثه المظلوم ليخلصه من ظلم الظالم ، فجاء موسى ووكز الظالم ، فكانت القاضية ، التى لم يقصدها موسى .

ندم موسى على ما فعل ، وقال ما حكاه القرآن الكريم . قال تعالى ﴿ " ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له إنه هو الغفور الرحيم " ﴾[٤] .

ندم موسى على ما فعل واستغفر ربه على ما فرط منه فغفر له ربه إنه غفور رحيم[٥] ، فلم يطب لموسى المقام بين هؤلاء القوم إذا رأى أن النفوس المريضة تحاول التربص به ،

حتى أن أحد المقربين منه نصحه بالخروج من تلك البلاد ، حتى لا يقع شىء من شرورهم عليه ، قال تعالى ﴿ " وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا موسى إن الملأ

---

(١) الشيخ عبدالوهاب النجار – قصص الأنبياء ص١٨٩ – مكتبة دار التراث – الطبعة الثانية ١٩٨٥ .

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة – خاتم النبيين جـ١ ص٥٣ – العهد المكى ١٤٠٠ هـ – المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية "قطر" .

(٣) سورة النساء الآية ١٦٤ .

(٤) سورة القصص – الآيتان ١٥/١٦ .

(٥) راجع الشيخ / محمد أحمد جاد المولى وآخرون – قصص القرآن ص١١٥ ط العاشرة ١٩٩٦م .

يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إنى لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين " ﴾ [١] .

🟐 لكن إلى أين يتجه موسى ، وقد خرج من دياره ؟

۞ لقد ساقته يد العناية الإلهية حتى يتجه إلى مدين[٢] ، قال تعالى ﴿ " ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل " ﴾ [٣] .

وفعلا ذهب إليها ، فلما دخلها وجد رهطا يتزاحمون على الماء يريد كل أن يأخذ حاجته منه ، وفى نفس الوقت استرعى انتباهه وجود امرأتين تحاولان الحصول على كمية من الماء لتسد بها الحاجة ، ولكنهما لا يتمكنان من الوصول إلى الماء ، قام موسى فسألهما عن موقفهما ؟ فكان الجواب : أن والدنا شيخ كبير ، وليس عندنا رجل يقوم بهذا الدور .

وقص القرآن الكريم علينا هذا الأمر فى بيان محكم . قال تعالى ﴿ " ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تزودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال ربى إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير " ﴾[٤] .

حدثت الفتاتان والدهما عما حدث مع هذا الشاب القوى ، وقالت كل منهما فيه خيرا ، فطلب أبوهما من إحداهما استدعائه ليعطيه أجر ما سقى ، فتولت إحداهما القيام بهذا الدور ،

وفعلا حضر موسى لمنزل الرجل الكبير الذى توسم فيه خيرا ، وصار مقيما فى تلك البلاد مصاهرا منها ، فلما قضى موسى الأجل المضروب بينهما فى قوله تعالى ﴿ " قال إنى

---

(١) سورة القصص - الآيتان ٢١/٢٠ .

(٢) هى بلد تقع بين الشام والحجاز ، وهى بلاد واقعة حول الخليج العقبة عند نهايته الشمالية ، وشمال الحجاز وجنوب فلسطين - الشيخ عبدالوهاب النجار - قصص الأنبياء ص١٩٨ .

(٣) سورة القصص - الآية ٢٢ . .

(٤) سورة القصص الآيتان ٢٤/٢٣ .

أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك " ﴾ (١) .

داعبه الحنين في العودة إلى ديار تربى فيها ، ومراتع الصبى التي درج بينها ، وملاعب الأقران التي كم تمتع بها ، بل صار حنين الشوق يجاذبه في العودة إلى أمه وأسرته ، التي عرفها بعد أن كان غائبا عنها .

ومن هنا قرر موسى عليه السلام أن يتجه نحو مصر مرة أخرى بعد سنوات الاغتراب ، وهم موسى بالرحيل ، حتى إذا كان بوادي طوى المقدس ، وقد بلغ الأربعين أراد الله أن يجعل عودة موسى عليه السلام إلى ديار المصريين محمولا على أكف الراحة ، حيث يكون نبيا ورسولا إلى هؤلاء القوم الذين تربى فيهم وليدا ، وخرج من بينهم طريدا ، حتى يعود إليهم كليما ،

وقد قص القرآن الكريم علينا هذا كله في أسلوب حكيم . قال تعالى ﴿ " وهل أتاك حديث موسى إذ رءا نارا فقال لأهله امكثوا إني ءآنست نارا لعلي ءاتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى " ﴾(٢) .

ومن هنا صار موسى عليه السلام مبعوثا يحمل رسالة الله إلى قومه من بني إسرائيل الذين يقيمون في مصر . قال تعالى ﴿ " فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل " ﴾ (٣) ،

إلا أن فرعون لم يرض أن يكون موسى نبيا ، وراح يطعن في أصله(٤) ، مرة ونسبه أخرى(٥) ، ولسانه ثالثة(٦) ، وقد انتهى الموقف بتحديد موعد ليقف فيه موسى بمعجزته

(١) سورة القصص الآية ٢٧ .
(٢) سورة طه – الآيات ٩/١٤ .
(٣) سورة طه – الآية ٤٧ .
(٤) قال تعالى على لسان فرعون ﴿ " ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين " ﴾ (سورة الشعراء الآية ٢٦) .
(٥) قال تعالى ﴿ " أم أنا خير من هذا الذى هو مهين " ﴾ (سورة الزخرف الآية ٤٣) .
(٦) قال تعالى ﴿ " ولا يكاد يبين " ﴾ (سورة الزخرف الآية ٤٣ .

فى مواجهة فرعون وأباطيله ، وقد انتهى كل ذلك بانتصار موسى عليه السلام وإعلان سحرة فرعون إيمانهم بالله رب العالمين تاركين فرعون اللئيم[١] ، وقد قص علينا القرآن الكريم هذا الإيمان الرائع من سحرة فرعون ، قال تعالى ﴿ " فألقى السحرة سجدا قالوا ءامنا برب هارون وموسى " ﴾[٢] .

❁ جاء موسى عليه السلام لقومه بدين سماوى يشتمل على أمرين أساسيين :-

(أ) عقيـــدة :

◆ وهى الأمور التى تتعلق بالاعتقاد[٣] ، والعقيدة فى الدين الحق تبنى على ستة أجـزاء يكمل بعضها الآخر هى :-

[١] الإيمان بالله .

[٢] الإيمان بالرسل .

[٣] الإيمان بالملائكة

[٤] الإيمان باليوم الآخر .

[٥] الإيمان بالكتب .

[٦] الإيمان بالقضاء والقدر .

وهذه الأجزاء الستة واحدة فى دين الله على اختلاف مراحل نزوله[٤] ، مع كل الأنبياء والرسل لقوله ﷺ « نحن معاشر الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد " »[٥] .

---

(١) الأستاذ / أحمد فريد - تيسير المنان فى قصص القرآن ص١٤٠ - دار ابن الجوزية - السعودية .
(٢) سورة طه - الآية ٧٠ .
(٣) الدكتور / عوض الله جاد حجازى - مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص١٣٧ - دار الطباعة المحمدية - الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٣م .
(٤) الدكتور / محمود مزروعة - دراسات فى اليهودية ص٣٠ - الطبعة الأولى - دار الطباعة المحمدية ١٩٧٧م .
(٥) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده جـ٢ ص٣١٩ دار الفكر .

وموسى عليه السلام كإخوانه من الأنبياء والمرسلين دعا إلى توحيد الله وتنزيهه جل علاه ، بما يتناسب مع الذات الأقدس سبحانه وتعالى . قال تعالى ﴿ " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون " ﴾ (١) .

وقال ﴿ " ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم " ﴾(٢) ، وقال ﴿ " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " ﴾(٣) ، وقال ﴿ " قل ما كنت بدعا من الرسل " ﴾(٤) ، وقال تعالى ﴿ " إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى " ﴾ (٥) .

« وهو التوحيد الخالص لله رب العالمين الذى لا يقبل جدلا ، أو شكا ، إنه توجيه الحق للرسول الكبير ، حتى يعرف وجهته فيسير حيث أراد الله بعيدا عن ضلالات شهدها ، وديانات رأى إيمان الناس بها ، وأرباب متعددة شهد الخلائق ، وهى توليها مالا تستحقه من تعظيم وتقديس(٦)» .

أبرز سمات العقيدة مع موسى عليه السلام :-

(١) الإيمان بالله وحده :-

« إن الأصل الذى تقوم عليه الرسالات السماوية كلها هو الإيمان بالله وإفراده بالوحدانية ، وتنزيهه عن الشريك والصاحبة والولد ، وهذا ما حملته كل رسالة الإلهية وجعلته فى صميمها(٧)» ، يبلغ به الأنبياء جميعا أممهم .

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٥ .
(٢) سورة فصلت - الآية ٤٣ .
(٣) سورة الشورى الآية ١٣ .
(٤) سورة الأحقاف الآية ٩ .
(٥) سورة طه - الآية ١٤ .
(٦) الأستاذة / سنية قراعة - الرسالات الكبرى ص٢٢٩ - مكتب الصحافة الدولى للصحافة والنشر ١٩٦٦م .
(٧) الأستاذ / عبدالكريم الخطيب - المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل ص١٦ - الطبعة الأولى - دار الكتاب الحديث ١٩٦٥ .

فلما أظهر الله معجزات موسى على أفعال فرعون وسحرته ، انطلقت فطرتهم وقلوبهم إلى الاعتراف بالله وحده ، فهبوا كما صور القرآن الكريم قائلين ﴿" ءأمنا برب العالمين رب موسى وهارون " ﴾(١) ، حيث فطنوا إلى أن القدرة الإلهية هى التى صنعت هذه المعجزات ، فخروا لله ساجدين وآمنوا برب العالمين " ﴾(٢) ،

فموسى عليه السلام كغيره من الرسل دعا إلى الإيمان بوحدانية الله ، فهو سبحانه وتعالى واحداً فى ذاته وصفاته ، وهو جل علاه أعظم من أن يحيط به أحد من خلقه(٣) .

(٢) التوكل على الله :-

هتفت مشاعر المؤمنين بالله مع موسى عليه السلام فى مواجهة تهديدات فرعون لهم بأن هذه التهديدات لا جدوى من ورائها ، وأنهم إذا كانوا فى الماضى يعتمدون على فرعون ، فإنهم لما آمنوا بالله صار توكلهم عليه وحده ، وإن غيره لا يخيفهم .

قال تعالى ﴿ " قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض " ﴾(٤) ، ﴿ " فقالوا لن نؤثرك يا فرعون ونختارك على ما جاءنا من البينات والهدى ولن نفضل نعمتك على ما هدانا الله إليه بل الله خير وأبقى والدار الآخرة خير للمتقين " ﴾ (٥) .

(أ) رجاء المثوبة من الله :-

قال تعالى ﴿ " إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى " ﴾ (٦) .

---

(١) سورة الأعراف – الآيتان ١٢٢/١٢١ .

(٢) الدكتور / محمد محمود حجازى – التفسير الواضح جـ٢ ص٤٩٦ – دار التفسير – الطبعة العاشرة ١٩٩٢م .

(٣) الأستاذ / عبدالخالق حسن الشريف – الهداية الربانية فى شرح الأربعين النووية – الحديث الثانى – ص١٤٤ – الطبعة الأولى – دار النشر والتوزيع الإسلامية .

(٤) سورة طه – الآية ٧٢ .

(٥) الدكتور / محمد محمود حجازى – التفسير الواضح ج٢ ص٤٩٦ – دار التفسير العاشرة ١٩٩٢م .

(٦) سورة طه – الآية ٧٣ .

(ب) الشريعة :-

شرع الله لموسى عليه السلام عبادات ومعاملات ، وما يتعلق بأنظمة الدنيا والآخرة ، فكلف الله موسى بشريعة تتمثل فيها العبادات والمعاملات والقيم ، بما يتناسب مع شرع الله إلى هؤلاء القوم الذين بعث فيهم موسى عليه السلام .

وليس نبى الله موسى عليه السلام فى هذا بدعا ، وإنما هو كإخوانه من الأنبياء والمرسلين . قال تعالى ﴿ " لكل جعلنا منكم شرعه ومنهاجا " ﴾[1] .

ولما كانت الشريعة تقع فيها التكاليف والعبادات ، فقد جاءت شريعة موسى عليه السلام شاملة لهذه العبادات ، التى تتناسب مع هؤلاء القوم ، ومنها :-

[١] الصلاة : شرع الله لموسى عليه السلام علاقة تربطه وقومه بالله ، فكانت تلك العلاقة هى الصلاة ، حتى تذكر الناس بالذى يتجهون إليه فى العبادة ، قال تعالى ﴿ " إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى " ﴾[2] .

وهكذا كان عهد الله لموسى عليه السلام ولمن بعث فيهم ، بل كان هذا العهد موثقا قائما على الجزاء وقاعدة الثواب والعقاب ، حسب التعاليم الإلهية التى شرعها الله تعالى .

[٢] الزكاة :- وكما فرض الله الصلاة عليه ﷺ وأمته ، فرض عليه الزكاة وجعلها أمرا مشروعا ، لا يمكن التخلى عنه . قال تعالى ﴿ " لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل " ﴾[3] ،

وقال ﴿ " ولقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالولدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة " ﴾[4] .

---

(١) سورة المائدة - الآية ٤٨ .

(٢) سورة طه - الآية ١٤ .

(٣) سورة المائدة - الآية ١٢ .

(٤) سورة البقرة - الآية ٨٣ .

[٣] الحج :- فرض الله على كل المسلمين مع كل الأنبياء والمرسلين الحج ، قال تعالى ﴿ " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا " ﴾ (١) ، وموسى عليه السلام والقوم الذين بعث فيهم داخلون فى مفهوم وجوب الحج من قوله تعالى ﴿ " ولله على الناس حج البيت " ﴾ (٢) .

يقول أحد الدارسين : هذا التعميم شامل فى فرضية الحج على الناس ، ففيه إيحاء بأن الحج مكتوب على اليهود ، فهم مطالبون من الله بالحج إلى هذا البيت بوصفه بيت أبيهم إبراهيم ووصفه أول بيت وضع للناس(٣) .

الكتب التى أنزلها الله على موسى عليه السلام :

من المعلوم أن لله سبحانه وتعالى أوامر ونواهى وله إيرادات وأحكام لا يستطيع خلقه التعرف عليها والاستمرار فى تذكرها من غير أن يكون لهم بها عهد ثابت ، وإقامة دائمة ، فكان من رحمة الله أن أرسل إليهم الرسل ، وجعل لهم الكتب(٤) ، وموسى عليه السلام أنزل الله عليه من الكتب ما قصه علينا القرآن الكريم فى آياته من ذلك :-

(١) التوراة :-

قال تعالى ﴿ " إن أنزلنا التوراة فيها هدى ونور " ﴾ (٥) .

[١] وهى كلمة « عبرانية معربة أصلها العبرى تورا ، بمعنى القانون والتعاليم والشريعة ، وهى الكتاب الذى أنزله الله على موسى عليه السلام(٦) لهداية بنى إسرائيل المبعوث فيهم لا إلى غيرهم ولمدة محدودة لا على سبيل الدوام باعتبار أن رسالة موسى خاصة لبنى إسرائيل مقيدة بزمان معين .

(١) سورة آل عمران – الآية ٩٧ .
(٢) سورة آل عمران – الآية ٩٧ .
(٣) الشيخ السيد قطب – فى ظلال القرآن الكريم – جـ١ ص٤٣٥ – دار الشروق .
(٤) يطلق لفظ الكتب على كل ما هو مكتوب ، ثم يخص بالكتب السماوية التى هى من عند الله تعالى .
(٥) سورة المائدة – الآية ٤٤ .
(٦) الشيخ رحمة الله الهندى – إظهار الحق ص٩٩ طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية السعودية ١٩٩٢م .

[٢] وذهب آخرون إلى أنها كلمه عبرانية معربة معناها الناموس ، وكانت اليهود تسمى أسفار موسى بهذا الاسم لأنها تشتمل على الشرائع والطقوس التى أعطاهم الله إياها على يد موسى فى طور سيناء[١] ، وهى تسمية يرونها بديلة عن اسم التوراة وإن كانت على نفس المحتوى .

❁ **والذى أميل اليه** : هو أن التوراة هى التعاليم الإلهية لموسى ﷺ مجملة ، وأقرب ما يمكن فهمه أنها كانت عند موسى ﷺ وحده . قال تعالى ﴿ " وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل " ﴾ [٢] .

ويذهب صاحب رأى أن التوراة فى عرف أصحابها كلمة عبرانية معناها الشريعة أو الناموس ، وهى تطلق عندهم على خمسة أسفار يقولون أنها أسفار موسى الخمسة(٣) .

❁ وهذه وجهة نظر له ولا نوافقه عليها باعتبار أن الكتاب المقدس عندهم يجمع بين دفتيه عهدين[٤] ، هما :-

[١] العهد القديم .

[٢] العهد الجديد .

❁ **أما العهد القديم :-**

فهو الذى يتمسك به اليهود ، ويدعون أنه المثل لديانتهم ، وعدد أسفاره عندهم تسعة وثلاثين سفرا ، وإصحاحاته تسعمائة وعشرون وتسعة إصحاحات[٥] .

---

(١) مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس ص٦ جـ١ - تأليف Colhoun Soripture help - دار الثقافة بالقاهرة .
(٢) سورة الإسراء الآية ٢ .
(٣) الشيخ / محمد رشيد رضا - تفسير المنار جـ١ ص١٣٠ - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .
(٤) المراد بالعهد هو تاريخ ما صنعه الله وصنعه من أجل خلاص الناس - الدكتور مراد كامل - إسرائيل فى التوراة والإنجيل - دار المعرفة ط٢ سنة ١٩٦٧م ، هو ميثاق قديم من عهد موسى - الدكتور / كامل سعفان - اليهود تاريخا وعقيدة - دار الهلال .
(٥) الكتاب المقدس ص٢ طبعة دار الكتاب المقدس فى الشرق الأوسط .

أما العهد الجديد :

فهو الذى يتمسك به المنتسبون لدين المسيح ، وجملة أسفاره سبعة وعشرون سفرا ، وإصحاحاته ستون ومائتين إصحاحا[١] ، وهم يزعمون أنه عهد غير مشروط يعمله الله مع بيتى يهوذا ، وإسرائيل لأنه يجعل شريعته فى داخلهم ويكتبها على قلوبهم ويكون لهم إلها ويصفح عن إثمهم[٢] .

ولذا فهو جديد حتى يتم العهد القديم ، وكلاهما يتكون منه الكتاب المقدس عندهم

أما التوراة حسب فهم مفكرى الإسلام :

« فهى مما أنزله الله تعالى من الوحى على موسى عليه السلام ليبلغه قومه لعلهم يهتدون[٣] ، وسماها القرآن الكريم باسم التوراة ، لأن الله يورى بها عقول بنى إسرائيل ، وقد ذكر القرآن الكريم أن هذه التوراة الإلهية التى أنزلها الله على موسى عليه السلام ، كانت حاملة لكل من العقيدة والشريعة ، والقيم الصحيحة ، وذلك ما يمكن فهمه من قوله تعالى ﴿ " إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور " ﴾[٤] .

وقد ذهب جمع من العلماء إلى أن المراد بلفظ الهدى فى الآية الكريمة هو الأحكام الشرعية المتعلقة بالمعاملات والقيم الأخلاقية ، كما أن لفظ النور الوارد فى الآية ذاتها معناه إثبات العقيدة الصحيحة ، وهذا الرأى تشهد له ظواهر عديدة[٥] ، من أقوال مفكرى وعلماء الإسلام .

وكما ورد لفظ التوراة فى القرآن الكريم ورد ذكرها كذلك فى الحديث الشريف .

---

(١) الكتاب المقدس – العهد الجديد ص٢ .

(٢) القس وهيب عبدالملك – القاموس الموجز للكتاب المقدس ص١٣٥ – مكتبة الأخوة ١٩٨٣م .

(٣) الشيخ / محمد عبده ، والشيخ محمد رشيد رضا – تفسير المنار جـ٣ ص١٣٠ .

(٤) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٥) ومن مال لهذا الرأى العلامة القرطبى فى كتابه الجامع لأحكام القرآن ، والعلامة ابن جرير الطبرى – تأويل البيان عن تفسير أى القرآن ، وابن حيان التوحيدى صاحب البحر المحيط .

فعن أبى هريرة ﷺ قال : قال ﷺ « احتج آدم وموسى ، فقال موسى أنت الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة بالسجود لك ، وأسكنك الجنة فأخرجتنا منها ، فقال آدم : أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالاته وقربك نجيا ، وكلمك تكليما ، وأنزل عليك التوراة »(١) .

فثبت لدينا أن التوراة بنفس الاسم منزلة على نبى الله موسى عليه السلام ، بما ورد ذكره فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة الصحيحة .

(٢) الألـــواح :

أخبر القرآن الكريم أن الله تعالى أعطى سيدنا موسى الألواح ، من قوله تعالى ﴿ " وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء " ﴾(٢) .

وأختلف العلماء فى التعبير عن عدد الألواح ، ومضمونها ، وهذا مما لا نعنى به فى دراستنا هذه ، ولكنا سنشير إلى ما يمكن الرجوع إليه فى المسألة ، وأقرب ما يمكن فهمه أن الألواح كانت جزءا من التعاليم .

وكان موسى قد أعطاها لرؤساء العائلات ممن آمنوا بالله معه ، لتكون معهم فى حلهم وترحالهم ، قال تعالى ﴿ " وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء " ﴾(٣) ، وقال تعالى ﴿ " ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون " ﴾(٤) .

ولما كانت الألواح من الأمور الغيبية من حيث المضمون(٥) ، والعدد(٦) ، فإن نفوض الأمر فيها لله جل علاه ، دون أن نحكم عقولنا فى أمور يصعب علينا إصدار أحكام فيها لا تقع موقع الاطمئنان .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى – كتاب القدر جـ١٦ ص٢٠٠ ، ودل عليه صاحب اللولو والمرجان .
(٢) سورة الأعراف الآية ١٤٥ .
(٣) سورة الأعراف الآية ١٤٥ .
(٤) سورة الأعراف – الآية ١٥٤ .
(٥) راجع العلامة بن عطية المحرز الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز جـ٦ الطبعة الأولى ١٩٨٤م – الدوحة .
(٦) راجع تفسير الجلالين ص٩٣ – دار المعرفة ببيروت لبنان – الطبعة الثانية ١٩٨٤م .

(٣) الصحـف :-

أخبر الله فى القرآن الكريم أنه سبحانه وتعـالى تفضـل علـى كليمـه موسـى بمنحـه التوراة فيها هدى ونور للمؤمنين بالله معه ، كما أخبر جل عـلاه أنـه منحـه الألـواح فيـها تفـاصيل لأمـور دقيقـة ممـا يتعلـق بالأحكـام الشـرعية للقـوم الذيـن بعـث فيـهم سـيدنا موسى عليه السلام .

ثم ذكر القرآن الكريم أن الله جل علاه جعـل صحفـا لإبراهيـم ، وصحفـا لموسـى ، حتى يجمع أول أنبياء بنى إسرائيل بآخرهم ، قال تعالى ﴿ " إن هذا لفـى الصحـف الأولى صحف إبراهيم وموسى " ﴾[1] .

۞ والذى أميل إليه :

أنها مكتوبات صغيرة ، أقرب ما يكون إلى المذكرات اليومية ، بحيث يتناقلها أفراد الشعب الذين آمنوا بالله مع موسى عليه السلام ، حتى تذكرهم بعهود الله لهـم ومواثيقـهم معـه ، وقد ذكرت فيها المواعظ التى توافقت فيها الشرائع السماوية ، وسطرته الكتـب المنزلـة مـن عند الله ، ومنها القرآن[2] .

وهكذا نرى أن المؤمنين بالله مع موسى عليه السلام فى تلك المرحلة استقامت عبادتهم بعـد أن سلمت عقيدتهم ، وصلحت أمورهم ، وهذا كل ما ذكره القرآن الكريم ، وحكاه لنـا فـى العديد من آياته القرآنية على النحو الذى سبقت الإشارة إلى بعضه .

---

(١) سورة الأعلى – الآيتان ١٨/١٩ .

(٢) الشيخ / محمد على الصابونى – صفوة التفاسير ص٥٥٠ جـ٣ – دار القرآن – الطبعة الرابعة – بيروت ١٩٨١م .

المرحلة الثانية :- نهايات عصر موسى عليه السلام وبدايات من تلاه

لم تكد مدة موسى عليه السلام فى قومه المؤمنين تنقطع ، حتى بات جيل الخلف يحاول نقض ما استقر عليه أمر السلف[1] ، فظهرت بوادر مختلفة تتعلق بمسائل العقيدة والشريعة ،

كما ظهرت أمور عديدة أوشكت أن تنقض المرحلة الأولى من أساسها ، ومن المؤكد أن هذه الأمور إن لم تكن لها شواهد وأدلة تقوم عليها ، فإنها تكون ظنونا ، لا تقبل ، بل أوهاما ترد .

ونحن من جانبنا سوف نعهد إلى ذكر كل منها بما نص عليه القرآن الكريم ، فهو الخبر الصادق ، واليقين الذى ليس بعده يقين ، حيث تغيرت مظاهر العقيدة فى النفوس ،

حتى إن تلك المظاهر ثارت تغلب غيرها ، وبات من المؤكد أن تلك العقيدة الصافية التى كانت مع موسى عليه السلام ، وظلت فى قومه فترة طويلة بدأت تتسلل إليها أمور تكدرها . وسوف نذكر سمات العقيدة فى تلك المرحلة .

۞ سمات العقيدة فى تلك المرحلة :-

(١) التوحيد المادى :-

كان موسى عليه السلام يعلم قومه توحيد الله المنزه عن المثل والند ، والشبيه ، والشريك ، توحيدا يتناسب مع ذات البارى جل علاه[2] ، وقد آمن الأوائل مع موسى بهذا التوحيد الخالص ، واستمروا عليه .

---

(١) من ذلك ما حكاه القرآن الكريم ، قال تعالى ﴿ " وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة " ﴾ سورة البقرة الآية٥٥

(٢) لأن الله أخبره بذلك ، فقال ﴿ " إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى " ﴾ (سورة طه الآية ١٤)

إلا أن اللاحقين لهم بدأوا يسألونه قائلين ، نعم نحن نوحد الله ، لكن هذا الإله الواحد لم يعد الإيمان به مقبولا على الناحية النظرية ، إنما نريده على الناحية العملية ، فقالوا ما حكاه القرآن الكريم ﴿ " يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم " ﴾[١] .

وقد تعسف هؤلاء اللاحقون في طلبهم هذا ، بل وصل بهم الأمر إلى تعليق إيمانهم على رؤية الإله المادى والتمكين من رؤيته على النحو الذى يستطيعونه .

قال تعالى ﴿ " قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة " ﴾[٢] ، حيث قالت اليهود « نريد أن نرى الله عيانا نعاينه وننظر إليه »[٣] .

(٢) عبادة نفس الإله المادى :-

يبدوا أن القوم استهوتهم المخالفة ، ولعبت بهم نوازع الشر كل ملعب ، فأصروا على عبادة إله مادى .

قال تعالى ﴿ " وجاوزنا ببني إسرآئيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنآ إلـها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون " ﴾[٤] ،

« وقد غلب على هؤلاء المتأخرين ما ألفوا قديما من عبادة المصريين للأصنام ، فطلبوا من موسى أن يجعل لهم صنما يعبدونه ، كما أن لهؤلاء القوم أصناما يعبدونها »[٥] .

---

(١) سورة النساء – الآية ١٥٣ .

(٢) سورة البقرة – الآية ٥٥ .

(٣) الإمام ابن جرير الطبرى – جامع البيان عن تأويل آى القرآن جـ٦ ص٧ – الطبعة الثالثة ١٩٦٨م .

(٤) سورة الأعراف الآية ١٣٨ .

(٥) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم – الطبعة الثامنة عشر ص٢٢٧ – طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٥ .

(٣) صنع إله مادى :-

لما عاش القوم على تلك النوازع الشريرة ، وغلبت عليهم أنانيتهم الحائرة ، وطافت بأحلامهم ذكريات السوء ، فأرادوا أن يصنعوا إلها ماديا يتجهون إليه فى العبادة ، مخالفين تعاليم الله لموسى عليه السلام ، مستغلين غيبة موسى عنهم ، وعدم قدرة هارون على الوقوف فى وجوههم ، ومن ثم قرروا صنع الإله المادى المتمثل فى العجل إلها لهم . قال تعالى ﴿ " فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى " ﴾[1] .

قال العلامة ابن جرير : « فأخرج لهم السامرى مما ألقوه فى النار عجلا جسدا له صوت كصوت البقر ، قال نسيه موسى عندكم ، وخرج لملاقاته فى الغيبة الطويلة »[2] ، وهكذا انتهت حياة موسى عليه السلام ، وقد رأى من قومه اللاحقين التنكر لشرع الله ، والخروج على تعاليمه ، والاستعداد الكامل للعودة إلى الكفر مرة ثانية .

- فلما رحل عنهم وجدوا الفرصة متاحة لصنع دين يسمى باليهودية ، ونسبوه إلى موسى عليه السلام وصنعوا له ما سمى :

[١] العهد القديم[3] .

[٢] التلمود[4] .

- ثم تلاحقت بعد ذلك الكتابات ، وتعددت بقدر تلاحق الخروجات على العقيدة والشريعة التى جاء بها موسى عليه السلام ، **مما يجعلنا نرى .**

---

(١) سورة طه الآية ٨٨ .

(٢) الإمام ابن جرير الطبرى - جامع البيان فى تفسير آى القرآن جـ١٥ ص٢٠٠ - الطبعة الثالثة ١٩٦٨م مكتبة مصطفى البابى .

(٣) العهد القديم : هو اتفاق بين الله والبشر أبدى ، لا ينقطع ، ويتألف من تسعة وثلاثين سفرا - قاموس الكتاب المقدس ص٦٤٤ .
أو هو مجموعة من الأسفار والكتب التى يعظمها اليهود والمسيحيون ، مما كتب بعد موسى عليه السلام - الدكتور محمد على زهران - إنجيل يوحنا فى الميزان ص٢١ - الطبعة الأولى ١٩٩٢م دار الأرقم .

(٤) التلمود : هو شريعة بنى إسرائيل فى الجانب الدينى - الأستاذ / محمد صبرى - التلمود وشريعة بنى إسرائيل حقائق ووقائع ص١٥ - طبعة مؤسسة دار الهلال .

- أن هذه المرحلة هى أخطر المراحل التى مرت بها اليهودية على الإطلاق ، بل إنها هى التى مهدت للصهيونية العالمية وأقامت أسس اليهودية السياسية التى لم يعرفها موسى عليه السلام ، ولم تنزل بها الكتب السماوية .

- والملاحظ أن هذه المرحلة استوعبت فترة طويلة نسبيا من الزمان ، حتى شملت قبيل رحيل موسى عليه السلام إلى ما بعد بعثة سيدنا عيسى عليه السلام [1] ، بل إن امتد أثرها إلى التكذيب بنبوة سيدنا عيسى عليه السلام ، واتهام أمه[2] ، بالوقوع فى الخطيئة ، وإلصاق التهم بعيسى عليه السلام [3] ،والسعى لدى الحاكم الرومانى[4] ، لاعتقاله ، ومحاولة التخلص منه[5] .

مصادر اليهود فى هذه المرحلة :-

(١) العهد القديم :-

((هو الذى يتمسك به اليهود ، ويدعون أنه الممثل لديانتهم))[6] ، أو هو ((عبارة عن مجموعة أسفار المجمع الأكبر الذى تأسس عقب العودة من السبى البابلى))[7] .

---

(١) حيث امتدت قبيل نهاية موسى عليه السلام حتى بعثه سيدنا محمد ﷺ .

(٢) وقد قص القرآن الكريم تلك التهمة ، التى حاول اليهود إلصاقها بأم عيسى عليه السلام ، كما بين براءتها منها ، قال تعالى ﴿ " وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما " ﴾ (سورة النساء - الآية ١٥٦) .

(٣) حيث اتهمه اليهود بأنه يجدف فى الدين ، يهرطق وأنه يعادى نظام الحكم القائم - راجع عقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية ص٦٨ - الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى " رسالة ماجستير مخطوطة - كلية أصول الدين بالقاهرة ١٩٨٢م) .

(٤) هو بيلاطس الذى كان واليا على تلك البلاد من قبل الرومان - بولس والمسيحية ص٦٥ - الدكتور / محمد أبو الغيط الفرت - دار الطباعة المحمدية بالقاهرة .

(٥) والقرآن الكريم ذكر تلك المحاولة مؤكدا أنهم لم يقتلوه و لم يصلبوه ولكن شبه لهم . قال تعالى ﴿ " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم " ﴾ (سورة النساء الآية ١٥٧) .

(٦) مقدمة الكتاب المقدس ص٢ .

(٧) الدكتور / كامل سعفان - اليهود تاريخا وعقيدة ص١٢٨ - دار الهلال ١٩٨١م .

أو هو ((كتاب اليهود المقدس ، الذى يضم تاريخهم ، وعقائدهم ، وشرائعهم))[١] وهو ((كتاب تاريخ يشمل فترة لا تقل عن ألفى سنة سبقت الميلاد ، ومؤلفوه فى أغلب الأحيان مجهولون))[٢] .

(٢) التلمود :-

✪ اضطربت الأقوال فى التعريف بالتلمود اضطرابا واسعا فمن ذاهب إلى أن التلمود :-

اسم عبرى معناه تعاليم ، وهو يقسم إلى موضوع وتفسير ذلك الموضوع ، فالموضوع هو تلمود المشنا ، والتفسير هو الجمارة .

❁ **وبالتالى فالمشنا** هى تكرار العبادة المنقولة من مجموع تقاليد اليهود المختلفة مع بعض الآيات من الكتاب المقدس .

واليهود يزعمون أن هذه التعاليم أعطيت لموسى حين كان على الجبل ، ثم تداولها هارون واليعازر ويشوع وسلموها للأنبياء ، ثم انتقلت عن الأنبياء إلى أعضاء المجمع العظيم ، وخلفائهم حتى القرن الثانى بعد المسيح حينما جمعها الحاخام يهوذا وكتبها ، ومن ثم صار هذا الشخص يعتبر عندهم جامعا للمشنا[٣] .

❁ **أما القسم الثانى فهو الجمارة :-**

الجمارة : التعليم :- وهو مجموع المناظرات والتعاليم بل والتفسيرات التى جرت فى المدارس العالية بعد انتهاء المشنا ، والتفاسير المسطرة مع المشنا نوعان :

يعرف أولها بتلمود أورشليم ، وقد كتب بين القرن الثالث والخامس والذين كتبوه هم حاخوا طبريه[٤] .

---

(١) الدكتور / محمد بيومى مهران - دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ص١٩ - مطبعة الأمانة ١٩٧٣م .

(٢) الدكتور / يحيى محمد على ربيع - الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ص١١٣ - دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٩٤م - الطبعة الأولى .

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٢٢٢ .

(٤) المرجع السابق ص٢٢٢ .

بينما يعرف النوع الثانى من نوعى التفاسير المسطرة بأنه تلمود بابل ، وقد كتب هذا التلمود فى القرن الخامس .

والتلمود من وجهة نظرهم يساعد كثيرا فى درس تعاليم المسيح أيضا ، لأنه يفسر بعض الإشارات والاستعارات الموجودة فيها[1] .

وكلمة تلمود « مستخرجة من كلمة لامود ، التى تعنى تعاليم ، وبالمجاز المرسل تعنى الكتاب الذى يحتوى على التعاليم اليهودية ، والتلمود « هو الكتاب العقائدى ، الذى يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودى وتعاليمه »[2] ، فيما يتعلق بالشريعة والعقيدة والأخلاق حسب تصورات مؤلفيه الذين كانت طموحاتهم عريضة وخيالاتهم واسعة .

ويذهب آخر إلى أن التلمود هو : « التعاليم الشفوية التى أنزلها الله على موسى عليه السلام »[3] .

كما يميل أحد الدارسين إلى أن التلمود هو : « التفسير والشروح للتعاليم الشفوية لليهودية »[4] .

وعرفه آخر بأنه : « كتاب قام بتأليفه أحبار اليهود مع نهايات القرن الثانى الميلادى ليكون معبرا عن التعاليم اليهودية »[5] .

۞ ونحن لا نطمئن لأغلب تلك الأقوال ، كما لا نستطيع قبول الرأى القائل بأنه تعاليم إلهية ألقاها الله إلى موسى عليه السلام ، لأن الثابت شرعا فى النقل المنزل ، هو أن الله تعالى أنزل على موسى عليه السلام كل من :-

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٢٢٢ .

(٢) الأب أى بى براناتيس - فضائح التلمود ص٢١ - إعداد زهدى الفاتح - دار النفائس بيروت ط١ ١٩٨٥م .

(٣) الأستاذ / ظفر الإسلام خان - التلمود تاريخه وتعاليمه ص١١ - الطبعة السادسة ١٩٨٥م بيروت .

(٤) الدكتور / روبرت سيلر - التلمود فى حدود التعاريف ص٩٣ - طبعة لندن ١٩٢١م .

(٥) القس نصرى وليميا - التلمود شروح وتعليقات ص١١٢ - طبعة استراليا ١٩٣١م .

[١] **التوراة** :- قال تعالى ﴿ " إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور " ﴾[١] .

[٢] **الصحـــف** :- قــال تعــالى ﴿ " إن هــذا لفــى الصحــف الأولى صحــف إبراهيـــم وموسى " ﴾[٢] .

[٣] **الألواح** : قال تعالى ﴿ " وكتبنا له فى الألواح مـن كـل شـيء موعظـة وتفصيـلا لكـل شيء " ﴾[٣] ، أما غير ذلك فلم يرد به نص صحيح ، ومن ثم فإنه يخضع لاتجاهات أصحابه الفكرية ، ويعتمد على نوازعهم الشخصية ، ونحن لا نسلم بها .

أما المشنا فهى عبارة عن :-

« خلاصة من التعاليم الشـفهية ومجموعـة مـن قوانـين اليـهود السياسـية والمدنيـة والدينية التى أقرها علماء اليهود »[٤] .

أو هى « مجموعة من الشرائع اليهودية المروية على الألسنة ، والتـى كـان اليـهود وما يزالون يعتبرونها مصدرا من مصادر التشريع ، ويظنون أنها ترتفع إلى موسى »[٥] .

« ولغة المشنا هى اللغة العبرية القديمة » [٦] ، وحصرت المشنا فـى القـرن الثـانى الميلادى[٧] ، على أقوال هو أرجحها ، وكان ذلك على يد الجـامع لهـا الحاخـام يـهوذا ، الذى كتبها أيضا ، وعرف باسم جامع المشنا .

أما الجمارة :

فقد اختلف الدارسون من المؤرخين فى تعريفها ووصفها :-

(١) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأعلى - الآيتان ١٨/١٩ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٤٥ .

(٤) الأستاذ / صابر طعيمة - الماسونية ذلك العالم المجهول ص١٦٦ - دار الجيل بيروت ١٩٧٥م .

(٥) الدكتور / محمد عبدالله الشرقاوى - الكنز المرصود فى فضائح التلمود ص١٩ سنة ١٩٩٠م ، وقاموس الكتاب المقدس ص٢٢٢.

(٦) الدكتور / حسن ظاظا - الفكر الدينى الإسرائيلى - أطواره ومذاهبه ص٧٨ - معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١م .

(٧) الأستاذ / عباس محمود العقاد - إبراهيم أبو الأنبياء ص٣٦ - دار الهلال بيروت ، وهو نفس ما يذهب اليه العهد القديم ، ويجـرى فى أعراف شراحه - راجع قاموس الكتاب المقدس ص٢٢٢ .

[١] أنها مجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير التى جرت فى المدارس العالية بعد انتهاء المشنا[١] .

[٢] أنها « ما أضيف إلى المشنا بقصد استكمالها » [٢] .

[٣] « أنها تحليل الآراء المختلفة للتوصل إلى أحكام قاطعة »[٣] ،فى المسائل المعروضة ، والتى لم يتفق حولها الحاخامات .

❁ وأرى أن هذه الآراء تتقارب فيما بينها ، إذا كان المراد هو الشروح ، مع الاستكمال للمشنا ، على ما هو اتجاه المؤرخ ، أما دارس مقارنة الأديان فلا يجد سندا يعضد موقف أى منهم .

❁ والذى أميل إليه : أن التلمود بقسميه – نصوصه وتعاليمه – يمثل فكرا يهوديا سياسيا ، لا علاقة له بالوحى الإلهى ، وأنه نسب إلى موسى عليه السلام كلاحق من لواحق الوحى الإلهى ، وما هو فى شيء من ذلك .

وفى هذه المرحلة ظهرت طوائف وفرق كلها تتحدث باسم اليهودية ، كما تتحدث عنها ، وكأنها الوريث الحقيقى لها ، وما هى بعلاقة معها أبدا ، نذكر من هذه الفرق :-

(١) الفريسيون :-

« وهى كلمة أرميه معناها المنعزل[٤] ، وهم إحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التى كانت تناهض فرقتى الصدوقيين والأسسينين ، وكانت أضيقها رئيا وتعليما ، ويرجح أن يكون الفريسيون خلفاء الحسيدين المتظاهرين بالتقوى ، وهم فى عقيدتهم يقولون بالقدر

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٢٢٢ .
(٢) دكتور / صبرى جرجس – التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى ص٨٨ – عالم الكتاب – الطبعة الأولى ١٩٧٠م .
(٣) الدكتور / محمد عبدالله الشرقاوى – الكنز المرصود فى فضائح التلمود ص٢٠ – مكتبة الوعى الإسلامى ١٩٩٠م .
(٤) الدكتور / عبدالرازق احمد قنديل – الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى ص ٩١ دار التراث ١٩٨٤م .

ويجمعون بينه وبين إرادة الإنسان الحرة ، وكانوا يؤمنون بخلود النفس ، ووجود الأرواح ، ومكافئة الإنسان ، ومعاقبته فى الآخرة ، بحسب صلاح حياته الأرضية ، أو فسادها .

غير أنهم حصروا الصلاح فى طاعة الناموس فجاءت ديانتهم ظاهرية ، وليست قلبية داخلية ، وقالوا بوجود تقليد سماعى عن موسى تناقله الخلف عن السلف ، وزعموا أنه معادل لشريعته المكتوبة ،

وقد لاقوا بسبب آرائهم أشد الاضطهاد . غير أنه على مر الزمن دخل حزبهم من كانت أخلاقه دون أخلاقهم ، ففقدوا جهادهم ، واشتهر معظمهم بالرياء والعجب ، فتعرضوا للانتقاد اللاذع والتوبيخ القاسى ، حتى وصفوا أنهم أولاد الأفاعى ، وكانت لهم يد بارزة فى المؤامرة على حياة المسيح(١) .

(٢) الصدوقيين :-

فرقة صغيرة نسبيا ، ولكنها مؤلفة من مثقفين جلهم أغنياء وذو مكانة مرموقة ، وقد عم الرأى أن اسمها مشتق من صادوق ، باعتبار أنها مؤلفة من رؤساء الكهنة والأرستقراطية الكهنوتية ، وكان صادوق رئيس كهنة فى أيام داود وسليمان ، وفى عائلته حفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المكابين ، فسمى خلفائه وأنصاره بالصدوقيين .

وقد حصر الصدوقيين تعاليمهم فى نص الكتاب قائلين أن حرف الناموس المكتوب وحده ملزم .

وقد أنكروا القيامة والثواب فى الجسد ذاهبين إلى أن النفس تموت مع الجسد ، كما ذهبوا إلى أننا قادرون على أعمالنا ، وأننا سبب الخير ، وأننا نتقبل الشر من أجل حماقة أفعالنا وأن لا دخل لله فى صنعنا الخير أو إعراضنا عن الشر(٢) .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤/٦٧٥ بتصريف يُسير .

المصدر السابق ص٥٣٩ .

◈ وأما عن تاريخ وجودهم ؟

فيذهب الباحثون إلى أن أرجح الأقوال أنها ظهرت "فى عهد خلفاء الإسكندر" حيث ثاروا ضد حكامهم المكابين عندما فقدوا أملهم بالحصول على الوعد بعزل اليهود عن باقى العالم [١] ،

◈ وربما يقال ما موقفك من السامريين هل تعتبرهم فرقة من اليهود أم لا ؟

◈ **والجواب :-**

أن السامريون هم مجموعة من الأسرى الأجانب الذين اختلطوا بأفراد بنى إسرائيل بعد انتقالهم من بلادهم وتشتيتهم فى بلاد أشور ، وهذا الخليط ((من السكان الذين استقروا فى إسرائيل أصبح يعرف باسم السامريين ، وكان اليهود يحتقرونهم ، وظلوا موضع الاحتقار حتى أيام المسيح ، إذ كانوا يعبدون الله دون أن يتخلوا عن ممارستهم الوثنية)) [٢] .

ويذهب مفسروا العهد القديم إلى أن ((السامرة اسم عبرانى معناه مركز الحارس ، وأن السامريين مصطلح يقصد به السكان المتصلون بالمملكة الشمالية ، أو أنهم سكان إقليم الناصرة ، الذى يقع فى وسط فلسطين بعد عودتهم من السبى)) [٣] .

وفى نفس الوقت فإن السامريين أعداء اليهود ، كما أن اليهود أعداء السامريين ، وقد استمر عداء السامريين لليهود ، وحتى أعلنوا أنهم لا ينتمون إلى الأصل اليهودى أبدا ، وأنهم على استعداد للتعاون وموالاة أى طاغية يستطيع تبديد شمل اليهود ،

وكثير ما كان السامريون ينتهكون حرمات اليهود ، ويخالفون تعاليمهم ((حتى صار اليهودى يستنكف أن ينجس شفتيه بنطق كلمة سامرى ، وكان يحسب طعام السامرى نجس كلحم الخنزير ، وهكذا كان العداء مستحكما بين اليهود والسامريين ، ولم يكن اليهود يسمحون أبدا بإقامة أى علاقة اجتماعية أو دينية مع السامريين)) [٤] .

---

(١) التوارة تاريخها وغايتها ص٥٢ - ترجمة سهيل ديب - دار النفائس - الطبعة الأولى ١٩٧٢م .
(٢) مجموعة من كتاب اللاهوت التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص٨٢٣ .
(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٥٤٩ .
(٤) المصدر السابق ص٤٥٠/٤٥١ .

المرحلة الثالثة : اليهود عند نزول القرآن الكريم

عرضنا فيما سلف للمرحلة الأولى والثانية ، وها نحن نتناول المرحلة الثالثة ، حيث أنها ابتدأت من نزول القرآن الكريم وبعث[١] رسول الله ﷺ للإنس عامة والجن كذلك ، واستمرت حتى يومنا هذا ، ومن الملاحظ أن لتلك المرحلة صفات تتعلق بالعقيدة والشريعة والمصادر التى يعتمد عليها اليهود .

ومن المعلوم أنه عند بعثة رسول الله ﷺ آمن كثير من الأحبار[٢] ، بالنبى ﷺ ، وأنكره أكثرهم ، وظلوا على ذلك الإنكار يتوارثونه فيما بينهم ، ويتواصون على الاستمرار فيه تحت زعم :-

[١] أن محمد نبى للعرب خاصة .

[٢] أنه نبى لفترة محدودة .

[٣] أنه لا نبى أصلا[٣] .

ومن الثابت فى نصوصهم أن المرحلة الثانية قد أنتجت خروجات كثيرة على العقيدة والشريعة والأخلاق ، حتى أنهم وصفوا الله جل علاه بصفات لا تليق بذاته المقدسة ، وفوق ذلك ((فقد حاربوا أنبياء الله ، بل وقتلوا كثيرا منهم))[٤] ، مما يجعلنا نرى أن هذه المرحلة - الثالثة - هى ثمار - مر - لما أفرزته المرحلة الثانية ، ولذا يحسن بنا أن نعرض :-

---

(١) فقد ولد النبى ﷺ سنة ٥٧٠م على الرأى الراجح ، وبعث سنة ٦١٠ م .

(٢) الأحبار : جمع حبر ، وهم العلماء ، مثل عبدالله بن سلام ، كعب الأحبار ، وكثير غيرهم .

(٣) وتلك الظنون كاذبة ، وقد أبطلها شرعنا الشريف ، وذكر شواهد البطلان علماء الفكر الإسلامى - راجع شرح مقاصد الطالبين فى أصول الدين للإمام السعد التفتازانى جـ٢ - المبحث السادس ص١٢٩ وغيرهم من العلماء .

(٤) قال تعالى ﴿ " فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق " ﴾ (سورة النساء الآية ١٥٥)

۞ سمات العقيدة اليهودية فى تلك المرحلة :-

✪ الأولى : تعددالآلهة :-

بدأ أن كل طوائف اليهود راحت تختار لنفسها إلها تعبده ، وتصف ذلك الإله بما يتناسب مع عقلية العابدين أنفسهم ، فصار الإله عندهم " ياهو[1] ، يهوه[2] ، ألوهيم " ، وهذا التعدد فى الاسم هو تعداد أيضا فى المسمى ، ولذا لم يحاولوا وضع قاعدة ثابتة لفهم العقيدة فى مسألة الألوهية .

✪ الثانية : وصف الله بما لا يليق :

ويمكن تقسيم هذه الصفات إلى قسمين ، وسوف نحاول تقديم نبذة مركزة[3] هنا عنها ، أما التفصيل فسوف يتم فى الفصول التالية إن شاء الله تعالى :-

أولا : صفات معنوية :-

[١] الندم والحزن :- يصف العهد القديم الإله بأنه بعد أن خلق الإنسان ، ندم على خلقه للإنسان ، فجاء فى سفر التكوين ((أن الرب حزن أنه عمل الإنسان وتأسف فى قلبه))[4] ، ثم ما لبث أن ندم على هذا العمل ، فقال كذلك ((لا أعود ألعن الأرض من أجل الإنسان))[5] .

[٢] الجهل :- يذكر العهد القديم أن الله عندما أراد أن يهلك بيوت المصريين ، فخاف أن يهلك بيت من بيوت بنى إسرائيل ، فطلب منهم أن يضعوا دم من كباشهم

---

(١) اسم عبري معناه هوي هو ، ويقصد به اسم شخص من الأشخاص ، سواء كان بطلا أو نبيا ، وكل من ملك قوة كبيرة ، وسلطانا عظيما يقال عليه ياهو – قاموس الكتاب المقدس ص١٠٤٩/١٠٥٠ .

(٢) اسم من أسماء الله فى اليهودية ، وهو يحفظ الدين من خطرين : الأول :- من جعل الله فكرة أو تصور الثانى : من جعله وجودا ، وهو الذى كان وأعلن ذاته وصفاته – قاموس الكتاب المقدس ١٠٩٦ ، وفى الخروج يقول « هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم أرسلنى إليكم » سفر الخروج – إصحاح ٣ فقرة ١ .

(٣) هذا الفصل نضع الأصول مجملة ، أما التفصيلات فإنها سترد تبعا حسب الخطة والمنهج المعتبر فى تلك الدراسة .

(٤) سفر التكوين إصحاح ٨ فقرة ٢١ .

(٥) سفر التكوين إصحاح ٨ فقرة ٢٢ .

المضحاة على أعتاب بيوتهم فجاء في سفر الخروج ((فإنى أجتاز فى أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر فى أرض مصر من الناس ، والبهائم ، وأصنع أحكاما بكل المصريين ، أنا الرب ، ويكون لكم الدم علامة على البيوت التى أنتم فيها ، فأرى الدم وأعبر عنكم))[(١)] .

[٤] ومن الأوصاف التى وصف اليهود الله بها أنه كثير النسيان :- حيث زعموا أن الإله نسى عهدا قطعه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، ولم يتذكره إلا بعد أن سمع أنين بنى إسرائيل وبكائهم ، يقول سفر الخروج ((أقمت معهم عهدى أن أعطيهم أرض كنعان[(٢)] ، أرض غربتهم التى تغربوا فيها ، وأنا أيضا قد سمعت أنين بنى إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون ، وتذكرت عهدى الذى كنت قد نسيته))[(٣)] .

[٥] وصفوا الإله بأنه ليس معصوما من الخطأ :- فكثيرا ما يقع الإله فى الخطأ . ولكنه سرعان ما يندم على هذا الخطأ ، وذلك عندما يبين له أحد الناس هذا الخطأ ويأمره بأن يندم عليه ، حيث جاء ((فالآن اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم فأصيرك شعبا عظيما ، فتضرع موسى أمام الرب ، وقال لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر ، ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك))[(٤)] .

---

(١) سفر الخروج إصحاح ١٢ فقرة ١٢/١٣ .

(٢) هى الأرض التى سكنتها زرية كنعان بن حام الرابع حفيد نوح القبائل التى قطنت أراضى غربى الأردن المسماة كنعان ، وقد استولى عليها العبرانيون فيما بعد ، وكانت حدودها الأصلية مدخل حماة إلى الشام ، وبادية سورية العرب على الشرق ، وبادية العرب إلى الجنوب ، وساحل البحر المتوسط إلى العرب ، وبعد أن فتح العبرانيون أرض كنعان أطلق عليها أرض إسرائيل ، وارض الموعد ، وأرض العبرانيين أيضا - قاموس الكتاب المقدس ص٧٨٩ .

(٣) سفر الخروج إصحاح ٦ فقرة ٥/٦ .

(٤) سفر الخروج إصحاح ٣٢ فقرة ١٠/١٣ .

۞ ولقد ذكر القرآن الكريم أنهم نسبوا إلى الله :-

[١] الفقــر :- قـال تعـالى ﴿ " لقـد سمـع الله قـول الذيـن قـالوا إن الله فقـير ونحـن أغنياء " ﴾(١) .

◆ قال العلامة الألوسى : ((فقولهـم ﴿ " إن الله فقـير " ﴾ فيـه تطـاول علـى ذات الله ، وكذب عليه ، ووصفه بما لا يليق ، وبذلك يكونوا قد عتوا عتوا كبيرا)) (٢)

[٢] وصفهم الله بالبخل :- قال تعالى ﴿ " وقالت اليهود يـد الله مغلولـة غلـت أيديـهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء " ﴾(٣) .

◆ ذكر العلامة محمد رشيد رضا : ((أن قائل هذا القول هـو فنحـاص رأس يـهود بنى قينقاع)) (٤) .

◆ إلى غير ذلك من هذه الصفات الكثيرة التى ذكرها القرآن الكريم .

(ب) صفات مادية حسية :-

[١] التعب والإحساس بالحاجة إلى الراحة :-

يقول العهد القديم ((وفرغ الله فى اليوم السابع من علمه الذى عمـل فاسـتراح فـى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل)) (٥) . فهذه صفة لا تنطبق إلا علـى بشـر مخلـوق يتعب فيستريح ، والله منزه عن ذلك(٦) .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨١ .

(٢) العلامة الشيخ / محمود الألوسى - روح المعانى جـ٤ ص١٢٥ - الطبعة المنيرية .

(٣) سورة المائدة الآية ٦٤ .

(٤) العلامة الشيخ / محمد رشيد رضا - الإمام محمد عبده - تفسير المنار جـ٦ ص٤٥٢ .

(٥) سفر التكوين إصحاح ٢ فقرة ١-٣ .

(٦) الدكتور / على سيد عبدالحميد الشيمى - اليهودية بين المادية والروحية - دراسة مقارنة ص٣٦ - الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

ولقد رد القرآن الكريم عليه فقال ﴿ " ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب " ﴾[١] ، وكذلك كانوا أجرأ الناس على الله ، فقالوا لموسى ﴿ " اذهب أنت وربك فقاتلا " ﴾[٢] ، وقالوا ﴿ " أرنا الله جهرة " ﴾[٣] ، ((وحملقوا فى السماء ليروا الله)) [٤] .

وهذا النص لا يصدقه عقل سليم ، لأنه ينسب للإله التعب وبذل الطاقة المستدعى للراحة ، وذلك من سمات المخلوقين ، ولا يتناسب مع الله رب العالمين .

كما أنه تعالى لو أن التعب يناله لكان محتاجا للراحة والاحتياج دليل النقص المنافى للكمال ، وهذا حكم العقل والنقل بأن النص السابق ذكره فى العهد القديم ليست له أسانيد مقبولة ، بل مردودة فى وجوه أصحابها ، مما يؤكد أن هذا العهد القديم لعبت به أيدى أصحابه أى ملعب ؟

[٢] **يصور العهد القديم الإله بأنه :- لا يتنزه على أن يأتى أعمال الإنسان** ، وحركاته وذلك عندما كان يتمشى فى الجنة ، حيث جاء فى سفر التكوين .

((وسمع آدم وزوجه صوت الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم ، وقال له أين أنت ، فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت ، فقال من أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها)) [٥] .

فقد صور اليهود فى هذا النص الإله بصورة بشرية ، حيث نسبوا إليه المشى والتنزه فى الجنة وقت المساء ، وأنه اكتشف خطيئة آدم مصادفة[٦] .

---

(١) سورة ق - الآية ٣٨ .

(٢) سورة المائدة الآية ٢٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ٩٢ .

(٤) الدكتور / السيد رزق الطويل - بنو إسرائيل فى القرآن تاريخ وتحقيق ص٨٧ - دار المعارف مصر .

(٥) سفر التكوين إصحاح ٣ فقرة ٨/١٣ .

(٦) الدكتور / فتحى محمد الزغبى - تأثر اليهودية بالأديان الوثنية - الطبعة الأولى - دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ١٩٩٤م .

[٣] ومن الصفات التى وصف اليهود الإله بها :- أن له أعضاء مثل البشر ، وأنه يرى بالحاسة مجسدا .

حيث يقول سفر الخروج ((ثم صعد موسى وهارون وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل ، وتحت رجليه شبه صنعه من العقيق الأزرق الشفاف ، وكذات السماء فى النقاوة ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف إسرائيل فرأوا الله)) (١) .

إلى غير ذلك من التجسدات التى جعلوها لله ، أو حصروه فيها ، وسوف نتناولها على شيء من التفصيل فى الفصول التالية إن شاء الله تعالى .

❁ المصادر اليهودية فى هذه المرحلة :-

ذكر الدارسون فى مجال مقارنة الأديان أن مصادر المرحلة الثالثة التى قامت عليها الأفكار اليهودية يمكن أن تتلاقى فى مجموعات هى :-

[١] شروح العهد القديم(٢) .

[٢] تعاليم رجال اللاهوت اليهود :-

[أ] التعاليم الشفوية .

[ب] التعاليم المدونة .

[٣] بروتوكولات حكماء صهيون .

يذهب صاحب القاموس السياسى إلى أن بروتوكولات حكماء صهيون هى :-

((وثيقة سرية تشتمل على مشروع يهدف إلى السيطرة اليهودية على العالم)) (٣) ، حتى يكون تحت رعاية اليهود أنفسهم ، خاضعا لإرادتهم ، واقعا تحت تصرفاتهم ، على نحو طبيعى .

---

(١) سفر الخروج إصحاح ٢٤ فقرة ٩/١١ .

(٢) من المعروف أن رجال اللاهوت ، وعلماء الدين اليهودى والأحبار قد حاول كل منهم الاستمساك بما بين يديه من أوراق إدعى نسبتها للعهد القدم ، وحاول تقديم الشروح لها حتى صار ذلك التمسك بكل الشروح مصدرا من مصادر اليهودية فى المرحلة الثانية - الإمام / الفخر الرازى - المطالب العالية .

(٣) الأستاذ / أحمد عطية الله - القاموس السياسى ص١٩٧ - الطبعة الثانية - دار النهضة العربية ١٩٦٨م .

أو هي : ((الصيغة التي دونت بها مقررات العصابة المعروفة بحكماء صهيون))[1] ، بغرض امتلاك العالم ، واستغلال ثرواته ، واستعباد شعوبه ، مع التمكن من إخضاعهم على وجه عام بحيث تسود دولة صهيون وحدها .

وقد استقى اليهود المعاصرون ثقافتهم من المرتكزات التي قامت في هذه البروتوكولات بالإضافة إلى الآراء الشاذة التي ارتضعوها من التلمود[2] ، مدعمة بما جاء في بعض أسفار العهد القديم[3] ، من نصوص يراها أصحابها مقدسة ، وما هي إلا جزء من خيالات قامت في أعماق مؤلفيها .

وبهذا نرى أن اليهودية لا يمكن النظر اليها بمنظور واحد ، متى أراد الوصول إلى الحقيقة ، وإنما لابد من التفرقة بينها كديانة إلهية ، جاء بها كليم الله موسى بن عمران – عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام – وكتابه التوراة ، بجانب الألواح ، والصحف ، والشعب الذين بعث فيهم هم بني إسرائيل ، وبين اليهودية التي قامت على اسم الصفة ، أو المدينة الدينية ، وما هي إلا اتجاهاً سياسيا ، غرضه زعزعة العقيدة ، ومحاربة الدين ، وتعويد الناس القفز فوق الفطر النقية والأعراف المستقرة ، ومصادرها – التلمود ، البروتوكولات ، بجانب ما عرف من أسفار العهد القديم .

◈ فما هو تجسيدهم للإله على وجه التكامل أو التجزئة ؟

◈ ذلك ما سوف نعرض له في الفصل التالي إن شاء الله .

---

(١) الأستاذ / حجاج نويهض – بروتوكولات حكماء صهيون نصوصها ورموزها وأصولها التلمودية ص٢٤ – الطبعة الرابعة – دار الاستقلال بيروت ١٩٩٦م .

(٢) التلمود : عرفه أحد الباحثين بأنه " كتاب مقدس ، وهو تعاليم الله وشرعيته التي شافه بها موسى ، وهو بهذا المشافهة يربوا في قداسته على العهد القديم " – الدكتور حسن حسين الهوارى – دراسات في اليهودية ص٣٩ – مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٣م

(٣) العهد القديم : عرفه أحد الباحثين " بأنه تنتمي أسفاره ، من حيث شكلها ، ومضمونها ، ودوافع كتابتها ، إلى جنس كتابي ، يمكن وصفه بجنس الجمع التراثي " ، وأعلن بعض الباحثين بأن " المصدر الأساسي له هو الحكاية الشعبية والملاحم التي كانت متداولة شفاهاً عند تحرير أسفاره ، أثناء وبعد الأسر البابلي " – الأستاذ فراس السواح أرم دمشق وإسرائيل في التاريخ التوراتي ص٩ – الطبعة الأولى ١٩٩٥م – منشورات دار علاء الدين دمشق .

الفصل الرابع

تجسيدهم للإله في صورة البشر

(المتكامل والمتجزئ)

إذا كنا قد فرغنا من تعريف عنوان الرسالة ، ورأينا الأقوال والاصطلاحات في المسألة ، وقد تعرضنا لمراحل اليهودية على النحو الذى سلف ذكره ، فبان لنا أن هناك مرحلتين بدا فيها التجسد للإله ظاهرا ، حملته العقول وتغنت به المصادر ، وأعنى بالمرحلتين الأولى مع نهايات موسى عليه السلام ، والثانية : وقت نزول القرآن الكريم ،

وهما اللتان لم يوجد فيهما موسى الكليم ، وقد حجبت عن القوم تعاليم رب العالمين ، مما يُعطى الباحث متسعا من الفكر ، ليؤكد أن التجسد مجرد فكرة خيالية لعبت بعقول أصحابها حينا من الزمان .

((حيث ظهر التجسيم عند اليهود حين عبدوا العجل ، وخروا له ساجدين))[1] ، لذا فإن الدارس يرى ضرورة الانتقال إلى عرض الفكرة في اليهودية ، وبيان مظاهر ذلك التجسد على النحو الذى عاش فيه اليهود بعد موسى عليه السلام ، وسرى بين أصحابها ، وما يزال يجرى حتى يومنا هذا .

◈ **فما هو التجسد الإلهى في صورة البشر عندهم ؟**

◉ **والجواب :-**

((إن اليهود يعتقدون بمشابهة الله للإنسان ، حيث يوجد فى المصادر النصية عندهم عبارات كثيرة تنطق بالمشابهة بين الله والإنسان ، مثل الصورة ، والمشافهة ، والتكليم جهرا ، والنزول عند طور سيناء))[2] .

((فقد صور اليهود الإله فى أسفار العهد القديم بالعديد من الصور البشرية المحضة))[3] ، وكان لديهم استعداد طبيعى لهذا الاعتقاد ، الذى تناولوه على سبيل التوارث .

---

(١) الأستاذ / عبدالكريم الخطيب – قضية الألوهية بين الفلسفة والدين " الله ذاتا وموضوعا " ص٣٨٥ ط الثالثة – دار المعرفة ١٩٧٥م .

(٢) الدكتور / محمد البهى – الجانب الإلهى فى التفكير الإسلامى ص٥٨ ط٦ – مكتبة وهبة ١٩٨٢م .

(٣) الدكتورة / سهير محمد مختار – التجسيم عند المسلمين – مذهب الكرامية ص١٠٩ – رسالة ماجستير كلية البنات ١٩٧١م .

والمطالع لمصادر تلك الفترة ، والتى تليها ، يرى أن هناك صورا كثيرة للتجسد الإلهى عندهم ، حيث ركز دعاة الفكر اليهودى على إثبات أوصاف البشر لله تعالى ، فجعلوا له أطرافا ، من يد ، ورجل ، وفم ، يجرى فيه الأكل والشرب ، ووسائل تتم بها العلاقات الجسدية ، التى يأتى منها البنون والذرية .

كما وُصْفَ الله تعالى عندهم ، بصفات الإنسان فى جانب النفس البشرية من فرح ، وحزن ، وذكاء ، أو غباء ، وسرعة فى اتخاذ القرار إقبالا عليه ، أو تراجعا عنه ، إلى غير ذلك من الصفات التى هى من طبيعة الإنسان بصفة خاصة ، والمخلوقات بصفة عامة .

ونحن نذكر بعض مظاهر تلك التجسدات على سبيل الدراسة ، لا على سبيل الاعتقاد

[١] الصورة البشرية .

[٢] النزول عند طور سيناء .

[٣] القرابة البشرية ، كما جاء فى عمائيل من العمومة ، وإيل أب من الأبوة[١] .

[٤] الأكل و الشرب .

[٥] عنده من الأولاد مثل البشر الولد البكر الذى له حظوة عند أبيه[٢] .

[٦] المشى على الأرض .

[٧] البكاء على طوفان نوح حتى رمدت عيناه[٣] .

وعلى ذلك نقول ((إن الصورة التى صورها العهد القديم لله صورة مليئة بالتشويش ، فهو يفعل الفعل ، ثم يندم عليه ، بعد أن يتبين له أنه أخطأ ، وهو يفرح برائحة الشواء ، ويدركه التعب ، وإذا اشتغل بعض الوقت ، فيحتاج إلى الراحة ، إلى غير ذلك من هذه الأوصاف التى سوف نتناولها فى خلال هذا البحث[٤] .

---

(١) الأستاذ / عباس محمود العقاد - الله كتاب فى نشأة العقيدة الإلهية ص١٠٩ - الطبعة الثامنة - دار المعارف العمومية ١٩٨٠م .

(٢) الدكتور سعيد مراد - مدرسة البصرة الاعتزالية ص٧٦ - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٢م .

(٣) الدكتور / عوض الله جاد حجازى -مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص١٥٢ - الطبعة الرابعة - دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٩٣م .

(٤) الدكتور / مصطفى محمود - التوراة ص٣١ - د ار المعارف مصر .

أولا : التجسيد على صورة بشر (المتكامل)

اليهود يصفون الله عندهم بصفات تخرج عن دائرة المعنى المجرد إلى دائرة المفهوم المجرب فى النواحى الحسية ، فقد ذكرت العديد من نصوصهم سمات التجسد للإله على صورة بشر ، سواء كان هذا التجسد على وجه العموم ، أو على وجه الخصوص .

والدارس لمقارنة الأديان يرى نفسه بحاجة إلى تقسيم تجسد الإله عندهم إلى قسمين :

- القسم الأول : التجسد العام أو المتكامل .
- القسم الثانى : التجسد الخاص أو تجسد الأطراف .

ونبدأ بعرض الآراء فى هذه الأقسام ، ثم نعقِّب عليها طبقا للخطة التى قررنا السير فيها ، وذلك على النحو التالى :-

القسم الأول : التجسد العام أو المتكامل :-

وصف الفكر اليهودى الإله عندهم بأنه على صورة إنسان من حيث الشبه ، والتجسد العام ، وأن الإنسان على صورة الله عندهم ، سواء كان ذكرا أو أنثى ، وأن هذه الصورة قديمة ، يرد عليها البشر أجمعون ، ولذا سنعرض مظاهر هذا التجسد عندهم ، ونناقش كل مظهر منها عقب عرضه :-

المظهر الأول : تجسد الهيئة :-

(أ) عرض الفكرة :-

ذكرت أسفار العهد القديم ((أن الرب رجل حرب)) (١) ، ((وأنه خلق الإنسان على صورته يوم خلق الله الإنسان)) (٢) ، وهذه الصورة التى خلق الله عليها الإنسان هى

---

(١) العهد القديم - سفر الخروج إصحاح ١٥ فقرة ٣ .
(٢) العهد القديم سفر التكوين إصحاح ٥ فقرة ١ .

صورة الرب وهيئته ، لأن الله عندهم قال ((نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا تماما))[١] .

◈ وهذه الهيئة للإله لا تخرج أبدا على صورة الإنسان ، بل إن صورة الإنسان هي مظهر صورة الإله ، كما أن صورة الإله مظهر صورة الإنسان ، أما لماذا ؟

◈ فلأنهم يقولون : ((إن الله على صورته عمل الإنسان))[٢] ، ويذكر أحد رجالاتهم المعدودين أن المراد في قوله " نخلق آدم على صورتنا " هو الصورة النوعية التي هو الإذدراء العقلي ، لا الشكل والتخطيط الذي يحمله الفرق بين الصورة والهيئة[٣] .

ويذكر شراح العهد القديم ((أن هذه الجملة أيضا إشارة إلى " الثالوث الإله الآب ، والإله الابن ، والإله الروح القدس " والثلاثة إله واحد))[٤] ، وليس هذه من الإشارات الغريبة عليهم ، إذ أن فلاسفتهم يصرحون بأنه ((من أجل العقل الإلهي المتصل به أنه على صورة الله وشاكلته))[٥] .

◈ وربما يتساءل أحدهم محاولا تقديم سؤال في المنطقة : فيقول كيف خلقنا على صورة الله ؟

◈ ثم يجيب : على هذا التساؤل ((بأن الله خلقنا مثله تماما ، وبخاصة بالمعنى الطبيعي ، إننا نعكس مجد الله الذي أعطانا القدرة أن نكون بلا خطية ، ونحيي إلى الأبد ، ولا يمكننا أن نكون مطلقا ، مثل الله تماما ، لأنه هو خالقنا الأسمى»،

لكن أعظم آمالنا أن نعكس طبيعته عن طريق محبتنا وصبرنا ، لقد خلقنا على صورة الله ، ومن ثم فنحن نشاركه في الكثير من صفاته وعواطفه ، وإدراكنا لهذا هو

---

(١) سفر التكوين إصحاح ١ فقرة ٢٦/٢٧ .

(٢) سفر التكوين إصحاح ٩ فقرة ٦ .

(٣) موسى بن ميمون القرطبي – دلالة الحائرين – ترجمة الدكتور / حسين أتاي – مكتبة الثقافة الدينية .

(٤) التفسير التطبيقي للعهد القديم ص٨ .

(٥) موسى بن ميمون – دلالة الحائرين ص٢٤ – ترجمة الدكتور / حسين أتاي .

أساس قيمتنا ، إن قيمتنا هى فى إدراكنا أن الله قد خلقنا على صورته ، ونقضنا لذواتنا أو الحط من قيمتنا هو نقض لما خلقه الله ، ولأننا مثل الله يمكن أن نشعر بالرضا عن أنفسنا ، وعن قدراتنا))[1] .

وكتاب العهد القديم لا يرون الله – عندهم – قد خلق الرجل وحده على صورته ، أو خلق المرأة وحدها على صورته ، وإنما خلق كلا منهما على صوره الله ((فلم يخلق الرجل أو المرأة أكثر شبها من الآخر ، فمنذ البداية نرى الكتاب المقدس يضع الرجل والمرأة على قمة خليقة الله ، وبالتالى فلا انتقاص فى قدر أى منهما))[2] ، وإنما هما متساويان تماما فى كونهما على شكل الله صُنعا .

(ب) مناقشة الفكرة :–

لا شك أن هذا التجسد الذى نطقت به نصوص العهد القديم ، لا يخرج عن إطار الهيئة والشكل العام ، الذى يجرى مثله على المخلوقات ، ولا يصح أبدا على الخالق جل علاه ، وإلا كان الخالق مثل مخلوقه فتساوى الخالق والمخلوق ، وهو ما لم يقل به عاقل أبدا ، فهل يرد فى نص يزعم أحد نسبته إلى الله تعالى ،

ثم إن تجسد الهيئة على النحو الذى سلف ينسب لله وجود الشبيه ، والصورة المتماثلة ، والعمل المختلط ، والصفات التى لا تتناسب إلا مع المخلوقات الحادثة ، التى تحتاج إلى الزمان ، والمكان ، والجوارح ، وباقى الملابسات الأخرى ، وهو ما يتنزه عنه البارى جل علاه ، ونحن نرفض نسبته أبداً إلى الله تعالى .

وقد يرد علينا اعتراض قائم على أنه توجد فى الآثار صورة ، لما ورد فى العهد القديم ، من أن الله خلق آدم على صورته ، فيكون الاعتراض على ما ورد فى العهد القديم هو نفس الاعتراض الوارد على النص أيضا ، فإنه كان ما فى العهد القديم بهذا الخصوص غير مقبول ، فإن الحكم ينصب على هذا الأثر عندكم أيضا .

(١) التفسير التطبيقى للعهد القديم ص٩ .

(٢) المرجع السابق ص٩ .

والجواب :-

أن الفرق بينهما كبير جدا لأنه :-

- **فى العهد القديم** : منصّب فى كون الإنسان مخلوقا على صورة الله[١] .
- **أما فى الأثر** : فمنصب على أن الإنسان مخلوق على هيئة الإنسان نفسه ، بمعنى أن ذكورة خُلقوا على ما هم عليه ، متكاملين ، وإناثهم خلقن كما هن عليه متكاملات ،

ولم يحدث لأى منهما أو لكليهما تطور من صورة دنيئة إلى صورة راقية ، كما يزعم أصحاب التطور الإحيائى ، الذين يذهبون إلى أن الإنسان قد خلق من كائنات أدنى منه ، ثم حدث تطور فيه ، بناء على قولهم بالنشوء ، والتطور ، والارتقاء[٢] ، وهى أفكار هزيلة لم يصدقها العلم ، بل عاندها ، وهى فى مجملها أفكار قائمة على الخيال ، وقد أفاض فى بيان فسادها المعنيون .

ومن ثم فإن الاعتراض مندفع على سبيل اللغة أيضا ، باعتبار أن الضمير فيه على صورته الموجودة بالأثر يعود على أقرب مذكور ، طبقا لقواعد اللغة ، وهو الإنسان ، فيكون المعنى ((أن الله خلق كل فرد من أفراد الإنسان فى القديم على نفس صورته التى هو عليها فى الحاضر ، وسيظل أمرها ، ما دام ذلك قائم فى قضاء الله وقدره)) .

المظهر الثانى : تجسد الحركة :-

العهد القديم ينسب للإله الحركات المتوالية من النزول والوقوف والسير للأمام أو الخلف ، والاحتباس فى عمود نار ، والقتال على أنحاء متفرقة من الأعداء ، وهذا التجسد

---

(١) جاء فى سفر التكوين : « وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيسلطون على سمك البحر ، وعلى حد السماء ، وعلى البهائم ، وعلى كل الأرض ، وعلى جميع الدبابات التى تدب على الأرض ، فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه » سفر التكوين الإصحاح فقرة ٢٦/٢٨ .

(٢) عرفت هذه النظرية باسم نظرية تطور الكائنات الحية ، كما اشتهر بها دارون نفسه ، وقد راجعه الكثير من العلماء على النواحى العلمية والدينية - راجع الإسلام ونظرية دارون - الدكتور / محمد أحمد باشميل ، وغيرها من الكتب المستخدمة مثل كتاب التطور الإحيائى بين النقل والعقل للأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى .

الحركى يجب أن ينظر إليه من خلال النصوص التى أوردها ، ومناقشة تلك النصوص على نحو فنى دقيق من خلال تقسيمه إلى :-

(١) النـــــزول :-

(أ) عرض الفكرة :-

ذكرت أسفار العهد القديم أن الرب كان فى السحاب فوقف ثم نزل مرة أخرى فـى السحاب أيضا ، فلما دعاه موسى ((نزل فى عمود سحاب ، ووقف فى باب الخيمة)) [١] ،وهذا النزول للرب فى عمود سحاب يمثل لا شك حركة متكاملة .

بل إن سفر التكوين ذكر ملامح هذا النزول الحركى مـن هبوط مستمر حتى أدنى مستوى ، وهو السير الملازم لحركة النزول[٢] ، ولا شك أن هذا النزول الحركى تعلق بالمكان ، كما تعلق بالزمان ،

حيث يذكر سفر الخروج ((أن الرب نزل فى السحاب ، فوقف عنده هناك ، ونادى باسم الرب ، فاجتاز الرب قدامه)) [٣] ، وكذلك ((ينزل الرب عندهم من السحاب حتى ينظر المدينة والبرج ، الذى كان بنو آدم يبنوهما)) [٤] ، حتى يطمئن الرب إلى أن البناء قد تم على وجه الدقة والكمال ،

((فقال الرب أنزل ، وأرى هل فعلوا بالتمام)) [٥] ، فلما نزل الرب إلى المدينة ونظرها والبرج ، فرح الرب بما انتهى إليه أمر المدينة والبرج ، وأثنى على هؤلاء البناة من بنى آدم ، ووصفهم بأنهم شعب واحد ، ولسان واحد .

---

(١) سفر العدد - إصحاح ١٢ فقرة ٥ .

(٢) يراجع سفر التكوين الإصحاح ٣ فقرة ٩/٨ .

(٣) سفر الخروج - إصحاح ٣٤ - فقرة ٦/٥ .

(٤) سفر التكوين - إصحاح ١١ - فقرة ٥ .

(٥) سفر التكوين - إصحاح ١٨ - فقرة ٢١ .

ويحاول أحد زعماء الفكر اليهودى الدفاع عن هذه الفكرة فى شيء من التأويل الغامض ، حيث يقول : ((النزول والصعود فى اللغة العبرانية[1] اسمان موضوعان للهبوط والطلوع ، ثم أستعير هذان الاسمان للجلالة والعظمة ، حتى إذا انحطت منزلة الشخص ، قيل نزل ، وإذا علت منزلته فى الجلالة قيل صعد ، وإذا اتجه الإنسان بفكره نحو أمر خسيس يقال منخفض ، وإذا اتجه بفكره إلى أمر عال جليل قالوا مرتفع)) [2] .

(ب) مناقشة الفكرة :-

وهكذا كانت النصوص التى يعتمد عليها أصحاب الفكر اليهودى طافحة بالتجسيد العام ، كما أنها مؤكدة على النزول الحركى ، الذى هو من صفات المخلوقات ،

ونسبة هذا النزول لله على النحو الذى لا يليق بالخالق أبدا ، إذ لو كان الرب فى السحاب ، أو فى عمود من نار ، لكان منحصرا فيه متحيزا به لا يغادره إلى غيره ، والمعروف أن التحيز من صفات المخلوقين ، وليس من صفات الله رب العالمين .

لأن التحيز يمثل احتياج صاحبه للمكان المتحيز فيه ، كما يثبت قصر قدرته عن خروجه من هذا المكان ، إلا بصعوبة بالغة ، ولذا فإنى أرى عدم ثبات تلك الأفكار على ناحية المنهج العلمى ، وأكرر أنها لا تتفق مع النصوص الشرعية ، التى ورد بها النقل المنزل فى دين الإسلام ، الذى هو مصدق لما سبقه من الكتب المنزلة من عند الله .

❁ المظهر الثالث : السير :-

(أ) عرض المسألة :-

المصادر اليهودية فى العهد القديم تنسب للرب أنه يسير على قدمين فى وسط مملكته ، ومرة يسير فى الجنة التى يهوى السير فيها، وأخرى يتحرك بقصد إنقاذ

---

(١) العبرانية : هى إحدى اللغات السامية ، وقد وجدها إبراهيم عليه السلام فى أرض كنعان ، لما قدم من ما بين النهرين ، وكانت تلك اللغة شديدة الشبه بلغات الدول والقبائل الأخرى فى سوريا فى ذلك الحين ، وخاصة الفينيقيين ، والمؤابين ، وقد كتبت معظم أسفار العهد القديم بالعبرانية ، إلا سفر دنيال وعزر - راجع قاموس الكتاب المقدس ص٥٩٨ .

(٢) موسى بن ميمون - دلالة الحائرين ص٣٧ بتصرف يسير .

أصدقائه ، ورفع خصومهم ، من ذلك ما ورد فى سفر التكوين ((وسمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب))[١] .

ويبدوا أن الرب عندهم يسير فى وسط الجنة ليخيف آدم وحواء ، أو يسير فى مملكته لينقذ أتباعه ، ويدفع أعدائهم ، يذكر سفر التثنية هذا الموقف قائلا : ((الرب إلهك سائر فى وسط مملكته كى ينقذك ، ويدفع أعدائك أمامك ، فلتكن محلتك مقدسة ، لئلا يرى فيك قذر شيء فيرجع عنك))[٢] .

ويؤكد سفر الخروج ما ذهب إليه : ((أن الرب كان يسير أمامهم نهارا ، فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق ، وليلا فى عمود نار ليضئ لهم كى يمشوا نهارا وليلا))[٣] .

(ب) مناقشة الفكرة :-

◈ **وفى تقديرى** :- أن السير الذى تتحدث عنه أسفار العهد القديم ناسبة إياه إلى الرب عندهم ،لا يمكن التسليم به ، لا على :- **ناحية اللغة** ، ولا على ناحية الشرع ، أما لماذا ؟

- **من ناحية اللغة :-**

فلأن اللغة لم توضع إلا ليتعارف بها الناس ، ويتعاملون بها ، بينما صفات رب العالمين أعلى من هذه الاعتبارات كلها ، فلا تكون اللغة الموضوعة[٤] بالاتفاق حاكمة على الصفة الإلهية على الإطلاق ، وإلا تكون الأمور مقلوبة ، ومثلها لا يعتد به فى مجال الدراسات المقارنة .

---

(١) سفر التكوين - إصحاح ٣ - عدد ٨ .

(٢) سفر التثنية - إصحاح ٢٣ - عدد ١٤ .

(٣) سفر الخروج - إصحاح ١٣ عدد٢١ .

(٤) اتفق العلماء على أن مفردات اللغة وقواعدها وضعية ، وأن المعايير التى يضعها المتخصصون كقواعد لها لا تخرج عن هذا الجانب .

- **أما الناحية الشرعية :-**

فإن السير من ملازمات المخلوقات ، فمتى ورد اللفظ فى اللغة ، أو فى الشرع انصرف إلى أمر آخر له دلالة مفهومة ، تبتعد كثيرا عن الألفاظ والدلالات البشرية ، لأنها لو كانت مفهومة على ظاهرها ، لأوقعت فى المشابهة والمماثلة بين الله تعالى ، وبين الخلائق ، مع أن تلك المماثلة منفية شرعا ، وكذلك المشابهة شرعا وعقلا أيضا .

قال تعالى ﴿ " ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين " ﴾[1] .

المظهر الرابع : الوقوف فى المكان :-

(أ) عرض الفكرة :-

الفكر المنسوب لليهودية ما زال يطرح نفسه بشدة ، مستخدما وسائل التشبيه ، والتجسيم ، التى تجرى للمخلوقين ، ثم وصف الرب بها عندهم ، فهم قد وصفوه بالنزول الجسدى ، والسير الحركى ، حتى إذا جاء دور الوقوف سلّموا به ، حتى قالوا : ((هوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة على الأرض ، ورأسها يمس السماء ، وها هو ذا الرب واقف عليها))[2] .

ثم إن هذا الوقوف لا يقصد به سوى الحركة التى يمارسها الكائن متى أراد القيام بها ، أو أجبر عليها ، أما الموقف هنا فإن الغاية منه عملية الشوشرة ، والبلبلة لأفكار الآخرين خصوم بنى إسرائيل ، حتى لا تتمكن ألسنتهم عن التعبير عنها ،

يقول سفر التكوين : ((هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم ، حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض))[3] ، ثم أن هذا الوقوف يمثل نوعا من استعراض الذات لقدراتها ، حتى يتمكن صاحبها من قتال أعدائه ، ونصرة أصدقائه .

(١) سورة المؤمنون - الآية ١٤ .

(٢) سفر التكوين - الإصحاح ٢٨ - فقرة ١٢/١٣ .

(٣) سفر التكوين - الإصحاح ١١ - فقرة ٧ .

يقول سفر الخروج : ((الرب يقاتل عنكم ، وأنتم تصمتون)) [١] ، كما أن الرب الذى وقف على الأرض واستعد للقتال ، قد أشرف على جنوده من عساكر المصريين فى عمود النار والسحاب ، لأنه يريد أن يزعجهم ، نظرا لخصومتهم لشعبه – من وجهة نظرهم – وقد تحقق له ما أراد ، حتى أنه خلع بكر مركباتهم ، حتى ساقوها بثقلة ، فقال المصريون ((نهرب من إسرائيل ، لأن الرب يقاتل المصريين عنهم)) [٢] .

يقول أحد حراس هذا الفكر محاولا تأويل لفظ الوقوف عندهم مبينا أنه ((اسم مشترك يأتى بمعنى القيام والوقوف ، كما يأتى بمعنى النقول والكف ، وبمعنى الثبات والبقاء ، ثم ينتهى إلى أن الوقوف الوارد فى العهد القديم معناه الثبات والبقاء)) [٣] .

وعلى هذا ظن أنه قد هرب من الموقف ، والأغرب أن تأويلاته توقعه هو الآخر فى حرج شديد ، إذ يقول ((كل ما جاء من هذا الاسم – الوقوف – فى حق البارى ، فهو من هذا المعنى ،

فقولنا : إذن الرب واقف على السلم معناه " ثابت باق عليه " أعنى على السلم الذى طرفه الأول فى السماء ، وطرفه الآخر فى الأرض ، ومنه يتسلق ، ويطلع كل من يطلع ، حتى يدرك من عليه ضرورة ، إذ هو ثابت باق على رأس السلم)) [٤] .

وهو تأويل أسوء من النصوص ذاتها ، وما حاول الهرب منه سقط حتى أذنيه فيه .

(ب) مناقشة الفكرة :–

لا شك أن هذه المظاهر من الوقوف ، والقتال ، والكمون ، فى عمود النار والسحاب ، وإرسال الأصوات المزعجة والتهديدات المستمرة هى من صفات المخلوقات ،

---

(١) سفر الخروج – الإصحاح ١٢ – عدد ١٤ .

(٢) سفر الخروج – الإصحاح ١٤ – عدد ١٥/٢٤ .

(٣) دلالة الحائرين ص٤٢ .

(٤) المصدر السابق ص٤٧ .

التى يحاول دعاة الفكر اليهودى نسبتها إلى الـرب ، أو إلصاقـها بـه ، وهـو منـها بـراء ، وهى عنه بعيدة .

❁ المظهر الخامس: الطعام :-

(أ) عرض الفكرة :-

وليس الأمر معهم قد انتهى عند هذا الحـد الـذى أشـرت إليـه ، وإنمـا ذكـر العـهد القديم أيضا أن الرب يحتاج إلى طعام يقدم له . يقول سـفر العـدد : ((كلـم الـرب موسـى قائلا أوصى بنى إسرائيل ، وقل لهم طعامى قربانى مع وقائدى رائحـة سـرورى تحرصـون أن تقربوه لى فى وقته»،

وقل لهم هذا هو الوقود الذى تقربون للـرب خروفـان حوليـان صحيحـان لكـل يـوم الخروف الواحد تعمله صباحا ، والخروف الثانى تعمله بين العشائين ، وعشـر الإيفـة مـن دقيق ملتوت[1] ، بربع الهين من زيت الرض تقدمه محرقة دائمة)) [2] .

ومن المعلوم أنه ما دام الرب قد طلب طعامه بنفسه ، وحدد نوع الطعـام ، وهـم قـد استجابوا لهذا الذى طلب وأعدوه ، ثم للشواء قدموه ، فإذا الـرب عندهـم ((تنسم رائحـة الرضا)) [3] ، التى جعلته مسرورا ، لأن طعامه كان مناسبا له .

وهكذا تطلعنا تلك المصادر ، على أن الرب عندهم يأكل ، ويشـرب ، ويستنشـق ، ويتنسم رائحة الشواء الطيب ، كما ينفر من الروائح الأخرى .

ولم يقف هذا التصور السـاذج الـذى يجـرى فـى أعمـاق الفكـر اليـهودى عنـد هـذا الحد ، وإنما وصف الرب بحاجته الشديدة إلى طعـام الفطـير ، كمـا كـانت لـه حاجـة إلى

---

(١) كان العبرانيون يحبون حياة البداوة ، وطعامهم قاعدة أصلية الخبز ، وحاصل الماشية من اللبن وغيره ، أما اللحـــم فكـــان يـــأتى مصادفة ، ولما تحضروا أضافوا إلى طعامهم ما تنتجه الحدائق ، لكن شريعة الأطعمة كانت دقيقة جدا ، حيث أنها تفصـــل بـــين الطاهر والنجس ، وتنهى عن كل مخالفة – قاموس الكتاب المقدس ص٥٧٧ .

(٢) سفر العدد – إصحاح ٢٨ – فقرة ٦/١ .

(٣) سفر التكوين – الإصحاح ٨ – فقرة ٢١ .

طعام الخرفان ، يقول سفر لاويين : ((ومن سل الفطير الذى أمام الرب أخذ قرصا واحدا)) [١] ، فكأن الرب عندهم أشبه ما يكون بموزع الخبز ، أو عامل فى مخبز ، وهو فى كل حالاته يأكل مما تصنعه يداه ، فيسعد ، وتستريح نفسه .

أضف إلى ما سبق من مظاهر ، أن الرب عندهم يقسم فيقع فى يمينه ، وحين إذ يحتاج إلى من يحلله من يمينه ، التى أقسم حتى تعود الأمور إلى طبيعتها ، ولا يغضب على شعبه ، ولكنه فى كل الحالات يحتاج إلى من يحلله من تلك اليمين ،

يقول التلمود : ((سمع أحد العقلاء من اليهود الله تعالى ، وهو يقول من يحللنى من اليمين الذى أقسمت بها)) [٢] .

فيبدو أن التركيبة العقلية لذلك الفكر قد دخلها الكثير من الاضطراب والخلل ، فزينوا الأوصاف القبيحة على اليهودى الذى سمع الرب يطلب تحلله من يمينه ، ولم يستجب له ،

يقول التلمود : ((علم الحاخامات أنه لم يحلله منها ، فاعتبروه حمارا ، لأنه لم يحلل الله من يمينه)) [٣] ، التى أقسم بها ، ووقع فيها لحظة غضبه ، واستيلاء طاقات الانفعال عليه ، وهو ما لا يتناسب إلا مع المخلوق الضعيف ،الذى لا يملك نفسه .

(ب) مناقشة الفكرة :–

ونحن ننزه الله تعالى عن تلك الأوصاف ، ولا نرتضيها أبدا ، وإنما نصف الله بما وصف به فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة [٤] ، لأن أسماء الله وصفاته توقيفيه عندنا نحن المسلمين ، ولا يمكن لمسلم أبدا أن يطلق على الله اسم أو صفة لم يرد بها النقل

(١) سفر اللاويين – إصحاح ٨ – فقرة ٢٦ .

(٢) الكنز المرصود فى قواعد التلمود ص٧٦ – ترجمة يوسف نصر الله – لطبعة الأولى – دار القلم – دمشق ١٩٨٧م .

(٣) المصدر السابق ص٥٦ .

(٤) لأن أسماء الله توقيفيه ، جاء بها النقل المنزل من غير زيادة عليها أو نقصان .

المنزل ، وإلا كان ملحدا . قال تعالى ﴿ " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون " ﴾[١] .

ومن الحديث الشريف ، ما رواه الإمامان البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((" إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة ")) [٢] .

۞ المظهر السادس: التعب واستنزاف الطاقة :-

(أ) عرض الفكرة :-

تعقد أسفار العهد القديم مقارنة جائرة بين الله وبين المخلوقين ، حتى إنها تصف الله بالتعب والعناء ، واستنزاف الطاقة متى فعل فعلا :-

ففى سفر الخروج يقول : ((فى ستة أيام صنع الرب السماء والأرض ، وفى اليوم السابع استراح وتنفس)) [٣] ، لأنه تعب من المجهود الذى بذله ، وحبس النفس الذى كان يؤلم صدره ، وهذا المفهوم قد تأكد كثيرا عندهم ، حتى ذكروا أنه فى اليوم السابع[٤] ، فرغ الله من عمله الذى عمل ، فاستراح فيه من جميع عمله[٥] .

(ب) مناقشة الفكرة :-

إن هذين النصين يضرب بعضهما الآخر ، لأن الأول ذكر أن الرب انتهى من العمل فى ستة أيام ، على وجه القطع والتحديد ، أما الثانى ، فقد ذكر أن الله فرغ من العمل

(١) سورة الأعراف - الآية ١٨٠ .

(٢) رواه البخارى ومسلم والحاكم والترمذى وأحمد رقم ٧٤٩٣ فى مسنده ، شرحه أحمد محمد شاكر ص٣٤٤ .

(٣) سفر الخروج إصحاح ٢ فقرة ١٧ .

(٤) كان السبت فى الفكر اليهودى على ما يرى كتاب العهد القديم ومفسروه حدثان : الأول :- أنه كان وقتا للراحة ، والثانى :- أنه كان وقتا لتذكر ، ما قد فعله الله - التفسير التطبيقى للعهد القديم ص١٩٣ .

(٥) سفر الخروج - إصحاح ٢ - فقرة ٣ .

فى اليوم السابع ، وليس فى نهاية اليوم السادس ، كما فى النص السابق وبناء عليه ، فإن الجمع بينهما يكون جمعا بين المتناقضات ، ولا يقول به صاحب فكر مستقيم .

أضف إلى ما سبق أن سفر التكوين ذكر أن الرب بارك اليوم السابع وقدسه ، لأنه فى ذلك اليوم توقف من جميع الصناعات ، التى كان يصنعها ، ثم إن الله كمل فى اليوم السادس صناعته ، التى صنع ، وفى اليوم السابع استراح من كل صناعة ، فتم تقديسه ومباركته[١] .

ومما لا شك فيه أن الذى يتعب من العمل ، هو الذى تستنزف منه الطاقة ، والطاقة مخلوقة ، وصاحبها مخلوق ، وبالتالى فإن استنزافها منه وعدم بقائها معه أمران من صفات الحوادث ،

أما المولى الكريم فإنه تعالى الغنى المستغنى ، لا يحتاج عون أحد ، أو مساعدته ، قال تعالى ﴿ " ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب " ﴾[٢] ، أى لم يمسنا تعب حتى نحتاج إلى الراحة[٣] ، وقال ﴿ " لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون " ﴾[٤] ، وقال ﴿ " هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه " ﴾[٥] .

ثم أن الخلق إيجاد من عدم ، ولا يكون الموجد من عدم إلا قادر مطلقا يملك العلم الشامل والإرادة المخصصة والقدرة العاملة ، وهو الله رب العالمين ، من ثم فلا يناله التعب حتى يحتاج إلى الراحة[٦] .

(١) سفر التكوين – إصحاح ٢ فقرة ٣/٤ .

(٢) سورة ق – الآية ٣٨ .

(٣) الدكتور / على عبدالواحد واف – الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص٢٩ – مكتبة نهضة مصر ١٩٨٤م .

(٤) سورة غافر الآية ٥٧ .

(٥) سورة لقمان الآية ١١ .

(٦) هذه الألفاظ إنما استعملناها لها باعتبار إطلاقها اللغوى لا مدلولها الاصطلاحى ، لأنه ليس من حق أحد أن يثبت الله أو ينفى عن الله ما لم يرد به النص المنزل لما سبق القول به من أن أسماء الله وصفاته توقيفيه .

✪ المظهر السابع : النوم :-

(أ) عرض الفكرة

وإذا كان الفكر اليهودى قد وصف الله بالتعب – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً– فإنه قد وصفه أيضا بالنوم ، وهو النتيجة الطبيعية التى تعقب التعب ، لكن كتاب العهد القديم ، لم يعطوا ربهم فترة نوم كافية فأزعجوه ، حتى إنه اغتاظ من أعمالهم ، ووصفها بالشر ،

فقال سفر التثنية : ((إنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم)) [١] ، ولولا تلك الأعمال الشريرة لظل مستغرقا فى نومه هادئا فيه .

غير أن العهد القديم يسرف كتابه أكثر من هذا حين يصفون ربهم بأنه حينما استيقظ لم يكن طبيعيا ، وإنما كان غضبانا هائجا ، واغتاظ ، لأنه لم ينل القسط الكافى من النوم – تعالى الله عن ذلك –

يقول المزمور : ((فاستيقظ الرب كنائم جبار معيظ من الحمر ، عيناه دامعتان ، ورأسه تغلبه ، وقواه النفسية غير مستقرة ، وأطرافه الجسدية لا يتمكن منها))[٢] .

وقد فطن كتاب العهد القديم إلى أن ربهم حين استيقظ غضبانا[٣] ، فقد تمكن العنف من نفسه ، وربما شق عليه أن يرى صغار القوم وكبارهم يقررون أعمال غير مرضية بالنسبة له ، فيتصرف بعنف ، وينتهى الموقف معهم إلى التدمير ، فنادى مناديهم ((أسكتوا يا كل البشر قدام الرب ، لأنه استيقظ من مسكن قدسه)) [٤] ، وربما استطالت الشرور فتصرف بعنف .

---

(١) سفر التثنية – إصحاح ٣١ – فقرة ٢٩ .

(٢) سفر المزامير – إصحاح ٧٨ – فقرة ٦٥ .

(٣) الغضب : يكون لصالح الإنسان باعتبار انه سخط على الشر ، وهو غضب مقرون بالعدل والشفقة والرحمة ، فالله يكره الغضب فى الإنسان – قاموس الكتاب المقدس ص٦٥٩ .

(٤) سفر زكريا إصحاح ٢ فقرة ١٣ .

(ب) مناقشة الفكرة :-

❁ **ونحن نرى** : أن هذه الأفكار تمثل وجهة نظر لأصحابها ، لا تنطبق إلا على شواذ البشر ، وأقرب ما يقال أن تلك الأوصاف التى صنعوها ، ثم لله نسبوها هى أوصافهم أنفسهم ، وحاولوا إلصاقها بالله تعالى ، حتى تنال الطهر والقداسة بجانب القبول لدى أتباعهم ، وما هى إلا الفاحشة والنجاسة . أما لماذا ؟

فلأن الله تعالى لو تعب ما تمكن من الخلق ، ولو تمكن من الخلق ما قدر على المحافظة عليه ، ولو قدر على المحافظة عليه ، لما استطاع أن يصون أنظمته القائمة ، وحيث أن أنظمة الكون قائمة على أوجه الإحكام والإتقان مع الإبداع ، تصير النتيجة أن التعب لا يناله تعالى ، ولا يبلغه .

☜ **ومثله النوم** :

ﷻ قال تعالى ﴿ " قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون " ﴾[1] .

ﷻ وقال ﴿ " لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون " ﴾[2] .

ﷻ وقال ﴿ " يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجلٍ مسمى " ﴾[3] .

ﷻ وقال ﴿ " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين " ﴾[4] .

---

(١) سورة يونس الآية ١٠١ .
(٢) سورة يس الآية ٤٠ .
(٣) سورة الزمر الآية ٥ .
(٤) سورة المؤمنون - الآيات ١٢/١٤ .

ﷻ وقال تعالى ﴿ " أفرأيتم ما تمنون ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أفرءيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون إنا لمغرمون بل نحن محرومون أفرءيتم الماء الذى تشربون ءأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون أفرءيتم النار التى تورون ءأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون " ﴾[١] .

أما النوم والاستيقاظ فذلك من صفات بعض المخلوقات ، وليس من صفاتها كلها ، فالشمس والقمر ، والليل والنهار ، واللوح والقلم ، والعرش والكرسى ، والجنة والنار ، وفوق ذلك الملائكة فإنهم جميعا لا ينامون ولا يستيقظون ، وإنما يسبحون الليل والنهار ولا يفترون .

ﷻ قال تعالى ﴿ " تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده " ﴾[٢] ،

ﷻ وقال ﴿ " لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون " ﴾[٣] .

ثم إنه لو حدثت غفلة ، وهى أقصر مدة للنوم لسقطت السماوات على الأرض . قال تعالى ﴿ " الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السماوات وما فى الأرض " ﴾[٤] .

- **ومن الآثار :-**

ما روى منقولا أن موسى الكليم سأل ربه يا رب ألا تأخذك سنة ولا نوم فقال الله لموسى عليه السلام يا موسى خذ قارورة واملأها ماء ، ثم احملها بين يديك وقف بها ، حتى آذن

(١) سورة الواقعة - الآيات ٥٨/٧٢ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٤

(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٧ .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

لك ، ففعل موسى ، فلما أمتد به الوقوف أخذته سنة من النوم فسقطت القارورة من بين يديه وانكسرت ، فقال الله لموسى يا موسى لو أنى تأخذنى سنة أو غفلة لسقطت السماء على الأرض فانكسرت ومن فيهن .

ﷻ قال تعالى ﴿ " إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا " ﴾[١] . وقال ﴿ " ألم تر أن الله يسخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤف رحيم " ﴾[٢] .

---

(١) سورة فاطر الآية ٤١ .

(٢) سورة الحج الآية ٦٥ .

(١) تجسيد جارحة الوجه

(أ) عرض المسألة :-

ذكر العهد القديم أن يعقوب[١] ، وجد عيصو مقبلا ومعه جمع من الرجال والنساء والأولاد ، وكان من بينهم ليئة وراحيل ، ثم اقترب يعقوب من يوسف وراحيل ، فحدث نوع من القول بين يعقوب وعيصو ، يقوم على تبادل الهدايا ، مقابل التصالح فيما بينهما ، وأن يعقوب أراد التمسك بإنهاء هذا الخلاف شريطة أن يرى وجه عيصو على الناحية التي يرى عليها وجه اللهِ مِنْ تبسم واستبشار ، وما يتبع ذلك من العوارض الجسدية .

يقول العهد القديم : ((قال يعقوب : إن وجدت نعمة فى عينيك تأخذ هديتى من يدى ، لأنى رأيت وجهك ، كما يرى وجه الله ، فرضيت على))[٢] ، حتى إن ما أشاهده على وجهك هو نفس ما أشاهده على وجه الله الذى أنعم على .

❁ **وفى تقديرى** : أن هذا يحرك فى النفس رغبة اليهود فى التجسد البشرى ، للذات الإلهية ، وإن كنا لا نحكم على تلك الظواهر فرادى ، فإننا سنذكر النصوص ثم نعقب عليها فى هذا الجانب مرة واحدة .

قص سفر الخروج موقف موسى مع بنى قومه ، وما حدث معهم أثناء ترحالهم من أرض مصر إلى الأرض التى يدعونها ، وذكر أن موسى أخذ خيمة لنفسه ، فنصبها بعيدا عن موطن القوم ، حتى تكون بمثابة منتدى ، لهم مع الرب ، وليست مع أنفسهم ، وأنهم كلما ضاقت بهم السبل وقفوا فى باب تلك الخيمة فرادى ، أو مجتمعين فينزل عليهم

---

(١) يعقوب : اسم عبرى معناه يمسك العقب ، أو يحل محله ، وهو عندهم ابن إسحاق من رفقه وتوأم عيصو ، وكان أنانيا ، إتخذ فرصة جوع أخيه ، واشترى منه بقورتيهٔ ، والقصة واردة فى سفر الخروج - قاموس الكتاب المقدس ص١٧٣ .

(٢) سفر التكوين إصحاح ٣٣ فقرة ١٠ ، ولمزيد من عرض المسألة يمكن مراجعة إصحاحات ٣٣ - الثامن والثلاثين .

عمود السحاب ، بحيث يراه جميع أفراد الشعب ، فيسجد كل واحد منهم فى باب خيمته ،

أما موسى فإنه يكلم ((الرب وجها لوجه ، كما يكلم الرجل صاحبه)) [(١)] ، فى كل ما يتعلق بهما على قدرالتساوى ، فإذا طلب موسى من الرب ، فلا يكون ذلك من وراء الحجب ، أو عن طريق الإلهام بمظاهرة ، وإنما يتم ذلك كله عن طريق المواجهة بالجارحة رأسا برأس ، وعينا بعين ، وأنفاً بأنف ، وأذنا بأذن ، وفما بفم .

❁ **وفى تقديرى** : أن هذه النصوص ربما يمكن حملها على شيء من التأويل لو أنها تقبله إلا أن النصوص الواردة فى العهد القديم متضافرة على هذا التجسد ، واستمرار تقديم الأوصاف الجسدية ، التى لا يمكن تأويلها على ناحية مجازية ، إلا بتعسف يخرج عن قانون التأويل العلمى .

حيث أن قانون التأويل العلمى يتم إذا كانت هناك ظواهر مجازية ، بحيث يمكن حمل هذا اللفظ على العموم الغالب ، وذلك مما لا يوجد فى هذه النصوص ، ومن ثم نرى أنها ناطقة بتجسيد الوجه كجارحة بالنسبة لله تعالى .

❁ **ونحن لا نوافقهم عليه** : لأن الله منزه عن كافة أوجه التحيز . قال تعالى ﴿ " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " ﴾[(٢)] ، كما أن العهد القديم لم يقف عند هذا الحد من مجرد ذكر الوجه لله تعالى كجارحة .

وإنما أكد على ذلك كثيرا ، حيث ذكر سفر التثنية أن موسى جمع قومه ، وطالبهم التزام الفرائض والأحكام التى يتكلم بها فى مسامعهم ، وطلب منهم أن يتمسكوا بعهد الرب الذى قطعه معهم من قرون متطاولة ، وأكده مع هذا الجيبل أيضا ، ثم نبههم إلى أن من يقوم بتلك الفرائض والأحكام يستطيع أن يكون مع الله وجها لوجه ، ويدا بيد وفى أى مكان ، حتى ولو كان فى عمود بوسط النار .

---

(١) سفر الخروج إصحاح ٣٣ فقرة ١١ ، ولقد وصف وجه الله فى هذه الإصحاحات على أنه جارحة كجوارح البشر .

(٢) سورة الشورى - الآية ١١ .

فيقول سفر التثنية : ((الرب إلهنا قطع معنا عهدا فى حوريب[١] ، ليس مع آبائنا قطع الرب هذا العهد ، بل معنا نحن الذين هنا اليوم جميعنا أحياء وجها لوجه تكلم الرب معنا فى الجبل من وسط النار)) [٢] .

(أ) مناقشة النص:-

❁ **ونحن نرى :** أن تلك المواجهة التى يزعمها العهد القديم ، لا يمكن حلها على شىء آخر ، لأنها ذكرت المادة الأصلية للكلمة – الوجه – والملازمات لها من التكلم بالفم ، والسماع بالأذن والتحيز فى الجبل ، والظهور من وسط النار ، وذلك مما يؤكد أن كتاب العهد القديم تأثروا بالدراسات اليونانية فى جانبها الأسطورى ، ثم صاغوا نصوص هذا العهد ، وأصبغوها بلفظ القديم ، حتى تنال من الناس نوعا من القبول .

❁ **ونحن نرى** : أنهم عكسوا الأمر ، ولو استقاموا ما وقعوا فيما ذهبوا إليه ، كما أنه لو سلم لهم هذا الزعم ، لا لزم الاعتراف بأن الله تعالى فى جهة ومكان ، ويمر عليه غيرهما من أجزاء الزمان ، فيكون خالقا ، ومخلوقا فى آن واحد ، وذلك مما تحكم الضرورة العقلية ببطلانه ، وعلى هذا فالله سبحانه وتعالى خالق قادر مريد مبدع ، له صفات الجلال والكمال .

وقد أكدت النصوص الشرعية فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على تنزيه البارى جل وعلا عن الزمان والمكان ، والحركة . قال تعالى ﴿ " هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم " ﴾[٣] .

ولم تقف نصوص سفر التثنية عند هذا الحد ، وإنما ركزت عليه وأكدت ، حيث ذكرت أن موسى صعد من مؤاب إلى جبل مقابل أريحا ، بحيث يتمكن من رؤية كل

---

(١) هو اسم جبل يطلق على سيناء والبرية المحيطة به ، وهى برية سيناء أيضا ، وتسمى حوريب كذلك ، وقضى فيه العبرانيون سنة كاملة – قاموس الكتاب المقدس .

(٢) سفر التثنية – إصحاح ٥ – فقرة ٢/٥ .

(٣) سورة الحدي – الآية ٣ .

الأماكن التى تعرف باسم الأرض المقسمة لهم ، إلا أن موسى عندهم ((مات فى أرض مؤاب ، ودفن هناك ، وأن قبره لم يعرف ، وقد عاش قرابة مائة وعشرين سنة)) (١) ، وقد بكته بنو إسرائيل ، لأنهم قد اعترفوا بأنه :-

((لم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى ، الذى عرفه الرب وجها لوجه فى جميع الآيات ، والعجائب التى أرسله الرب ليعملها فى أرض مصر بفرعون ، وبجميع عبيده ، وكل أرضه)) (٢) .

وهم يرون أن موسى لم يسمع كلام ربه فقط ، وإنما رأى وجهه ، كما يرى أحدنا وجه الآخر ، بشيء من التحيز العضوى ، والتجسيم الجارحى ، بحيث لا يغرب هذا الشكل عن ذاكرة موسى أبدا ، وذلك كله مما يؤكد أمرين :-

- **الأول** :- أن نصوص العهد القديم فيها سقطات تاريخية ، لا يمكن الدفاع عنها ، حيث لم تشر من قريب أو بعيد إلى الزمن الذى صعد موسى فيه من عربات مؤاب الذى هو قبالة أريحا ، كما لم تعرف بالأحداث التى دفعت موسى إلى هذا التصرف ، وهو الهجرة من الأرض السهلة إلى الأماكن الوعرة .

- **الثانى** : أن ظروف وفاة موسى عندهم لم يتحدث عنها العهد القديم ، وكأنها لم تكن ذات بال ، أو أن موسى عندهم فتى غمرا لا يدرى به أحد ، ومن ثم انسل كما ينسل الناس ، ومات كما يموتُ العاديون ، ونحن نعلم أن كل أمة جاء فيها نبى اهتمت به بدأ من تاريخ مولده حتى لحظة مفارقته ، وعرفت بالأحداث التى وقعت له مقرونة بالزمان والأشخاص ، بحيث من يطعالها يرى فيها ما يقدم له فكرة وافية عن ذلك النبى ورسالته ، وهو ما تفتقده كتابات هؤلاء .

(١) وهذا مما ذكرته أيضا بعض المصادر الإسلامية - راجع تاريخ الطبرى جـ١ ص٣٦٤ ، ومروج الذهب جـ١ ص٤٨ ، وذكر ابن الجوزى أن موسى عليه السلام توفى وهو ابن مائة وعشرين سنة ، وكذلك هارون ويوسف الصديق - راجع الإمام الجوزى - أعمار الأعيان ص٩٥ - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م - تحقيق الدكتور / محمود محمد الطناحى .

(٢) العهد القدم - سفر التثنية - الإصحاح الرابع والثلاثون فقرة ١٠/١٢ .

قص سفر التكوين أن يعقوب قد استبدل اسمه بإسرائيل ، بزعم أنه جاهد فى جبهات متعددة ، جاهد مرة مع الله ، وأخرى مع الناس ، وأنه فى كل مرة كان يكتب له الانتصار ، وتتحقق له الغلبة ، سواء كان ذلك مع يعقوب نفسه ، أو مع نفس يعقوب المتجسدة .

وأن يعقوب فى ليلة أخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده واجتاز بهم الوادى ، ثم تركهم وانصرف وحده لمقابلة ربه فصارعه إنسان الرب حتى طلوع الفجر ،

((ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر ، فقال لا أطلقك إن لم تباركنى ، فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب ، قال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس ، وقدرت ، فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلا : لأنى نظرت الله وجها لوجه)) [1] .

ورغم أن هذا النص فيه اضطراب فنى مما يدل على أن صاحبه لا يجيد التأليف على ناحية فنية ، إلا أنه يطلق الخيال لنفسه ، حين يسمح بوجود الله فى شخص إنسان يصارع يعقوب ، وينهزم منه ، ثم يلتقيان وجهاً لوجه ، فيتنازل الغالب للمغلوب ويوقعان صلحا ، هو أقرب ما يكون إلى الاستسلام ، الذى يقع بين الأفراد العاديين ، ولا يتناسب مع مقام رب العالمين .

ثم أن ما سلف ذكره لا يحتمل التأويل ، لأنه يوضح ظهور إله العهد القديم فى صورة إنسان صارعه يعقوب ، وغلبه ، فكافئ يعقوب بخلع حق فخذه ، وسماه إسرائيل بدل يعقوب ، لأنه انتصر وغلب الله القادر[2] .

---

(١) العهد القديم – سفر التكوين ص٣٢ – فقرة ٣٢/٢٥ .

(٢) الشيخ / عطية إبراهيم الشوادفى – دراسات فى التوراة ص١٠٠ من أبحاث المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية – المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية .

أسرفت نصوص العهد القديم فى الحديث عن تجسد الرب عندهم ، كما أخفقت فى الخروج من هذا الذى وقعت فيه ، حيث ذكر العهد القديم أن الرب كان ماشيا فى الجنة ، وعند هبوب ريح النهار ، تحدث الرب ، فسمع آدم وامرأته صوت الرب ، فقرروا الهرب منه والاختباء بعيداً عنه ، حتى لا تقع عينه على أى منهما ، فيتمكن من ضبطهما عريانين .

يقول سفر التكوين : ((سمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم ، وقال له أين أنت)) [1] .

(ب) مناقشة النص :-

❁ **وفى تقديرى** : أن هذه الأفكار لا يمكن قبولها فى جانب العقلة من الناس ، فكيف يمكن نسبتها إلى رب العالمين ؟

وما أظن إلا أن ذلك من السقطات التى امتلأت بها الفكر اليهودى ، وتغنى بها من يحاولون إلهاب ظهور الناس بسوط العهد القديم ، مما يمثل خروجا على الشرع ، وتحريفا لأفكار لا يمكن قبولها ، أو التسليم بها ، لأنا نؤمن أن الله تعالى يعلم السر وأخفى ، قال تعالى ﴿ " عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال " ﴾[2] .

فكيف نؤمن أنه تعالى يعلم الغيب والشهادة ، ثم يتوارى منه آدم وحواء ، فلا يكتشف مكانهما ، ويلح عليهما فى الرجاء أن يكشفا نفسيهما له ، إن ذلك ما لا يمكن القول به ، أو التسليم فيه ، لأن علم الله محيط شامل ، وفوق ذلك فلو تمكن أحد من الاختفاء من أمامه جل علاه لغلبه الناس على أمرهم ، فلا يكون إلها قادرا ومغلوباً فى آن واحد .

---

(١) سفر التكوين – إصحاح ٣– فقرة ١٠/٨ .

(٢) سورة الرعد الآية ٩ .

۞ عرض الفكرة :

تحدث العهد القديم عن حمل حواء ، وولادتها ، وما وقع بين بنيها ، ثم ذكر أن أحدهما حسد الآخر ، وانتهى أمره إلى قتله ، ولكنه بعد القتل لم يحتمل جريمته ، فخرج هائما ، إلا أن الرب سأله لمَ فعلت ذلك ؟

((فقال قايين[1] للرب ذنبى أعظم من أن يحتمل إنك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض ، ومن وجهك أختفى ، وأكون تائها ، وهاربا فى الأرض ، فيكون كل من وجدنى يقتلنى ، فقال له الرب ، لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ننتقم منه)) [2].

۞ مناقشة النص :-

وهذا النص يتحدث عن فكرتين فى غاية الخطورة ، تقوم عليهما اليهودية السياسية ، وما تزال حتى الآن :-

- **الأولى** : هى التى تبيح لأتباعها القتل ، وإراقة الدماء البريئة ، متى كان ذلك يشبع نفس القاتل ، ويرضى طموحاته ، لأنه فى النهاية يحقق لها أحلامها التوسعية ، وقد نجح اليهود فى الاحتماء بهذه الأفكار ، حتى ابتلعوا فلسطين أرض المسجد ، ومسرى رسول الله ومعراجه ﷺ .
- **أما الثانية** :- فتبرز فى مسألة التوبة المقنعة فمن قتل ثم تاب فإن دمه يحرم وإن لم يتم القصاص منه ، بل إن من يتعدى على القاتل بمجرد الندم لا يقع القصاص منه، وإذا وقع اعتداء عليه فإن القصاص من المتعدى يكون فى سبعة أضعاف ،

---

(١) هو اسم معناه حداد ، وهو بكر آدم وحواء ، وكان يعمل بالزراعة فى الأرض ، قدم قربانا لله من ثمار الأرض التى يفلحها ، وقدم أخوه هابيل من أبكار غنمه التى كان يرعاها فتقبل الله من هابيل فاغتاظ قايين ، وأضمر الشر لأخيه ، وقتله – قاموس الكتاب المقدس ص٧١٠ – وراجع سفر التكوين ، ففيه حديث طويل عن القصة ، وكذلك معجم اللاهوت الكتابى ، ودائرة المعارف الكتابية .

(٢) سفر التكوين إصحاح ٤ – فقرة ١٢/١٥ .

وبالتالى فهم يبتدرون الناس بالقتل ثم يحتمون بالأعذار ، وتظل المسألة تتكرر حتى يتمكن اليهود ، من الأرض كلها ، ويختفى الآخرون ، وهذه الفكرة الأخيرة ، رغم خطورتها من الناحية العامة ، إلا أنها تخالف نصوص التوراة التى أنزلها الله على موسى عليه السلام .

ونقل القرآن الكريم إلينا بعضا منها ، فيما يتعلق بالحدود والجنايات أيضا . فقال تعالى ﴿ " وكتبنا عليهم فيه أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص " ﴾[1] .

وفكرة الانتقام الجماعى ، إنما تمثل اتجاها خطيرا ، قام به جمع كبير من عصابات اليهود على مر العصور ، وما تزال جماعة الموساد واللوبى الصهيونى يمارسون ذلك بكل ما أمكنهم .

كما أن القرآن الكريم ذكر أن الله تعالى أنزل على موسى الكليم ، مما أنزل الذنب الذى يقع فيه صاحبه ، لا كفارة له إلا إزهاق روحه . قال تعالى ﴿ " وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم " ﴾[2] .

نقل العلامة ابن كثير فى معنى الآية : ((هذه هى صفة توبته تعالى على بنى إسرائيل ، فكانت هذه التوبة أن يقتل كل واحد منهم من لقى من والد وولد ، فيقتله بالسيف ولا يبالى من قتل فى ذلك الموطن ، فتاب أولئك الذين كانوا خفى على موسى وهارون ما اطلع على ذنوبهم ، فاعترفوا بها ، وفعلوا ما أمروا به ، فغفر الله للقاتل والمقتول)) [3] .

---

(١) سورة المائدة – الآية ٤٥ .

(٢) سورة البقرة – الآية ٥٤ .

(٣) العلامة ابن كثير – تفسير القرآن العظيم جـ١ ص٩٢ – مكتبة أسامة الإسلامية .

ومن ثم فقد بان لنا أن العهد القديم يؤمن أصحابه بالتجسيد الجارحى فى الوجه لله رب العالمين ، وذلك مما لا نوافقهم عليه ، ولا يتفق مع النصوص التى أثبتت التنزيهات لله رب العالمين ،

بل إن هذا الكلام الصادر عنهم ، يمثل وجها حقيقيا له أبعاد ، وطول ، وعرض ، وعمق ، وهى مبالغة ممقوتة ، وفيها الوضع ظاهر ، مما يدل على الانحطاط فى الذوق ، ونفرة فى الوجدان ، وتخبط فى معطيات العقل .

فضلا عن أن لفظ الوجه، وإن كان من المتشابه عندنا[١] ، إلا أنه هنا لا يمكن حمله إلا على صفة التجسيم ، وهو مخالف لما نطقت به النصوص القرآنية الصحيحة ، مثله قوله تعالى ﴿ " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " ﴾[٢] .

كما أن العقل السليم يقر بتنزيه الله تعالى ، ويوجب تمايزه عن صفات المحدثين ، وأنه ليس لغيره ذات ، ولا صفة تشبه ذاته تعالى ، أو صفته[٣] ، فى الحقيقة اللغوية ، ولا فى الاصطلاحية ، فضلا عن العرفية .

ثم إن الظواهر اللغوية تنتهى حتما إلى جانب التنزيه الإلهى ، لأن القاعدة تقوم على أن الكلام فى الأصل ، إذا أطلق ، فإنه يراد به الحقيقة اللغوية ، فإذا لم يمكن حمله على تلك الحقيقة ، وجب الانتقال به إلى المجاز ، والحقيقة قائمة على أن الله متميز عن كل ما عداه فى ذاته وأسمائه وصفاته ، وأفعاله إلى غير ذلك مما يختص به الله جل وعلا .

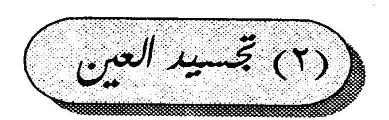
❁ **إذن نحن نميل إلى** : أن ما ورد في العهد القديم ، وما يلحقه من شروح وتعليقات ثبت تلك الآراء سواء كانت فى شكل التلمود ، أو مفسرى العهد القديم ، أو التى تنسب إلى حكماء صهيون من بروتوكولات وغيرها ، وسبق ذكره من تجسيد الوجه بالنسبة لله جل علاه ، لا يمكن قبوله على الناحية التى ذهبوا إليها ، والدراسة المتأنية لمقارنة الأديان تؤكد الذى انتهينا إليه ، ولا عبرة بتأويلات شراح العهد القديم ، لأنها خارجة عن قوانين التأويل العلمى المقبول .

---

(١) يذهب علماء الإسلام إلى أن لفظ الوجه واليد من الصفات الخبرية ، التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وذهب فريق منهم إلى تأويلها بينما ذهب آخرون إلى إبقائها على ظاهرها اللغوى ، مع التفويض فى المعنى إلى علم الله تعالى .

(٢) سورة الإخلاص بتمامها .

(٣) الشيخ / عطية إبراهيم الشوادفى - دراسات فى التوراة ص١٠٢ .



تعتبر العين بالنسبة للمخلوقين إحدى وسائل المعرفة الحسية[1] ، والتى يستعملها فى كسب المعرفة ، وتعرف بالباصرة[2] ، باعتبار أنها آلة الإبصار التى تنعكس عليها صور الأشياء ، فتنقل ذلك إلى العقل الذى يحدد صورة ما تم نقله عن طريقها ،

وآلة الإبصار فى المخلوق تعمل طالما وجدت الشروط اللازمة لها من سلامة الملكة ، وسلامة العصب البصرى ، وقيام المخ بوظائفه على الناحية التى أهتم بها أصحاب تلك الدراسات سواء على الناحية التشريحية ، أو على الناحية التشخيصيه ، أو من ناحية المعالجة لها دوائيا أو جراحيا .

وهناك فرق بين آلة الإبصار ، وهى العين التى تعمل متى توفرت لها الشروط الطبيعية ، وهى يتساوى فيها الإنسان والحيوان ، وكافة المخلوقات التى لها تلك الآلة ، وبين الملكة الموجودة فى المخ تفضلا من الله تعالى ، وتعمل باستمرار من غير حاجة إلى وسائل غيرها ،

واليهود باعتبار أنهم جسدوا الذات الإلهية – تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا – قد وصفوا الله تعالى بتلك الجارحة التى هى من أفضال الله على المخلوقين ، وكما وصفوا الله بالأجزاء الجسدية ، فقد فرضوا ضمائرهم على باقى الصفات الإلهية ، حتى رفعوا عنها قداسة التنزيه ، وأثبتوا لها خصوصيات التجسيد والتشبيه ،

وسوف نعرض لمسألة تجسيد العين عندهم ، بالنسبة لله تعالى ، ثم نناقشها على النحو التالى :–

---

(١) يرى العلماء ان وسائل المعرفة هى : ا– الحواس الظاهرة ، وتسمى المعرفة الحسية . ٢– العقل ، وتسمى المعرفة العقلية . ٣– الوحى ، وتسمى المعرفة الإلهية ، ٤– النقل المنزل ، وتسمى المعرفة العقلية – راجع مقالة فى أصالة المفكر المسلم – دكتورة فوقية حسين محمود – ص١٣٥ – طبعة دار رشيد ١٩٧٧م .

(٢) كما تسمى بالحاسة أيضا ، والتسميات كثيرة ، وهى راجعة فى الأغلب الأعم إلى التخصص الفنى الدقيق الذى يمارسه أى من المصطلحين أنفسهم ، أما البصر ، فهو ملكة ، والأذن آلة ، والفرق بينهما كبير جدا .

(أ) عرض تجسيد العين عندهم :-

وصف اليهود الإله المجسد بأن له عين كعين الإنسان ينظر بها ، ويتفقد الأرض من حوله ، فهى عين محددة لها أجزاء معينة ، وهى مجسدة على النحو الذى هدفت إليه الأفكار اليهودية .

يقول العهد القديم ((أن عينى الرب تجولان فى كل الأرض ، ليتشدد مع الذين قلوبهم كاملة نحوه)) (١) ، وهذه العين التى تجول فى الأرض تبحث عن المتشددين ليست عينا غير مألوفة ، وإنما هى والثانية عينان لهما أجفان تفتح ، وتغمض ، وتدمع ، وتجول .

((فالرب فى هيكل قدسه ، فى السماء كرسيه ، عيناه تنظران ، أجفانه تمتحن بنى آدم)) (٢) ، وهذا الامتحان الذى تقوم به العينان إنما يمثل نوعا من الحراسة المشددة ، والسلوك المتنافى على تصرفات من يرقبهم الرب بعينه ، وفى نفس الوقت فإن هذه العين مهمتها أن تراقب ما يدور فى الكون ، كما يرقب الراعى إبله وأغنامه .

يقول العهد القديم : ((اسمع يا رب للحق ، وأنصت إلى صراخى ، وأصغ إلى صلاتى من شفتين بلا غش من قدامك ، يخرج قضائى ، وعيناك(٣) تنظران المستقيمات)) (٤) ،

أما غير المستقيمات ، فإن عينى الرب المجسدات لا تلتفت إليهما ، ولا تتعلق بهما ، وفى نفس الوقت فإنها لا تنصرف إليهما ، باعتبارها عينا مجسدة محددة المعالم والحركات .

---

(١) سفر أخبار الأيام الثانى إصحاح ١٦ فقرة ٩ .

(٢) سفر المزامير المزمور - إصحاح ١١ فقرة ٧/٤ .

(٣) يذهب مفسرو العهد القديم إلى استعمال لفظ عين بمعان كثيرة ، حيث يضيفونها أحيانا أو يفردونها أحايين ، ويذهبون إلى أن الكتاب المقدس يستعمل لفظ العيون كثيرا فى مجالات الوصف الرمزى والتشبيهات ، وأن العيون الدائمة كانت رمزا للحياة على الدوام - قاموس الكتاب المقدس ص٦٥١/٦٥٤ .

(٤) العهد القديم - سفر المزامير المزمور السابع عشر فقرة ٣/١ .

بل أن عينا الرب مجسدتان كأذنيه وباقى أطرافه تماما بتمام ، كما تتجسد الأطراف المخلوقة فى البشرية وغيرها من غير تمايز بينهما .

وفوق ذلك فإن عينا الرب تتسلطان بقوة على كل المتمردين ، فتدفعهم إلى طلب العفو ، وتلقيهم فى المهالك .

يقول العهد القديم ((عيناه تراقبان الأمم ، أما المتمردون ، فلا ترفع لأنفسهم صلاة)) [١] ، وطبقا لهذا المفهوم يكون العهد القديم قد صور تجسد الجارحة بالنسبة لله تصويرا ، يتفق مع الأفكار التى ينادي بها الفكر اليهودى ، وتسرى فى أوصال التراث الدينى عندهم .

ولسنا نجد تجسيد العين للإله وحدها ، بل إن الفكر اليهودى قد حاول إثبات التجسد للإله فى كل شيء من غير مراجعة لأدنى قدر من التنزيه ، مما يؤكد أن الفكرة امتلئت بها رءوس أصحابها من ثقافات البلاد التى سكنوها أولا ، أو ارتحلوا إليها ثانيا ، أو كانت لهم عن طريق الغدو والرواح ، وهى كلها أفكار وثنية ، وعقائد فاسدة .

(ب) مناقشة الفكرة :

الدارس لمقارنة الأديان يهتم كثيرا بما يعتبره أصحاب هذه الأفكار أدلة ، والتى يعتمد عليها أصحابها أثناء مناقشته لهم ، حتى لا يكون هناك خلاف فى تحديد المعنى المطروح ، ونحن على هذا المنهج نسير ، وقد عرضنا الفكرة عندهم كعقيدة ثابتة لهم ، وقد وجبت المناقشة ، وستكون على النحو التالى :-

- <u>أولا : المدلول اللغوى :-</u>

اللغة باعتبارها الحاملة للمعنى ، فمن المعلوم أنه متى أطلق اللفظ كحقيقة لغوية انصرف إلى أكمل معانيه ، ما لم تكن هناك قرينة تحدد معنا منها ، وبإنزال هذه القاعدة إلى ميدان البحث ، نجد أن لغة العهد القديم ، قد استخدمت لفظ العين بالنسبة للرب

---

(١) العهد القديم سفر المزامير المزمور السادس والستين فقرة ٧ .

عندهم محددا بالعين الباصرة ، التى لها تجوال حركى ، ولها جفنان ومقلة ، وما يستتبع ذلك من أجزاء تفيد المكانية والتجسيد لله سبحانه وتعالى .

واللغة تؤكد أن هذه العين يجب أن تكون مخلوقة لا خالقة ، وهل يعقل أن الخالق يستخدم عينا خلقها له غيره ، أما العين التى ترد فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، لم تحمل إلا على تقريب المعنى الذى يحمله اللفظ ، وليس ذات الحقيقة التى يعرفها أهل الاختصاص فى الجانب الجراحى ، مثلا لما هو معلوم عندنا نحن المسلمين من أن الصفات الخبرية يفوض الأمر فيها لله ،

فقوله تعالى ﴿ " وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى " ﴾[1] ، لا يمكن حملها على العين الباصرة ، لأن العلماء يقولون أن العين صفة لله تعالى ((بلا كيف وهى من الصفات الخبرية الذاتية الثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة)) [2] ، من غير تشبيه ، أو تجسيم أو تمثيل ، لأن الذات غير مدركة بالحس ، وكذلك صفات الإله غير مدركة بذات الحس.

كما أن الصفات الخبرية التى أخبرنا بها الشرع الشريف فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لا تحمل إلا على المعنى الذى يليق بذات الله جل علاه ، بعيدا عن المجاز اللغوى ، وبعيدا عن الحقيقة اللغوية أيضا ، وإنما يقتصر الفهم فى المسألة على الإثبات لما ورد فى النقل المنزل ، مع التنزيه المطلق لله تعالى عن الكيف .

- **ثانيا : العقل :-**

العقل السليم والفطرة النقية لا يقبلان أن يكون الإله جسدا ، وإلا كان محتاجا إلى أجزائه التى يتركب منها ، أو يتحلل إليها ، أو المكان الذى يحتاج إليه ، والزمان الذى يحتويه ، ومثله لا يكون إلها خالقا ، وإنما يكون مربوبا مخلوقا ،

(١) سورة طه الآيات ٣٨-٣٩ .

(٢) د / محمد أمان بن على الجامى - الصفات الإلهية فى الكتاب والسنة ص٣١٧ - دار التقوى

وهو تعالى لا يوصف بأنه فى جهة معينة ، لأنه إن وصف بذلك لزم انحصاره سبحانه وتعالى فى هذه الجهة ، والانحصار دليل على المحدودية ، والتناهى ، والله سبحانه وتعالى ليس محدودا وليس متناهيا [١].

ثم إن الفطرة النقية بجانب العقل السليم ترفض أن يكون الله صاحب عين تدمع أو تبرق أو تتجول لأن ذلك من الصفات السلبية التى يوصف بها الخلق ولا يوصف بها الخالق . قال تعالى ﴿ " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " ﴾ ، وقال ﴿ " له مقاليد السماوات والأرض " ﴾[٢] .

وقد اتفق علماء المسلمين على إثبات الصفات التى ورد بها النقل الكريم لله رب العالمين ، إثباتا لما ورد فى النقل المنزل ، مع تأويل المعنى المراد ، وهو مذهب الخلف ، أو التمسك بالتفويض المطلق ، وهو رأى علماء الأمة من السلف ،

ونحن نميل إلى رأى السلف ، لأنه أقرب قبولا من غيره ، وأيسر فى الاعتقاد من سواه ، وأكثر فى الوصول إلى الحق المنشود .

❁ **وفى تقديرى** : أن التراث اليهودى قد أثبت السلبيات لله رب العالمين ، ورفع عنه تعالى التنزيهات ، حتى سبح دعاة هذا الفكر فى بحار الانحراف ، فغرقوا ، ولو أنهم فطنوا لما عليه يقدمون ، لما كانوا فى التجسيد غارقين .

- **ثالثا : جانب النقل المنزل :-**

أجل : ورد لفظ العين فى القرآن الكريم بالنسبة لله تعالى حوالى خمس مرات[٣] ، منها قوله تعالى ﴿ " وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى " ﴾ ، وقوله

---

(١) الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – حبو الوليد فى علم التوحيد ص٢٦٣ ط الثالثة ١٩٩٦م – مطبعة صبحى.

(٢) سورة الشورى – الآيتان ١١/١٢ .

(٣) الأستاذ / محمد فؤاد عبدالباقى – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم باب العين ص٤٩٥ .

﴿ " فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا " ﴾[١] ، وقوله ﴿ " تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر " ﴾[٢] .

ولا يمكن حمل العين فى الآيات التى سلفت على الباصرة أو الجارحة ، لوجود قرينة تصرف هذا المعنى عن إذن السامع ، وعقل المتلقى ، وفهم المتأمل .

فإن الصناعة على العين معناها المراقبة للشيء ، والعناية به ، وليس التجوال الذى وقفت عنده النصوص اليهودية ، يقول شيخ الإسلام ابن جرير فى قوله تعالى ﴿ " ولتصنع على عينى " ﴾ ، أى بمرأى منى ومحبة وإرادة[٣] .

كما أن قوله تعالى ﴿ " وأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا " ﴾ لا ينصرف لفظ العين فيه إلى الباصرة أبدا ، وإنما يحمل ضرورة على العناية والمرشح لهذا الفهم هو التوجيه القرآنى فى قوله تعالى بعدها ﴿ " ووحينا " ﴾ لما هو معروف من أن الوحى صفة من صفات الموحى ،

فكذلك العين التى تتم بها الرعاية هى أيضا صفة من صفات الموحى جل وعلا ، وانما اللفظ للتقريب ، فيقول العلامة ابن كثير فى تفسيره للآية ، أى اصنع السفينة بمرأى منّا وتعليمنا لك ما تصنعه[٤] .

---

(١) سورة هود الآية ٣٧ .

(٢) سورة القمر الآية ١٤ .

(٣) الإمام الطبرى – جامع البيان على تأويل آى القرآن ص١٦٣ – الجزء الخامس عشر – الطبعة الثالثة ١٩٦٨م – مكتبة مصطفى البابى الحلبى .

(٤) الإمام ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ص٤٤٤ جـ٢ مكتبة التوفيقية .

(٣) تجسيد الأنف

لقد أوغل اليهود فى إشباع تراثهم بكل مظاهر التجسد البشرى ، ووصف الله تعالى به ، وقد عرضنا لتجسيد العين عندهم إلا أن الأنف هى الأخرى لها فى أعماقهم تجسد قائم ، وفهم لا ينقطع ، حتى أنهم يجسدون أنف الرب بشىء لا يخطئة الحس ، أو العقل ، وسوف نعرض المسألة ثم نناقشها كما سبق أن فعلنا مع غيرها .

(أ) عرض المسألة :-

يرى اليهود أن لله أنفا جسدية ، لها فتحات تستنشق الهواء ، وتطرد النار ،بل أن تلك الأنف قد تخرج سحب كثيفة من الدخان ، الذى يمثل مظهرا من مظاهر الغضب الذى يصبه الرب على المخالفين له ، فى حالة ما إذا نفذ صبره ، ولم يتمكن من احتباس الآلام فى صدره .

يذكر العهد القديم : ((أن الأرض ارتجت وارتعشت ، وأن أسس السماوات ارتعدت وارتجت أيضا ، لأن الرب غضب فصعد دخان من أنفه ونار من فمه)) [١] .

وإذا كان هذا الغضب[٢] قد جعل أنف الرب عندهم تخرج سحبا من الدخان ، وفمه يخرج ألسنة من النيران ، تطير فى الهواء لغير هدف مقصود ، سوى التعبير عن كمية الغضب ، وحجم الانفعال ، وذلك ما تدل عليه النصوص فى العهد القديم نفسه ،

بل الأكثر من هذا ما تؤكده المصادر ذاتها من أن ريح أنف الرب ، إذا انطلقت بعد الدخان ، فإنها تحدث نوعا من التعطيل لمجريات الأمور الطبيعية ، حيث تتراكم المياه ، وتمتلئ المجارى وتتجمد اللجج المضطربة ، فتصير كالثلج ، أو كالجبل .

---

(١) العهد القديم - سفر صموئيل الثانى - إصحاح ٢٢ فقرة ٩/٨ .

(٢) الغضب : يذهب مفسرو العهد القديم إلى أن الله يغضب ، والغضب عندهم بالنسبة لله ويعنى وقوع فعل من أفعال الله ، نتيجة وقوع إنسان فيما يفقده قداسة الله ، وسبب هذا الغضب مخالفة بشرية يقوم بها صاحبها - معجم اللاهوت الكتابى ص٥٨٤ مادة غضب جـ١ دار المشرق ط ٢ دار المشرق لبنان بيروت ١٩٨٦م .

يذكر سفر الخروج نداء يحمل العديد من تلك الأفكار التجسيدية للأنف ، فيقول ((يارب تحطم العدو وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك ترسل سخطك فيأكلهم كالقش وبريح أنفك تراكمت المياه انتصبت المجارى كرابية تجمدت اللجج فى قلب البحر)) [1] .

وتلك النصوص التى سبق ذكرها لا يمكن حملها على ما يخالف الأنف الحسى المجسد ، لأنها تعبر بصراحة عنه ، وتستلهم تجسيده المادى من حروفه وكلماته ، وبالتالى صار التراث الدينى اليهودى فى هذا الجانب يقدس تجسيد الأنف ، كما سبق تجسيد الفم والعين ، وسوف نناقش تجسيد الأنف على النحو التالى :-

(ب) مناقشة المسألة :-

❁ **فى تقديرى** : أن فكرة تجسيد الأنف للرب فى اليهودية قد حفلت بشىء من العناية عندهم ، ولكننا لا نقبل هذه الفكرة باعتبار أنها تنتهى بإثبات التجسيد للذات الإلهية ، والله تعالى منزه عن مثل هذه ، الأمور التى تثبت الاحتياج والعجز لله رب العالمين ، وذلك مما لا نتفق معهم فيه ، وإنما نجد أ نفسنا مضطرين لإنهاء هذه الأفكار من أساسها ، وذلك لما يلى :-

- **أولا :- ما سبق القول به فى عرضنا لتجسد العين ، فهو فى حد ذاته يكفى لإلغاء** فكرة تجسد الأنف أيضا ، ونفس الطرائق التى سلف القول بها هى التى يمكن ا لتأكيد عليها هنا .

- **ثانيا : الحكم العقلى :-**

العقل يقرر أنه ما دام هناك أنف يخرج منه دخان ، فمن الضرورى أن يدخل إليه الهواء ، إذ كل فتحة تحتمل الأمرين معا ، أمر دخول الهواء ، وخروج الدخان ، وهذا فى حد ذاته تجسيم مطلق ، وتمثيل لا ينصرف لشيء غيره ، إذ الدخان[2] مادة تحتاج إلى

(١) العهد القديم سفر الخروج إصحاح ١٥ فقرة ٨/٦ .

(٢) الدخان : ما يتصاعد عن النار من دقائق الوقود غير المحترقة - المعجم الوجيز باب الدال ص٢٢٣ .

مكان يقوم بها وأجزاء تقع فيها ، ولذلك فإن القول بوجود أنف للرب فى الفكر اليهودى يخرج منه دخان أمر غير مقبول فى العقل ، وإلا كان الدخان فاعلا خالقا ، وليس مفعولا مخلوقا .

✪ الحكم الشرعى :-

الشرع الشريف يقرر نفى المثلية عن الله تعالى فى قوله تعالى ﴿ " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " ﴾[1] ، وينفى الاحتياج عن الله تعالى فى قوله جل علاه ﴿ " قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير " ﴾[2] .

فلو كان لله أنف يخرج منه دخان ، لكانت تقبل دخول الهواء أيضا ، ويلزم وجود رئتين أو خياشيم ، وطبقا لهذا يلزم وجود عمليتى الشهيق والزفير ، حيث يتم استقبال الأكسجين وطرد غاز ثانى أكسيد الكربون ، كما هو الحال فى الكائنات الحية الحيوانية ، أو العكس كما هو الحال فى الخلية النباتية ، وذلك من ملازمات المخلوقات التى تستمر معهم ، وليس من صفات الخالق الكامل جل علاه[3] ، الذى يخلق ويعدم ويحيى ويميت .

فبان أن الفكر اليهودى قد صنعه خيال أصحابه الذين حملهم على إثبات أخس الصفات التى يمكن أن يوصف بها المخلوقين ونسبتها إلى الذات الإلهية ، وذلك كله مما لا يقبل عندنا ولا يمكن تبرئة العهد القديم ، وكتابه ، ومفسريه ، من مظاهر الانحراف العقدى ، والقول بالتجسيد للذات الإلهية .

---

(١) سورة الشورى الآية ١١ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

(٣) سبق القول بأن أسماء الله تعالى وصفاته عندنا نحن المسلمين توقيفية ، وما لم يرد شيئا منها فى القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة الصحيحة ، فإنه إهماله وعدم الأخذ به واجب شرعى نتمسك به .

(٤) تجسيد الأذن

عرضنا فيما سبق بعض محاولات كتاب العهد القديم فى تجسيد الإله ، وبينا أن هذه المحاولات شملت تجسيد كل من الوجه ، ثم العين ، والأنف ، فالأذن ، إلا أن هذه المحاولات لم تقف عند تلك المظاهر وحدها ،

كما لم يشبع داخلهم فى التجسيد ما مر ذكره ، وإنما دونوا مظاهر أخرى لا تخلو من تجسيد أو تفرغ من تمثيل وتجسيم ، وذلك يدعونا إلى متابعة تلك المحاولات والتعرف عليها ، ثم مناقشتها ، طبقا للمنهج الذى نسير عليه .

والأذن آلة السمع ، وهى جارحة من الحواس الخمس ، ومجرى الأذن فى عظم صلب يسمى الحجرى ، وهو كثير التعاريج ، ويمر كذلك إلى أن يلقى العصبة الخاصة النابتة من الدماغ الذى ينشأ منها الغشاء الذى ينبسط على العظم الحجرى(١) ،

وبغض النظر عن تركيباتها من الناحية التشريحية العضوية ، فإن كتاب العهد القديم قد جعلوا لها وجودات كثيرة ، نذكر منها فيما يخص نسبتها للإله عندهم ما يلى :-

(أ) عرض المسألة عندهم :-

يذكر سفر العدد : أن بنى إسرائيل قد أزلهم أعدائهم ، فما كان من شعب إسرائيل إلا أن هموا إلى الرب يحاولون إسماعه شكواهم ، وما يقض مضاجعهم ، فلما لم يتحقق لهم ما أرادوا ، ذهبوا إلى الرب ، وأمسكوا بإذنه وراحوا يصرخون فيها علـه يسمع فيستجيب لهم .

---

(١) قاضى القضاة العلامة ابن رشد - الكليات فى الطب ص٣٦ - طبعة المجلس الأعلى للثقافة ١٩٨٩م - تعليق د/ سعيد شيبان - الدكتور / عمار الطالبى .

وكان هؤلاء جمعا كبيرا ، وكلهم يرفع الشكوى ، ويعلن الضجر والتألم حتى أنهم من شدة ما قالوا صاروا كأنهم ((يشتكون شرا فى أذنى الرب ، وسمع الرب فحمى غضبه فاشتعلت فيهم نار الرب)) [١] ، من شدة ما تنازعوا حوله ، واشتكوا إليه حتى عجزت أذناه عن تميز ما يصدر عنهم .

وهذا النص يجسد أذن كآذان المخلوقين ، بالنسبة للرب العظيم ، وأن هذه الأذن متى امتلئت فاضت عنها آلام تجعل صاحبها يتصرف بشيء من العنف ، أو كثير من الانفعال ، وهو ما يناسب المخلوق ، ولا يتناسب مع الخالق جل علاه .

وفى نفس الوقت فإن هذا التجسد الأذنى للذات الإلهية عندهم يؤكد أن كتاب العهد القديم كانوا يتحسسون أجزاءهم ، ثم ينسبونها للرب عندهم من باب أن ما يخص العبد فيجب أن يكون ملكا للرب حتى لو أدى ذلك إلى التجسيم والتشبيه الذى تبرأ منه العقول الصحيحة والفطرة السليمة .

يسترسل سفر العدد فيقص أن بنى إسرائيل لما خرجوا من أرض مصر التى كان فيها الزرع والبقل والبصل والعدس ، وسائر هذه الأمور ، وانطلق بنو إسرائيل إلى رحلة النجاة تغيرت أطعمتهم ، فلم يعد فيها ما كانوا يألفونه من طعام وشراب ،

ومع أن الله قد بدلهم طعاما خيرا مما كانوا يأكلون وشرابا أفضل مما كانوا يشربون إلا أن طبيعتهم اللئيمة ، فرضت عليهم أن يهجروا المن والسلوى ويلتمسوا بقل الأرض وكسائها وفومها وعدسها وبصلها .

ولم يكتفوا بالالتماس والطلب ، وإنما راحوا يشتكون ويبكون كارهين طعامهم وشرابهم ، وظلوا على هذا الحال يطلبون غير ما بأيديهم ، حتى تبدلت الحال معهم من الشكوى المجردة إلى البكاء المستمر ، وأخيرا قال الله لهم ((لأنكم قد بكيتم فى أذن الرب قائلين من يطعمنا لحما لقد كان الخير كله فى مصر)) [٢] .

---

(١) العهد القديم - سفر العدد إصحاح ١١ فقرة ٩ .

(٢) العهد القديم - سفر العدد إصحاح ١١ فقرة ٩٨.

وقد صور القرآن الكريم هذا الموقف المتعنت منهم ، وكثرة الشكاوى التى صدرت عنهم ، وطلبهم للرخيص بدل الغالى ، ووقوعهم فى دائرة الماديات المسفه ، بدل الرقى فى المراتب العليا .

ﷻ قال تعالى ﴿ " وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وكسائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون " ﴾[١] .

أنعم الله على بنى إسرائيل بأن أنزل عليهم المن والسلوى طعاما طيبا هنيئا لهم ، ولكنهم طلبوا استبدال ذلك بالأطعمة الدنيئة من البقول ، ونحوها نزلوا عن المقام الأعلى ، وذلك لأنهم أذلاء من طبيعتهم التصاغر والتنافر[٢] .

ولأن طبيعة العقلية اليهودية هى الاستغراق فى تجسيم الإله عندهم ، فقد وضعوا كل جارحة أو حاسة لأنفسهم موضع الوصف بها بالنسبة للرب عندهم ما تشكله النصوص المنقولة عنهم ، وفى نفس الوقت تؤيده الدعاوى الكذوب التى يزعمها دعاة اليهودية ، واصحاب التجسيم أينما كانوا .

(ب) مناقشة تجسيد الأذن :-

ونحن نرى أن هذه الفكرة لا يمكن قبولها ، أو نسبتها إلى مصادر يدعى أصحابها وجود علاقة بينها وبين الرسالة السماوية ، وسوف نناقشها على النحو التالى :-

---

(١) سورة البقرة – الآية ٦١ .

(٢) الأستاذ / سعيد حوى – الأساس فى التفسير ص١٥٢/١٥٣ – جـ١ دار السلام للطباعة – الطبعة الأولى ١٩٨٥م .

• **أولا : سلامة النص :-**

الدارس للعهد القديم يراه استعمل الأذن فى معنى الجارحة مرة ، وأخرى استعملها كمكان للسمع وملكة ليست كآلة ، وذلك لوجود فرق كبير بين ملكة السمع وآلة السمع ، باعتبار أن الملكة تعمل باستمرار ، وإن اختلفت حالات عملها فى اليقظة والمنام ، وهى ليست آلة يمكن القضاء عليها ، أو اجتثاثها بسهولة ويسر .

الثانية الآلة ، وهى الجزء الغضروفى الذى يبدو فى كل كائن خلقت له تلك الآلة ، ويمكن اجتثاثها ، أو حجب عملها عن طريق من الطرق التى تناسبها .

ولأن النص قد ذكر الأذن مرة كملكة ، وأخرى كآلة ، فقد أكد لنا أن تلك الأذن مادية صرفة ، وفيها تجسيم حقيقى ، كالذى يجرى مع المخلوقات ، وهنا يرد على الخاطر سؤال مؤداه :

إذا كنتم قد جعلتم للرب ملكة يسمع بها ، وآلة يستفيد منها ، فمن الذى منحه تلك الملكة ؟ أو وضع له تلك الآلة ؟ وهل هى كبيرة أم صغيرة ؟ إلى غير ذلك ؟

وسوف نرى أن كتاب العهد القديم قد أخفقوا فى تقديم إجابة لهم على ناحية نصية معقولة ، مما يجعلنا نحكم بأن المسألة خارج نطاق النص ، ومن ثم لا تقبل .

✪ **الضرورة العقلية[1] :-**

الضرورة العقلية نوع من الإلزام العقلى ، لقبول النتائج العقلية على ناحية العقل نفسه ، وهى تقضى بوجود شيئين لا ثالث لهما ، وبناء عليه فإما أن تكون لله أذن كآذاننا مكونة من غضاريف ، وأغشية ، وتحتاج إلى وسط تنقل فيه الأصوات إليها ، وذلك محال نسبته إلى الله تعالى ، لأنه يلزم عليه أن يكون محتاجا لتلك الآلة ، ومحتاجا فى نفس الوقت للمادة التى تنقل الصوت إليها ، والاحتياج من صفات المخلوقين وليس من صفات الخالق .

---

(١) القسمة العقلية غير الضرورة العقلية وغيرهما القسمة المنطقية .

فيثبت لنا أن الأذن على هذه الناحية لا يصح أن تنسب لله تعالى ، وإما أن تكون تلك الأذن غير الجارحة ، وحينئذ تكون لا معنى لها ، وذلك يجعلهم ملزمين بالاعتراف الذى ينتهى إلى أن أسفار العهد القديم قد دخل فيها التحريف ، وأصابها التزييف من كل ناحية .

✪ الناحية الشرعية :-

نحن المسلمين نثبت لله ما أثبته لنفسه فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، من غير تشبيه ، أو تمثيل ، أو تجسيد ، أو تعطيل ، لأننا نؤمن بأن الذات الإلهية غير معروفة بالنسبة لنا على الحقيقة ، وإنما كل ما نعرفه هو ما ورد به النقل المنزل والعلماء يقولون ((لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله)) [١] .

والله سبحانه وتعالى قد أخبرنا أنه السميع البصير اللطيف الخبير فى قولهﷺ ، عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ((" إن لله تسعة وتسعين اسما ، مائة إلا واحدا ، من أحصاها دخل الجنة ")) [٢] .

وأخبرنا جل علاه بأنه يسمع ويعلم ويبصر ، لكن بما يتناسب معه تعالى ، لا بما نفهمه نحن ، من ذلك قوله تعالى ﴿ " إننى معكما أسمع وأرى " ﴾[٣] ، وقوله أيضا ﴿ " وفوق كل ذى علم عليم " ﴾[٤] .

---

(١) الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – الغزاليات فى الإلهيات ص١٩٧ – باب علاقة الذات بالصفات – طبعة آل بسيون ١٩٩٨م .

(٢) أخرجه البخارى فى ٨٠ كتاب الدعوات – ٦٨ باب لله مائة اسم غير واحد .

(٣) سورة طه – الآية ٤٦ .

(٤) سورة يوسف – الآية ٧٦ .

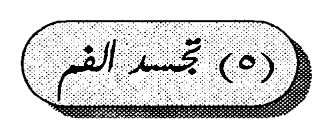
وقوله ﷺ ، عن أبى موسى الأشعرى ﷺ قال ((لما غـزا رسـول الله ﷺ خيـبر ، أو قال لما توجه رسول الله ﷺ أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتـهم بالتكبـير الله أكـبر الله أكبر لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ " أربعـوا علـى أنفسكم إنكم لا تدعـون أصماولا غائبا ، إنكم تدعون سميعا قريبا ، وهو معكم ")) [(١)] .

وحين إذن نكون قد أثبتنا تلك الصفات لله تعالى علـى وجـه الكمـال والإحكـام مـع الإتقان على النحو الذى ورد فى النقل المنزل .

أما محاولة الدخول فى تفـاصيل تنتـهى بنـا إلى التجسـيد أو التعطيـل فذلـك شـأن اليهود ، ودعاة الثالوث ، وليس من عقيدة المسلمين أبدا .

---

(١) أخرجه البخارى ٦٤ – كتاب المغازى – ٣٨ باب غزوة خيبر ، ومسند الإمام أحمد جـ٤ ص٤٠٢ .



(٥) تجسد الفم

الفم يتكون من مجريين يفضى إليهما ، أحدهما من أمام ، وهو الحلقوم ، ويسمى قصبة الرئة ، وثانيهما موضوع من خلف ناحية القفا ، ويسمى المرىء ، وفيه ينفذ الطعام والشراب ، وكلا من المرىء والحلقوم له تركيبات محددة وغضاريف ثابتة يقوم عليها[1] ، فى الناحية التشريحية .

ولم يخفف كتاب العهد القديم من حدة نزعتهم فى التجسيد ، وإنما أسرفوا فيها إلى الحد الذى جعلها لا يخلو عن ذكرها سفر من أسفارهم ، وفى نفس الوقت أحاطوها بكل مظاهر التجسيد التى لا تخفى على دارس مبتدأ ، فضلا عن باحث متخصص .

وقد تحدثنا عن تجسيدهم لبعض الأطراف والجوارح على النحو الذى سلف ، وها نحن نراهم فى سفر الأمثال قد ذكروا أن سليمان بن داؤد ملك إسرائيل ، قد استفاد حكمه وعلما حتى جعلته يفيض بها على من معه ، إلا أن هذه الحكمة التى فاضت عليه ما كانت إلا من فم الرب مباشرة ، كما يتفوه الواحد منا بمفردات مكونة من حروف وكلمات ، لها واقع موسيقى ، وجرس صوتى ، ونغم حرفى .

(أ) عرض المسألة :-

ورد فى سفر الأمثال القول : ((يا بنى إن قبلت كلامى وخبأت وصاياى عندك ، حتى تميل أذنك إلى الحكمة ، وتعطف قلبك على الفهم ، إن دعوت المعرفة ورفعت صوتك إلى الفهم ، إن طلبتها كالفضة ، وبحثت عنها كالكنوز ، فحينئذ تفهم مخافة ، وتجد معرفة الله ، لأن الرب يعطى حكمه من فمه المعرفة والفهم)) [2] .

---

(١) الإمام / ابن رشد - الكليات فى الطب ص٣٦/٣٧ .

(٢) العهد القدم - سفر الأمثال - إصحاح ٢ - فقرات ١/٦ .

ومن المعروف أن الفم هو الذى تخرج منه المفردات اللغوية عن طريق المادة الصوتية ، وهو لا شك يحتاج آلة تستخدم كاللسان والصوت والهواء الذى ينقل الصوت إلى الآخرين ، إذ المعروف أن للصوت سرعة تساوى ٣٣١ م/ث[١] .

وما دام الرب يتكلم بفم تخرج منه المفردات المعطاة حاملة الحكمة والمعرفة والفهم ، فإن من يسمع هذا الكلام ويستجيب له تدخر له تلك الاستجابة حتى تأتى إليه كنوع من المعرفة يسلك بها طريق الحق ، ويمضى فى مسالك الأنبياء ، وكل سبيل صالح مستقيم .

والعهد القديم لا يعتبر الفم لفظا يمكن فهمه على معنى غير ما يعرفه الناس ، وإنما يركز شراحه على المعنى المتداول فى كل اللغات ، وعلى كافة الأعراف ، من ذلك قولهم : ((فما إلى فم وعيانا أتكلم لا بالألغاز)) [٢] ، وإنما عن طريق الحروف المسموعة والكلمات المنطوقة التى يتعامل بها الناس فى محيط اللغة المشتركة التى يجيدونها ،

وهذه الكلمات التى تخرج من فم الرب يدركها كل أفراد الشعب صغيرهم والكبير ، غنيهم والفقير ، ووزيرهم والأجير ، غير أن الملوك هم وحدهم الذين يحمدون الرب على سماعهم تلك الكلمات .

يقول المزمور الثامن والثلاثون بعد المائة : ((أحمدك من كل قلبى قدام الآلهة ، أرنم لك ، أسجد لك فى هيكل قدسك ، وأحمد إسمك على رحمتك وحقك ، لأنك قد عظمت كلماتك ، ويحمدك يا رب كل ملوك الأرض إذا سمعوا كلمات فمك)) [٣] ، لأن فيها المشافهة التامة والمباشرة الحارة والإقامة الفعلية ، والدلالة المنطوقة القولية ذات الأنغام والتموجات الصوتية .

(١) الدكتور / محى الدين عبداللطيف قناوى وآخرون – الفيزياء المقرر على دور المعلمين ص١٨ الجهاز المركزى للكتب الجامعية ١٩٨٧/١٩٨٨م .

(٢) العهد القديم – سفر العدد إصحاح ١٢ عدد ٨ .

(٣) المزمور ١٣٨ – فقرات ١/٥ .

(ب) مناقشة تجسيد الفم :-

من الواضح أن كتاب العهد القديم قد حاولوا إثبات تجسيد كل الجوارح للإله عندهم ، وقد ألحوا فى سبيل ذلك بقدر ما أمكنهم ، حتى إنهم وصلوا حد الإسراف والمغالاة مع التهور والاندفاع الذى ينتهى بالرأى إلى عدم القبول ، وبالفكرة إلى نوع من الإلغاء والإهمال ، وحتى لا نصادر على النتيجة ، فاننا سنناقش تجسيد الفم للرب عندهم بكل من النواحى الآتية .

✪ الناحية الأولى : الاستدلال المنطقى :-

يقرر المناطقة ((أن الألفاظ لا تقصد بذاتها ، وإنما المقصود هو المعانى الدالة عليها)) (١) ، وطبقا لتلك القاعدة فإن لفظ الفم إذا أطلق على سبيل الحقيقة اللغوية ، فإنه يحمل على ذلك الفم الذى يتكون من حلقوم ومرىء فى الإنسان والحيوان ، ويحتاج إلى أجزائه التى يتركب منها ، والغاية التى تتوقف عليه ،

ومثل ذلك الفم يكون مخلوقا ، وبه يوصف المخلوقون ، أما أن يوصف به الرب جل علاه ، فذلك مما يرفضه الاستدلال المنطقى ، ولا نقربه .

ومن ثم فإن فكرة إثبات فم للرب جل علاه لا تكون مقبولة من ناحية الاستدلال المنطقى ، وإنما تكون مردودة فى وجه القائلين بها لعدم قيامها على أسانيد مقبولة منطقيا .

✪ ناحية الاستدلال العقلى :-

العقل يقرر أن كل من له فم فإنه يحتاج إلى ذلك الفم ، حتى يكون معبرا عن رغباته ومظهرا بعض آلامه واقتراحاته ، ومثل ذلك لابد أن يكون محددا بوصف دقيق ،

---

(١) الدكتور / عوض الله جاد حجازى - المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم - باب الألفاظ والمعانى المفردة ص٤٧ - الطبعة السادسة - دار الطباعة المحمدية بالقاهرة ١٩٨٣م .

وأطراف ثابتة ، ولا شك أنه سيكون مخلوقا ، وما دام هو جـزء الكـل ، فـإن الكـل أيضـا سيكون مخلوقا .

❁ **وبنا عليه** : فإن الإله عند كتاب العهد القديم سيكون مخلوقا ، وليس خالقا ، وهو مـا نرفضه والعقل أيضا يكذبه ، أو أن يكون الـرب محتاجا إلى ذلـك الفـم ، والمحتـاج لا يكون مستغنيا ، أو غنيا ، وإنما يكون ضعيفا ، فقيرا ، محتاجا ، ومثله لا يكون إلهـا أبدا ، ولا يصح أن يتجه عاقلا إلى ناقص بالاعتقاد أو العبادة ، وإلا كـان ذلـك العـاقل أيضا ناقصا .

❁ **وفى تقديرى** : أن وصـف الـرب بـأن لـه فمـا يتكلـم بـه فتخـرج الأصوات والمفـردات والكلمات ، إنما هو من الدلائل الواضحة على أن الفكر اليهودى قد إرتضع ألبان الفكـر الإغريقى القديم ، ثم حـاول إعـادة هضمـه وإخراجـه فـى قـالب فنـى تنقصـه الحبكـة الفنية ، وتتحكم فيه مسالب الصنعة .

✪ **الناحية الشرعية :-**

اتفق العلماء من المسلمين على إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه فـى القـرآن الكريـم ، وعلى لسان رسولنا الأمين سيدنا محمد ﷺ ، من ذلك قوله تعالى ﴿ " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وزروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون " ﴾[١] .

أى أن لله دون غيره الأسماء الدالة على أكمـل صفاتـه فأجروهـا عليـه دعـاء ونـداء وتسمية وابتعدوا عن الذين يميلون فيها إلى ما لا يليق بذاته العلية[٢] .

وفى الحديث الشريف : ((عن أبى هريرة ﷺ قال : قـال رسـول الله ﷺ " إن لله تسعا وتسـعين اسمـا ، مائـة إلا واحـدا ، مـن أحصاهـا دخـل الجنـة ، وهـو وتـر يحـب الوتر ")) [٣] .

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٠ .
(٢) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم - الطبع الثامنة عشر ص٢٣٦ - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٥م .
(٣) أخرجه فى الصحيحين من حديث سفيان بن عينيه عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة ، ورواه البخارى عن أبى اليمان عـن شعيب عن أبى حمزة عن أبى الزناد والترمذى فى جامعه عن الجورجانى عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شبيب .

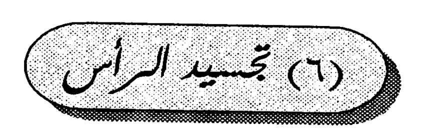
وأتفق العلماء من المسلمين أيضا على أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفيه ، لا يجوز القول فيها بالرأى ، ولا تخضع للاجتهاد ، لأنها من المسائل التى يتوقف القول فيها على النقل المعصوم .

والدراسة المتأنية تقرر أن النقل المنزل - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة - لم يرد فيهم لفظ الفم ، أو الأنف ، أو جارحة من تلك الجوارح مضافا إلى الله تعالى ، وبالتالى فإن محاولة إثبات أى واحدة منها لله تعالى يكون مخالفا للشرع على الناحية التى عنى بها العهد القديم وشراحه ، ومثله لا يعتد به .

والقاعدة أن المسلم صاحب الإيمان الصحيح يثبت لله ما أثبته الله تعالى لنفسه ، وينفى عن الله ما نفاه الله تعالى عن نفسه .

❁ **والذى أميل إليه :**

أن وصف الرب بأنه له فم ، لا يستقيم على الناحية الشرعية ، كما لا يجد سندا له من ناحية العقل السليم ، وفوق ذلك فإن الاستدلال المنطقى يرفضه ومثله يعبر عن وجهة نظر صاحبه ، وعليه ترد ولا يصح قبولها ، أو الأخذ بها فى مجال مقارنة الأديان الذى يعتمد على الجوانب العقلية والمنطقية والشرعية بعد النصوص الصحيحة .



(٦) تجسيد الرأس

لم يكتف كتاب العهد القديم وشراحه بتجسيد الإله على ما سبق ، ولكن يبدو أنهم يريدون أن يجعلوا هذا الإله واحدا من المخلوقات ، فجسدوا له الرأس بعد أن عددوا تجسيدهم للعين ، والأنف وغيرها .

وها نحن نصور تجسيدهم لرأس الإله حسب نصوصهم ، وما يجرى فى أعرافهم ، ثم نناقشها طبقا للمنهج الذى اصطنعناه لأنفسنا .

(أ) عرض المسألة :-

حفل التلمود بالحديث عن تجسيد رأس الإله عند اليهود ، حتى أن هذه الرأس قد اتصفت بالإطراق والراحة النفسية ، التى تعقب التمجيد والثناء ، يقول التلمود : ((وحين يسمع البارى تعالى تمجيد الناس له يطرق رأسه ، ويقول ما أسعد الملك الذى يمدح ويبجل مع استحقاقه لذلك)) [١] .

وهذا التمايل الرأسى والإطراق نحو اليمين ، أو الشمال أوجهة التحت ، كلها من صفات الرأس الجسدية ، ومما يزيد الأمر تصويرا جسديا ، ما نقل أن فى رأس خالقهم تاجا فيه ألف قنطار من ذهب ، وفى إصبعه خاتم تضيء منه الشمس والكواكب ، وأن الملك الذى يخدم ذلك التاج اسمه " صندلفون "[٢] .

وهذه الرأس التى تحمل ذلك التاج المحمل بألف قنطار من ذهب هى رأس إلهيه

عندهم محصورة فى تاج كبير ، يلف بها من كل ناحية ، ويحيط بها من كل اتجاه ، ومن ملامح هذا التاج أنه مليء بالجواهر والقناطير المقنطرة من الذهب ، الذى تشبع به نفوس الفقراء ، وتأوى إليه قلوب الأغنياء .

---

(١) الكنـز المرصود فى قواعد التلمود ص٥٥ - ترجمة يوسف نصر الله - الطبعة الأولى - دار القلم - دمشق ١٩٨٧م .

(٢) الدكتور / محمد عبدالله الشرقاوى - الكنـز المرصود فى فضائح التلمود ص٤٤ - مكتبة الوعى الإسلامى ١٩٩٠م .

ثم إن مساحة جبهة خالقهم من أعلاها إلى أنفه مساحة ليست قليلة . إنها خمسة آلاف ذراع[1] .

من ثم : فإن هذا التجسد لرأس الإله عندهم يقوم على نصوص تلمودية يراها أصحاب هذه الفكرة مقدسة ، بل إنها غير قابلة لمجرد المناقشة ، طبقا للمعطيات التى تحكم سلوكيات القوم ، وتقرر القواعد التى يجب إتباعها .

(ب) مناقشة المسألة :-

سبق أن صورنا الفكرة عندهم لكن رغم أن هذه الفكرة تؤكد تجسد عضو الرأس ، بالنسبة لله عندهم ، إلا أنها لا تنال أى نوع من أنواع القبول لدى المفكر المدقق والدارس لمقارنة الأديان ، على وجه الخصوص . أما لماذا ؟ فلما يلى :-

✪ أولا : عدم سلامة النصوص :-

إن هذه النصوص غير مقدسة لا عندنا ولا عند متقدمي اليهود حيث من المعلوم أن التلمود لم يكتب ولم يظهر إلا بعد انتقال موسى عليه السلام فقد ذكرت المصادر أنه دون ما بين سنة ١٩٠ /٢٠٠م تقريبا ، فبالتالى يكون متقدمو اليهود لم يعرفوا أن لله رأسا وعليها تاج فلو كان الأمر متعلقا بالعقيدة لظهر فى أول كتابات اليهود ، وهو التوراة التى حرص أوائل اليهود مراجعتها شفهيا .

✪ ثانيا : الحكم العقلى :-

إن إثبات تجسيد الرأس للإله عندهم على النحو الذى سبق تصويره ، يؤدى حتما إلى التحيز ، والله منزه عن أن يتحد بغيره ، أو يتحيز فيه ، أو يجمعه أمر ما من أمور المخلوقات ، بل إن العقل السليم يحكم بأن قضية تنزيه الإله عن صفات المخلوقين أمر ، وثابت فى العقول الصحيحة ، كما هو مقرر .

---

(١) راجع الإمام / ابن حزم - الفصل فى الملل والأهواء والنحل ص

في النصوص السليمة وأن هذا التجسد للرأس يعبر عن نزعة الضعف ، والذلة التـى عاشها المنتسبون لليهودية فى مرحلة الاضطهاد ، إذ أن النفوس المضطـهدة تحلم بتيجـان الملك ، كما أن المحرومين يتلهفون دائما إلى خزائن الأموال والذهب والفضة .

✪ ثالثا : الحكم الشرعي :—

إن هذه الصورة من تجسد الإله عندهم فيها الخيـال واضـح ، وعـدم انسـجام الرؤيا قائم ، مما يؤكد ما سلف أن ذكرناها ، ونؤكد مرة أخرى أن الله منزه عن مثل هذه الصـور لأنه تعالى ﴿ " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " ﴾[1] .

(١) سورة الشورى – الآية ١١ .

الفصل الخامس

تجسيدهم للإله في العلاقات الجسدية والرغبات

العلاقات [1] الجسدية

يقصد بالعلاقات الجسدية ما يمكن أن يقع بين زوجين ، ويسمى الناتج عنهما ثمرة العلاقة ، ومن المعروف أن كل اثنين من نوع واحد داخل جنس بعينه ، إذا تمت بينهما علاقة جسدية ، فإنها فى الغالب يتخلف عنها ناتج هو المعبر عنه بمضمون العلاقة أو دليل العلاقة ، وهو فى بنى الإنسان والحيوان وما كان من هذا القبيل ،

وبالتالى فإذا عبر عن العلاقات الجسدية ، فإنما يكون المراد هنا ، هو نسبة الأبوة أو البنوة لله تعالى – تعالى عن ذلك علوا كبيرا – فى الفكر اليهودى .

ولقد ترددت مفردات العلاقات الجسدية فى العهد القديم منسوبة إلى الرب ، بشكل يصعب تجاوزه ، أو إغماض العين عنه من دارس علم مقارنة الأديان المتخصص . أما لماذا ؟

فالجواب :-

أن العهد القديم قد ذكر مادة الكلمات : (ولد[2] ، ابن[3] ، ولادة[4] ، طفل[5] ، وأمثالها) وهى فى الغالب الأعم منسوبة لله سواء على الحقيقة ، أو المجاز ، وسواء باعتبار المدلول اللغوى ، أو المفهوم الاصطلاحى ،

ونظرا لكثافة وجود تلك المفردات فى العهد القديم ، وتردد كتاب ومفسرى العهد القديم من اليهود وغيرهم فى وضع معنى محدد لها ، فإنه من الضرورى بحث تلك المسألة على الناحية التى ترد فى هذا الكتاب .

---

(١) العلاقة وردت مادة الكلمة فى العهد القديم ، على معنى الصلة المتبادلة ، كما وردت رمزا من الرموز ، وفى نفس الوقت ، فإنها ترد على معنى العلقة ، وهى الدودة التى تكثر فى المستنقعات ، وتتعلق بالحيوانات التى تشرب من تلك المستنقعات ، وتأخذ فى امتصاص دمها ، ولا تغادر جلد الإنسان ، بل تتعلق به بشدة ، ومن هنا كان اسمها علقه – قاموس الكتاب المقدس ص٦٣٤ .

(٢) العهد القديم – المزمور العاشر – فقرة ٧ « أنا اليوم ولدتك ولادة فى الزمان عندما جعل جسدا » .

(٣) مزمور ١٢٧ فقرة ٣ ، وراجع القاموس الموجز للكتاب المقدس ص٧٢٠ مكتبة الأخوة ١٩٨٣م .

(٤) يقصد بها الولادة الطبيعية – إنجيل متى الإصحاح الأول ، والولادة الروحية – كورنس الأول إصحاح ٤ فقرة ١٥ ، نقلا عن القاموس الموجز للكتاب المقدس ، وهيب ملك – مكتبة الأخوة ١٩٨٣م .

(٥) الكتاب المقدس – العهد الجديد – إنجيل يوحنا إصحاح ١٣ فقرة ١٨ ، حيث يقصد بكلمة الأولاد الأطفال الصغار مباينة مع الشبان .

كما أن النصوص التى تتعلق بالعهد القديم ، قد جعلت الألفاظ المتداولة على المعنى اللغوى مرادا[1] ، بحيث يصعب حملها إلى المجاز ، إلا فى أضيق نطاق ، ربما لم يتوفر أبدا .

ونظرا لاهتمام دارسى مقارنة الأديان بالفصل بين تلك المسائل ، فإن من المناسب أن نتعرض لها– العلاقة الجسدية – على النحو الذى سنذكره فيما يلى :–



(أ) عرض المسألة :–

العهد القديم يعلن عن وجود أولاد للرب ، وهذه ا لعملية لا تتم إلا بولادة يكون الولد هو النتيجة الطبيعية لها .

يخاطب الرب " يهوه " قائلا : ((أنت ابنى ، أنا اليوم ولدتك ، بنوة أزلية)) [2] .

ويبدو أن كتاب العهد القديم قد أكثروا من ذكر النصوص التى تؤكد تلك الفكرة ، منها قولهم : ((أنتم أولاد الرب إلهكم)) [3] ، وما دمتم أنت أولاده ، ولستم أولاداً لغيره فيكون هو الذى ولدكم ولادة طبيعية ، فيكم البكر ، ومنكم من يلحق البكر .

بل أن هؤلاء الأولاد الذين أفرزتهم ذات الولادة ، وفيهم البكر ، بينهم صفات تغلب عليهم وتجمع شملهم .

وتلك الولادة التى أفرزت أولادا تحمل فى الأصل على الولادة الطبيعية[4] ، يقول سفر التكوين ((ابنك وحيدك الذى تحبه))[5] ، وتحمل فى غير الأصل على الولادة

(١) إنجيل متى – الإصحاح الأول ، وكذلك المعجم الموجز للكتاب المقدس وهيب عبدالملك ص٧٢٠ .
(٢) سفر المزامير – المزمور ٢ فقرة ٧ .
(٣) سفر التثنية – إصحاح ١٤ فقرة ١ .
(٤) الولادة الطبيعية هى التى تنشأ من أبوين على سبيل اللقاح والتزاوج ، ومن ام عن طريق الإفراد الروحى .
(٥) سفر التكوين إصحاح ٢٢ عدد ٢ .

الروحية[1] ، التى تتم للمؤمن ، وهذا الذى نشأ عن الـولادة الطبيعيـة ليـس ولـدا واحـدا ، وإنما هم أولاد كثيرون ، فيهم البكر ((يقول الرب إسرائيل ابنى البكـر)) [2] ، فبكـر كـل خليقة مرتبطا ارتباطـا وثيقـا بلقـب صـورة الله ، غـير المنظـورة فيمـا يتعلـق بـاللاهوت هـو الصورة ، وما يتعلق بالخليقة هو البكر .

كما أن البكـر يسـمى بكـر لوجـوده بـين أخـوة كثـيرين ، سـواء كـان البكـور فـى الأحياء ، أو كان البكور فى الأموات ، يقول بولس فى رسالته الأولى للعـبرانيين ((المسـيح لا يدعى قط الابن البكر ، ولكنه يدعـى البكـر فـهو بكـر بـين أخـوة كثـيرين ، وبكـر مـن الأموات)) ، وفيهم غير البكر كثيرون .

حتى أن هؤلاء الأولاد المولودون من الرب قد كثروا وأنجب البشر بنات ، فلما نـزل أولاد الله ورأوا بنات البشر ، رأوا فيهن صفات الجمال والشبق الجسدى ، ففتنـهم جمـال بنات الآدميين اللاتى كان عددهن قد كثر فى الأرض ، وأتخذوهن خليلات[3] ،

وهنا غضب الرب على أبنائه لكن كـان السـهم قـد نفـذ إذ أن أبنـاء الله كـانوا قـد دخلـوا علـى بنـات النـاس ، فولـدت بنـات النـاس لأولاد الـرب أولادا صـاروا يعرفـون بالجبابرة .

يقول العهد القديم : ((لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أولاد الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات ، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كـل مـا اختـاروا ، فقـال الرب لا يدين روحى فى الإنسان إلى الأبد لزيغانه هو بشر ، تكـون أيامـه مائـة وعشـرون سنة كان فى الأرض طغاة فى تلك الأيام ، وبعد ذلك إذا دخل بنو الله علـى بنـات النـاس وولدن لهم أولاداً هؤلاء هم الجبابرة)) [4] ، الذين سكنوا الأرض قبل الطوفان[5] .

---

(١) الولادة الروحية هى مجرد فكرة دخل لفظ الولادة فيها بحروفة فقط ، ومعناه فلا ينصرف إلى مفهوم معين إلا بقرينة تحدده .

(٢) سفر الخروج إصحاح ٤ عدد ٢٢/٢٣ .

(٣) الدكتور / على عبدالواحد واف - اليهودية واليهود - ص٣٢ مكتبة غريب ١٩٧٠م .

(٤) سفر التكوين إصحاح ٦ عدد ٤/١ .

(٥) الأستاذ / محمود الشرقاوى - التفسير الدينى للتاريخ - الجزء الأول - كتاب الشعب ص١٦٣ - مطبوعات دار الشعب .

ويبدو أن أولاد الرب كانوا على قدر كبير من الطفولة العقلية ، فلم يتمكنوا من تفادى الشراك التى نصبت لهم من أبناء غير الرب ، حتى أنهم صوروا لهم المسالب مناقب ، والمفاسد مقاصد ، غضب الرب من أبناء آخرين ، لأنهم لم يقابلوا إحساناته لهم إلا بالإساءة لأولاده .

وتوارثوا تلك الأفعال جيلا بعد جيل ، يذكر سفر التثنية هذا الموقف ثم ينتهى إلى أن الذين ليسوا أولادا للرب قد أفسدوا أولاد الرب وعيبوهم ، يقول : ((أفسد له الذين ليسوا أولاداً، عيبهم جيل ملتو ، آلرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم ، أليس هو أباك ومقتنيك)) [1] .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إنه قد أمتد حتى يشمل تصرفات سلوكية للابن البكر ، لا ترضى الرب ، ولكنه يتغاضى عنها ، وقد يتملكه شيء من الغضب والغيظ ، وحينئذ يعرض بوجهه عن هؤلاء الأولاد وبناتهم حتى قال ((فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته ، وقال أحجب وجهى عنهم ، وأنظر ماذا تكون آخرتهم ، إنهم جيل متقلب ، أولاد لا أمانة فيهم)) [2] .

حاول الكثيرون من أولاد البشر الاعتداء على أولاد الرب ، الذين ولدهم تلك الولادة الطبيعية ، وقد تكررت تلك المحاولات ، حتى من فرعون نفسه ، الذى قرر الاعتداء على إسرائيل ابن الرب البكر ،

ولكن الرب هدده بالانتقام منه ، والقصاص من والده البكر هو الآخر ، وكان ذلك فى رسالة موجهة من الرب لفرعون ، جاء فيها : ((يقول الرب إسرائيل ابنى البكر ، فقلت لك أطلق ابنى ليعبدنى ، فأبيت أن تطلقه ، ها أنا أقتل ابنك البكر)) [3] .

---

(١) سفر التثنية – الإصحاح ٣٢ – عدد ٥/٧ .

(٢) سفر التثنية – إصحاح ٣٢ – عدد ١٩/٢٠ .

(٣) سفر الخروج – إصحاح ٤ عدد ٢٣ .

وهكذا يسترسل العهد القديم فى التركيز على إثبات بنوتهم أو غيرهم للرب وأبوته هو الآخر لهم أو لغيرهم ، المهم أن القاعدة تقوم عندهم على ضرورة إثبات البنوة الطبيعية ، والولادة الحقيقية للرب .

(ب) مناقشة المسألة :-

الدارس لمقارنة الأديان يرى أن فكرة العلاقات الجسدية ونسبتها للرب قد عنى بها كتاب العهد القديم ، طبقا لمواصفاتهم الذاتية ، فما ينطبق على البشر حاولوا إثباته بالنسبة لله ،

وفى نفس الوقت لم يجعلوا الألفاظ المستخدمة تحمل دلالات متسعة ، وإنما حصروها فى الاستعمال الحقيقى وحده ، وحاولوا تثبيت تلك المفاهيم ، كرد فعل موقفى فى مواجهة من ينزهون الله ، ومن يزعمون نسبة البنات لله تعالى - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - إذ أن الأقوام فى تلك المسألة فرق ثلاثة :-

- **الأول : القائل بتنزيه الله[(١)] :-**

وهو نحن المسلمين ، وكل نبى من قبل الله جاء ليعرف الناس بالإله الخالق العظيم ، لم يكشف إلا عن بيان التنزيهات لله ، وبيان السلبيات ، وإبعادها عن الله تعالى ، فالله لا والد له ، ولا ولد ، لأن من كان والدا و له ولد فهو محتاج حتما ، والله لا يكون محتاجا مستغنيا فى آن واحد لاستحالة الجمع بين المتناقضين . قال تعالى ﴿ " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " ﴾[(٢)] .

« أى أن الله هو الذى لم يخرج منه شيء ، ولهذا امتنع عليه أن يلد وأن يولد وذلك أن الولادة والتولد ، وكل ما يكون من هذه الألفاظ لا يكون إلا من أصلين غالبا ، وما

---

(١) هم كل نبى مرسل من قبل الله تعالى ، ادعى النبوة وصدقه الله بالمعجزات ، قال تعالى ﴿ " وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاء فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين " ﴾ سورة هود الآية ١٢٠ .

(٢) سورة الإخلاص بتمامها .

كان من المتولد عينا قائما بنفسها فلابد لها من مادة تخرج منــها ، ومـا كـان عرضـا قائمـا بغيره ، فلابد له من محل يقوم به ،

- **فالأول نفاه بقوله ﴿ " أحد " ﴾:**

فإن الأحد هو الذى لا كفوا له ، ولا نظير فيمتنع أن تكون له صاحبة والتولـد إنمـا يكون بين شيئين ، قال تعالى ﴿ " أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبـة وخلـق كـل شـيء وهو بكل شيء عليم " ﴾[١] ، فنفـى سبحانه نسبة الولـد لله بامتنـاع لازمـة عليـه ، وهـو الزوجة ،

- **والثانى : نفاه بقوله سبحانه ﴿ " الصمد " ﴾:**

وكل ذلك ممتنع فى حق الله تعالى ، فإنه أحد ، فليس له كفـوا يكـون صاحبـا لـه ونظيرا ، وهو صمدا ، يمتنع أن يكون والدا ، ويمتنع أن يكون مولودا بطريق الأولى»[٢].

وهكذا فإن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد هيمنا على ما سلف من كتـب ، وأكدا على استمرار إثبات التنزيهات لله تعــالى ، وهـو الـذى نعتقـده ، ولا يخـالف مسـلم صحيح الإسلام فى هذا الإقرار أبدا .

---

(١) سورة الأنعام – الآية ١٠١ .

(٢) شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيميه – تفسير سورة الإخلاص ص٨١/٨٢ – راجعه الدكتور / عبدالحميد حامد – دار الريــــان – الطبعة الأولى ١٩٨٧م القاهرة .

الفريق الثاني : القائلون بإثبات البنات لله

ظن هؤلاء أن الملائكة من جنس الإناث ،وليسوا من جنس الذكور ، فلما لم يتمكنوا من تصور آباء لهم وأمهات نسبوهم إلى الله تعالى ، ووصفوهم بأنهم بنات الله .

إلا أن الله تعالى رد عليهم ،وقطع أقوالهم عن طريق المنهج العقلي والسؤال المباشر ، قال تعالى ﴿ " فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون " ﴾[١] .

والمتابع لآيات القرآن الكريم يرى أنها لم تثبت التنزيهات لله وحدها ، وإنما نفت عن الله تعالى كل مظاهر المماثلة ، لشيء من خلقه ، فهو سبحانه وتعالى ﴿ " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " ﴾[٢] ، وفى نفس الوقت فإنها هدمت ما يعتقده هؤلاء السذج من نسبة البنات لله تعالى .

وبينت أن خصومتهم للحق ومعاداتهم للصواب دفعتهم إلى الاستمرار فى الخصومة والمكابرة ، والعناد من غير دليل يهديهم ، قال تعالى ﴿ " أومن ينشؤا فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم " ﴾[٣] .

---

(١) سورة الصافات الآيات ١٤٩/١٥٤ .

(٢) سورة الشورى الآية ١١ .

(٣) سورة الزخرف – الآيتان ١٨/١٩ .

الفريق الثالث : القائلون بإثبات الأولاد الذكور لله

هذا الفريق نشأ كرد فعل موقفى فى اتجاه الفريق الثانى ، حيث ذهب اليهود إلى أن لله ولدا من صلبه هو العزير ، قال تعالى ﴿ " وقالت اليهود عزير ابن الله " ﴾[١] ، فكان الرد المناسب لها فقال ﴿ " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون " ﴾[٢] .

فنجد أن أصحاب هذا الفريق لم يذكروا أن لله بنات ، وإنما ركزوا على الأبناء ، بحيث أن من ينظر إلى النصوص يرى تكرار لفظ يولد من الله[٣] – أبناء الله[٤] – بكر الله[٥] – هوذا البنون ميراث من عند الرب[٦] ، وأولاد الله كلمة تعنى الأولاد ، ويقصد بها الصغار ، والشبان والآباء[٧] ،

ولم يلتفت أصحاب تلك الفكرة إلى مفهوم البنات إطلاقا ، وهذا يدل على أن قيام ذلك الفريق الثالث كان نوعا من رد الفعل فى مواجهة القائلين بأن الملائكة بنات الله .

❁ **وفى تقديرى** : أن القولين الأخيرين – الثانى والثالث – يضرب كلا منهما الآخر ، بل ويهدم ثانيهما أولهما ، بحيث لا يبقى إلا التوحيد الخالص والتنزيه المطلق[٨] . أما لماذا ؟

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٠ .

(٢) سورة المؤمنون الآية ٩١ ، وراجع الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – المدخل التام لعلم الكلام ص٤٠٨ – الطبعة الأولى ١٩٩٨م – مطبعة آل نخزنجى .

(٣) العهد الجديد – يوحنا إصحاح ١ فقرة ٥ .

(٤) العهد القديم سفر التكوين إصحاح ٢٣ عدد ٢ .

(٥) رسالة العرانيين عدد ١/٦ .

(٦) المزمور ١٢٧ عدد ٣ .

(٧) وهيب ملك – القاموس الموجز للكتاب المقدس ص٧٢١ – مكتبة الأخوة ١٩٨٣م .

(٨) ذكر القرآن الكريم أن الأنبياء كان لهم أتباع أمنوا بالله رب العالمين ، فنجاهم الله ، وجعلهم عنده من المقبولين ، من ذلك ﴿ " فأنجينا الذين أمنوا " ﴾

فلما هو معروف من أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال[١] ، وكذلك لما هو معروف من أنه متى تعارض الدليلان تساقطا[٢] ، ومن ثم فلا يصير أحدهما دليلا ، وإنما يصبحان يهدم كلا منهما الآخر ، وطبقا لتلك القاعدة فإن مزاعم الفريق الثاني تسقطها مزاعم الفريق الثالث ، وعلى هذا يتساقطان معا .

ونحن نناقش القائلين بوجود أبناء لله على النواحي التي سترد .

الناحية الأولى : مطالبتهم بإثبات الدليل :-

إن دارس مقارنة الأديان يحرص دائما على الأدلة ، فليس شأنه أن يجمع في فلاة أو يحطب بليل ، وإنما يعنيه سلامة الأدلة ، فإذا لم تتوفر الأدلة بجانب السلامة ، فإنه لا يعتد بها وطبقا لهذا المفهوم .

فإنا نتساءل : هل لدى القائلين بأن لله أبناء دليل على ما زعموا ؟

ربما يقال : أن الأدلة ذكرت في العهد القديم والجديد ، وكتاب العهدين معا[٣] ، وكذلك الشأن مع مفسريهم ، ومن ثم صارت أدلة .

ولكنا نقول : لم يثبت عندهم ، ولا عند غيرهم أن العهد القديم قد كتبه موسى الكليم ، أو أملاه ، أو راجعه ، وبالتالي فهو مقطوع النسبة – سندا ومتنا[٤] – لله رب العالمين ، وربما يقال أن هذه الأدلة تتناقلها الأخبار عن طريق المشافهة من خلال الوصايا[٥] ، فصارت موثقة ، وهذا الفرض ساقط أيضا ، لأنهم مقرون بوقوع

---

(١) العلامة جلال الدين السيوطي – جهد القريحة في توجيه النصيحة ص١٨٥ ، بهامش صون المنطقة والكلام جـ٢

(٢) العلامة جلال الدين السيوطي – الأشباه والنظائر في فروع فقه الشافعي – باب ترجيح الأدلة – طبعة الحلبي

(٣) الأدلة التي ذكرناها لهم عند تصويرنا لفكرتهم .

(٤) اتفق العلماء على أنه متى انقطع السند ، لم يصح المتن ، وإذا انقطع المتن لم يسلم السند ، أما إذا انقطعا معا فقد سقط الدليل كله – العلامة أبو المعالي عبدالملك الجويني – الورقات في أصول الفقه بهامش حاشية الجلال المحلي على الورقات ص٧ ط الحلبي .

(٥) يقال هذا على التلمود بقسميه ، إذ يرى أصحابه أن التلمود هو التعاليم الشفوية التي تناقلها موسى ، ثم من بعده من الأحبار ، ورجال اللاهوت ، وظل الحال على ذلك حتى تم تدوينه بعد ميلاد المسيح – د/ محمد عبدالله الشرقاوي – مرجع سابق ص٢٠ .

حاخاماتهم ، ورجال اللاهوت في النقل غير الصحيح ، والاستنتاجات العشوائية ، التى لم تقم عليها أدلة[١] ، ولذا فإنها تكون ساقطة أيضا .

❁ ثانيا : الحكم العقلى الصحيح :-

بينا أن الأدلة تعاكس ما انتهى إليه أصحاب القول بوجود أبناء لله ، أو بنات ، سواء على الناحية التاريخية ، أو غيرها ، لكن حكم العقل الصحيح هو الآخر يهدمها ، إذ لو كان لله شيئا من العلاقات الجسدية ، لنشأ عنها فضلات ، فكانت زائدة ، وبليت ، وفنيت ، ولو كان جزء الإله يبلى ، أو يفنى ، لكان مخلوقا ، وليس خالقا .

كما أن العقل الصحيح يقر بأنه لو كان لله أبناء ، لكانت لهم أم ، لأنه لا يعقل أن يكون الإله متمتعا بالقدرة على العطاء الجسدى ، ولا توجد له أنثى تتم بينهما تلك العلاقات ، وحيث أن ذلك لم يقم عندهم عليه دليل ، فقد بان فساده ، قال تعالى ﴿ " وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون " ﴾[٢] .

أضف إلى ما سبق أنه لو كان لله أبناء لكانت لهم أم ، إما من جنس الإله ، فتتعدد الآلهة ، وبالتالى ينتجان أبناء من جنسهما ، فتنشأ آلهة لا حصر لها ، وهو قول باطل .

ﷻ قال تعالى ﴿ " بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذالكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل " ﴾[٣] .

أو تكون أمهم من بنى جنسهم ، فتحتاج هى الأخرى أما وأبا ، وهنا يلزم أن يكون الأبناء صورة لكل من الأب والأم ، بحيث يصير كل أبنائها أنصاف آلهه ، وأنصاف

---

(١) ومن أبرز تلك المظاهر ، وجود أكثر من عهد قديم ، وأكثر من تلمود ، وأكثر توراه ، سواء فى الأسماء أو عدد الأسفار والإصحاحات .

(٢) سورة التوبة الآية ٣ .

(٣) سورة الأنعام الآيات ١٠١/١٠٢ .

بشر ، فلا ينسبون إلى أب ، ولا إلى أم ، وهذا مخالف للاتجاه القائم عندهم من إثبات الولد لله .

❁ ثالثا : الحكم الشرعى :-

تقرر فى الشرع الشريف أنه لو كان لله ولد لما عذبه ، إذ يستحيل أن يكون موصوفا بالرحمة على الخلائق ، ثم لا يرحم أبنائه ، وحيث أنه قد عذب اليهود والنصارى بأفعالهم الذميمة ، فقد بان أنه تعالى ليس له ابن ، ولا بنت ، وأنه تعالى منزه عن كل تلك المظاهر .

ﷻ قال تعالى ﴿ " وقالت اليهود و النصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير " ﴾(١) ،

فتلك دعواهم ومزاعمهم ، أنهم أبناء الله وأحباؤه وشأن الابن أن ينال المنزلة التى له عند الأب ، والمحب ، ولكن ذلك كله لم يحدث ، بل كان العكس ، فقال ﴿ " قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق " ﴾(٢) .

ورد تلك الشبهة عليهم وأمثالهم ، فقال ﴿ " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " ﴾(٣) ، وقال ﴿ " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم " ﴾(٤) ، وقال ﴿ " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق " ﴾(٥) .

فبين القرآن الكريم أن قضية العلاقات الجسدية لا تناسب الذات الإلهية ، وإنما المناسب لهذه العلاقات قيامها بين المخلوقات ﴿ " فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب

---

(١) سورة المائدة الآية ١٨ .

(٢) سورة المائدة الآية ١٨ .

(٣) سورة الإخلاص بتمامها .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٨ .

(٥) سورة المؤمنون الآية ٩١ .

العرش الكريم ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون " ﴾(١) .

✪ الحكم العادى :-

دائما يرى العقلاء أن للعادة والإلف بعض الأحكام ، وتسمى العادات متى كانت في متعارف الناس ، كما تسمى السنن الإلهى ، متى كانت أعلى من مقدورات الناس ، فبزوغ الشمس وغروبها ، ومنازل القمر ومطالعه وبروجه كل ذلك مما جرت به سنة الله تعالى ، وحكمت به العادة الصحيحة ،

ﷻ قال تعالى ﴿ " سنة الله فى الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا " ﴾(٢) .

ﷻ وقال ﴿ " فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا " ﴾(٣) ،

إذا لو كان لله ابنا واحدا ، أو اثنان أو ثلاثة ، أو أكثر فى الماضى ، لحكمت العادة بضرورة وجوده فى الحاضر ، وإلا وصف منجاب الماضى بأنه عقيم الحاضر ، وهذا عيب فيه ، ونقص منه ومثله لا يكون إلها أبدا فثبت أن فكرة وجود أبناء لله أضعف من فكرة وجود بنات لله ، وبان أنهما وأمثالهما مجرد أفكار لا أساس لها ، بل إهمالها أولى من النظر إليها(٤) .

يقول أحد الدارسين : ((أن العهد القديم يعرض صورا عن الإله تجعله مثل غيره من المخلوقات ، فهو يلد ، وعنده من الأولاد مثل البشر الولد البكر الذى يعتنى به والده ، وله حظوة عند أبيه ليست لغيره ، وإذا ما مسه السوء فإنه يغضب لذلك وينتقم)) (٥) .

---

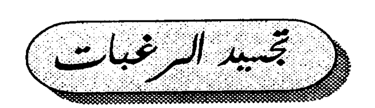
(١) سورة المؤمنون الآيات ١١٦/١١٧ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٦٢ .

(٣) سورة فاطر الآية ٤٣ .

(٤) الأستاذ الدكتور / محمد سيبى موسى محمد الغزالى - المدخل التام لعلم الكلام ص٤٠٧/٤٠٨ - الطبعة الأولى ١٩٩٨م - مطبعة آل مخزنجى بالزقازيق .

(٥) د/ صابر طعيمة - التراث الإسرائيلى فى العهد القديم وموقف الإسلام منه - ص٣٥٦ - دار الجيل بيروت ١٩٧٩م .



ذكرنا أن الإله فى الفكر اليهودى له تجسدات عديدة ، من تلك التجسدات ما كان فى صورة بشر[١] ، وعرضنا هناك الحديث عن تجسد الأطراف البشرية[٢] ، كما تناولنا التجسد المتكامل[٣] ، وها نحن نعرض لنوع آخر من التجسد الإلهى عندهم فى صورة الرغبات البشرية ، التى تقوم فى النفس وتظهر آثارها فى السلوكيات كمعبر قوى أو دافع أكيد .

والدارس لمقارنة الأديان يجد الفكر اليهودى قد تابع النصوص ، أو بعبارة أوفق أن النصوص الدينية عندهم قد رسمت صورة الفكر اليهودى فى قالب اعتبروه دينا ، فكل الصفات المتعلقة بالرغبات البشرية عندهم صوروها للرب بكل ما فيها من علو ، أو انخفاض ، من خسة ، أو وفاء من جهل أو فقر أو خلافة ، مما تعرضه نصوص العهد القديم ، ويجرى فى مصادر فكر اليهود .

ومن البادى أن الفكر اليهودى جعل الرغبات البشرية التى يمكن نسبتها للرب عندهم غير منحصرة ، ولكنا سنذكر أبرزها :-

[١] الحزن.

[٢] الخطأ.

[٣] الندم .

[٤] الغيظ .

[٥] الخوف .

---

(١) وهو الذى سبق تناوله فى هذا الكتاب ، وأحيل اليه خشية التكرار .

(٢) منها الوجه - الأنف - الأذن - الفم - الرأس .

(٣) المتكامل يعرف بأنه الصورة التى يكون عليها الشيء من خلال الأطراف المجتمعة .

من ثم فإنا سنقصر دراستنا فى الرغبات البشرية التى نرى أنها الأبرز عندهم ، والأكثر شيوعا ، وانتشارا فى مؤلفاتهم ، وسيكون ذلك على النحو التالى :-



الحزن لفظ من الألفاظ التى يتم التخاطب بها ، والتعامل معها ، وبالتالى لابد من تعريف له ، حتى يتحدد معناه ، بحيث يكون محل النزاع مجردا .

(أ) فى اللغة :-

- عرف الحزن فى اللغة بأنه هو ((الهَم والغم)) [١] .
- وعرف كذلك بأنه : حالة من حالات النفس البشرية تنتاب الإنسان عند فقد محبوب ، أو فوات منفعة يصعب تداركها ، بحيث يقع بعدها لصحابها إنقاص الأجر وإبطاله .

(ب) فى الاصطلاح :-

عرف بعدة تعريفات من أبرزها :-

[١] أنه عبارة عما يحصل لوقوع مكروه ، أو فوات محبوب فى الماضى[٢] .

- وهذا التعريف أراه قد ركز على النتائج ، التى تقع بعد المقدمات ، وحصره فى جانب الماضى فقط ، رغم أن تلك النتائج يمكن أن تقع فى الحال ، كما يقع لأحدنا عندما يفكر فى أمر ، ثم يرى العجز فى إمكانياته عن بلوغه .

[٢] ألم نفسانى يغمر النفس كلها ، ويرادفه الغم والهم والكآبة ، وهو إما أن يحصل للنفس بالعرض لوقوع مكروه ، أو فراق محبوب ، وإما أن يحصل لها بطبع الانطواء

---

(١) د/ القس / صموائيل حبيب وآخرون – دائرة المعارف الكتابية ص٨٦ جـ٣ الطبعة الثانية ١٩٩٥م – دار الثقافة .

(٢) العلامة السيد الشريف الجرجانى – التعريفات ص٧٦ طبعة الحلبى

مزاجها على القلق والاضطراب ، ومن عادة الحزين أن يكون مكفهر الوجه مطرقا إطراق الآسى[١] .

- وهذا التعريف قائم على المرادف ، كما أن فيه أداة الانفصال – إما – أو[٢] ، ومثله لا يكون تعريفا معتمدا بقدر ما هو ضابط لجزئيات معينة ، يمكن الأخذ به عند عدم وجود غيره كناحية تقريبية .

تعريف الدراسة :–

والذى أميل إليه : أن الحزن حالة من حالات النفس البشرية ترد مصاحبة لوقوع مكروه ، وفوات منفعة تتعلق بها النفس ، تعلقا قويا ، بحيث إذا منعت منها أو حجبت عنها وقع فيها ما لا يرضيها .

ورغم أنه تعريف طويل نسبيا فى الدراسات النظرية ، إلا أنى أراه جامعا على تلك الناحية ، ومن ثم اعتبرته أقوم من غيره ، وأقرب فى بلوغ الهدف المنشود ، وها أنا أعرض الحزن عندهم ، ثم أقوم بالمناقشة طبقا للمنهج المعتمد ، والذى سرت عليه فى الرسالة .

(أ) عرض المسألة :

يصور سفر التكوين الرب فى العهد القديم بأوصاف عديدة منها الفرح ، وكذلك الحزن ، باعتبار أن كلا منهما حاله من حالات النفس ، إذا حلت بها إحداهما امتنعت الثانية ، باعتبار أنهما ضدان أو نقيضان ، لكن ما مصدر حزن الرب عندهم ؟

والجواب :

أن ذلك الحزن الإلهى تعددت مصادره ، بعضها راجع لتصرفات الرب ذاته ، وبعضها راجع لاعتبارات أخرى عمادها الناس أنفسهم .

---

(١) الدكتور / جميل صليبا – المعجم الفلسفى جـ١ ص٤٦٦ .

(٢) يرى المناطقة أنه إذا دخلت الأداة (إما – أو) فى التعريف كان على سبيل الانفصال الشرطى ، وليس على سبيل الاتصال ، ويعبر عنه بمانعة الجمع والخلو – يراجع الغزاليات فى التصديقات – الباب الثانى القضايا الشرطية – الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – الطبعة الأولى ٢٠٠٠م – آل بسيون للطباعة والكمبيوتر .

أما الأول : فيصوره العهد القديم هكذا : أوجد الرب البشر ، إلا أن هؤلاء البشر قد كثروا فى الأرض ، وحدث بينهم ما يحدث من خلاف ، وشرور ، وأثام ، حتى ظهر بينهم طغاة ، بل إن بنات البشر استطعن إيقاع بنو الرب فى جمالهن ، فوقع أبناء الرب على بنات البشر ، فولدن لهم جيلا من الجبابرة ،

غير أن هؤلاء الجبابرة قد كثر شرهم ، بحيث صار كل عمل الرب شريرا ، وليس العمل وحده ، بل كل ما كان قريبا منه ، وهنا أدرك الرب أنه لم يكن موفقا فى عمل الإنسان ، لأن المفروض أن تكون صنعته على أعلى مستوى من التكامل ، أما وإنها لم تكن بذات القدر ، فقد بان أنه لم يكن موفقا فى تلك الصنعة ،

حينئذ حزن الرب ، لأنه صنع الإنسان وأخلده إلى الأرض ، بل إنه تأسف فى قلبه وحدث غليان فى داخله ، حتى فكر فى محو الإنسان عن وجه الأرض أو تحويله إلى نوع من البهائم والدبابات الأرضية ، أو طيور السماء ، ويبدو أن أصباب الرب عندهم لم يقع فى النهاية المنتظرة ، وإنما عُلق الأمر على موقف نوح من تلك القضايا الصعبة .

يقول سفر التكوين : ((وبعد ذلك أيضا إذا دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذو اسم ، ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه ، إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه ، فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته ، الإنسان مع بهائم ، ودبابات وطيور السماء ، لأنى حزنت أنى عملتهم ، وأما نوح فوجد نعمة فى عينى الرب)) [(١)] .

ولم يتوقف أمر بنى البشر عند إحزان الرب على مرحلة بعينها ، وإنما استمر ذلك الإحزان سواء فى البرية ، أو فى الأماكن التى تحيط بها عوامل القسوة والجفاف والتصحر ، حتى بات ذلك أمرا مكررا ، فهم ((كم عصوه فى البرية ، وكم أحزنوه فى

(١) العهد القديم - سفر التكوين ص٦ عدد ٤/٨ .

القفر)) (١) ،وكم أغضبوه ، حتى أنه وقع فى تأسف شديد وتكرر ذلك منهم على سبيل الإغضاب له ، وتكرر ذلك منه على سبيل الحزن والتأسف .

أضف إلى ما سبق أنه لما تكرر إحزان بنى البشر للرب ، فقد زاد حزنه على ما كان يعانى ، حتى تحول إلى ألم لا يغادر الرب أبدا ، بل أنه كان يضغط عليه ويكتم على صدره ، فيتنهد تنهيدة طويلة حارة علّه يشعر بعدها براحة ، لكن ذلك لم يتحقق ، فراحت عيناه تدمعان الحزن ،

أما أعضائه فصارت هشة كظل المرتبط بقرب الضوء أو بعده عنه ، وبناء عليه فالله – عندهم – يتأثر بما يلحقه الناس بأنفسهم ، وبما يعملونه لخليقته ، والله يتألم ، ويتأسف فى قلبه ، بحيث يقع له خليط من الغضب والألم والحزن معا(٢) .

البادى أن التجسيد للرب فى اليهودية واضح جدا ، باعتبار أن تلك الصفات التى تنتاب النفس البشرية من الحزن والفرح والغم وضعف الجسم ، أو نحوله ، إنما تجرى كلها على قدم وساق فى كل المصادر التى عرفت بأنها تراث يهودى سواء العهد القديم ، أو التلمود ، والبروتوكولات أو غيرها ، بل هو الأمر المعتقد عندهم على النحو الذى سلف ذكر طرف منه .

(ب) مناقشة المسألة :–

كتاب العهد القديم وشراحه يحاولون دائما وصف الرب عندهم بما توصف به الجسميات باعتبار أنهم يرفضون فكرة وجود إله مجرد غير مادى ، وهذه الفكرة أوقعتهم فى النتائج السلبية التى منها إثبات الحزن لله تعالى ، على النحو الذى سبق عرضه ، أو غيره من الأنحاء التى يجرى فيها التجسيد بقوة ، ونحن نناقش تلك الفكرة من النواحى الآتية :–

(١) المزمور ٧٨ عدد ٤٠ .

(٢) الدكتور / ديفيد أتكنسون – تفسير الكتاب المقدس – سفر التكوين ص١٠٨ – ط دار الكنيسة الأنقفية – الطبعة الأولى ١٩٩٩م – ترجمة ملك نسيم .

أولا : الناحية العقلية :-

يقرر العقل السليم والضمير الحى ، والقلب النقى ، أن الحزن صفة تتعلق بـالمخلوق على الحقيقة ، لأنه الذى تفوته المصلحة ، أو يقع عليه الضرر ، وهو لا يستطيع دفع هذه أو صد تلك ،

أما العقل فإنه ينتهى إلى أن مُن يقع له الحزن أو الفـرح علـى الناحيـة التـى سبق ذكرها ، إنما هو المخلوق العاجز المحتاج ، لا الخالق القوى القادر المسـتغنى ، ومـا دامـت تلك النصوص قد نسبت الحزن إلى الله على النحو الذى سلف ، فإن فكرة إسقاط النصوص أيسر من فكرة إثبات النقص لله تعالى[1] .

كما أن العقل الصحيح لا يقبل نسبة النقائض لله تعالى ، حتى ولو كانت واحـدة ، لأن من تجوز عليه واحدة ، يجوز عليه البواقى ، ونسبة أُى نقص لله مهما قل ، فهو رفع الكمال كله مهما كثر ، ولا يجتمع النقص والكمال على واحد أبدا ، وإلا كان بعض نقـص أو بعض كمال ، ومن كان هذا شأنه لا يكون إلها ،

وإنما يكون مخلوقا جنحت به نفسه إلى الوقوع فى الزلات ، ثم أن الكمـال الإلهـى يتحقق وترشد إليه صفات تقود إلى ذلك الكمال ، وتكشف عنه ، فهو القادر القاهر ، وهـو المحيى والمميت ، وهو الملك القدوس السلام .

وتلك الصفات هى التى دفعت بالفيلسوف الشهير " ديكرت " إلى إعلانه عن إثبات الكمـالات الإلهيـة لله رب العـالمين ، حيـث يقـرر أن فكـرة الكمـال المطلـق هـى فكـرة لا نهائية ، إنه لا أول له ، ولا آخر

((كما أن وجوده ذاتيا له ومن ثم فإن له كمالات لا تتناهى باعتبار أن ذاته أيضا لا تتناهى ، والمعلوم أن الصفة تطابق موصوفها ، فما دام الموصوف لا يتناهى فكذلك صفاته ،

---

(١) الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى الغزالى - منهج السلف الصالح فى إثبات وجود الله تعالى ص١١٣ ط٢ أل بسيون١٩٩٧

ومنها الكمال المطلق ، وهو الذى لا تتناهى كمالاته المقدسة على نحو من الأنحاء ، وهو الله سبحانه وتعالى)) (١) .

وهذا الدليل العقلى يسمى دليل اللانهائى ، كما يعرف باسم فكرة عدم التناهى فى الكمالات الإلهية ، وهو دليل قوى ، وفى نفس الوقت فإنه يرد على كل أوجه النقص الإنسانى التى يمكن إلحاق بعضها كما صنع العهد القديم إلى الله تعالى .

❁ ثانيا : الناحية الشرعية :-

يقرر الشرع الشريف إثبات الكمالات كلها ، ونفى السلبيات كلها الأولى لله والثانية عن الله لقوله تعالى ﴿ " تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا " ﴾(٢) .

بل إن خواتيم سورة الحشر قررت إثبات الكمالات لله على وجه التحليل أو التركيب ، مما يؤكد دعم النقل المنزل للعقل فى المسألة ، من ذلك قوله تعالى ﴿ " هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم " ﴾(٣) ،

فالآيات القرآنية ذكرت الصفات الإلهية واحدة تلو الأخرى " الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ... الخ .

وهذا التمثيل للكمال الإلهى تحرسه قاعدة التحليل العقلى ، التى حللت الكمال الإلهى إلى مفرداته الأولى ، وهى صفاته الأزلية ، كما حللت عناصره التى يتألف منها ،

---

(١) الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى - خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة ص١٦٧ الطبعة الأولى - مطبعة صنعاء ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٤ .

(٣) سورة الحشر الآيات ٢٢ /٢٤ .

بل إن الحديث الشريف هو أيضا قد ذكر تلك الأسماء والصفات الكمالية لله ، على وجه التحليل من ذلك قوله ﷺ ((" أن لله تسعا وتسعين اسما ، مائة إلا واحد ، من أحصاها دخل الجنة ")) (١) .

بل إن منهج التركيب العقلى الذى تغنى به "ديكرت" ، ومن سار خلفه قد سبقهم القرآن الكريم إليها ، ونبه علماء المسلمين إلى أجزائه :-

فمن القرآن الكريم : قوله تعالى ﴿ " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وزروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون " ﴾(٢) ، وبهذا يتبين لنا أن الشرع الشريف والعقل الصحيح يتفقان على إثبات أعلى الكمالات لله سبحانه وتعالى ، وما ذكره العهد القديم بهذا الخصوص ينسب أخس الصفات لله تعالى ، فثبت أن ما انتهى إليه كتاب العهد القديم إنما هو قول غير مستقيم .

۞ ثالثا : الناحية العادية :-

عرفنا أن ما يؤلف هو العادة ، وبالتالى عرفت العادة بأنها ما يعتاده الناس على سبيل الاستمرار(٣) ، وقد تعودنا - كدارسى مقارنة أديان - أن نجد فى العهد القديم ولدى شراحه ومفسريه نسبة الخطأ والحزن والغم ، وكافة الصفات السلبية لله تعالى .

مما يجعلنا نقرر أن القوم يصفون الله عندهم بالصفات السلبية ، حتى إذا وقعوا فيها كانت المسألة عند أتباعهم من باب القضاء والقدر ، أو من باب التشبيه بالإله حتى فى مواطن الضعف والمسكنة .

---

(١) أخرجاه فى الصحيحين من حديث سفيان بن عينيه عن أبى الزناد الأعرج عن أبى هريرة ورواه البخارى عن أبى اليمن بن شعيب عن أبى حمزة عن أبى الزناد والترمذى والامام أحمدُ فى مسنده .

(٢) سورة الأعراف - الآية ١٨٠ .

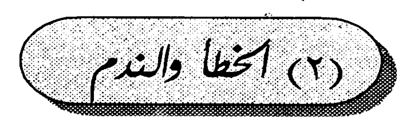
(٣) العلامة الشيخ إبراهيم الباجورى - حاشية الباجورى على جوهرة التوحيد ص٩٨ - الطبعة الأميرية ، وعليها تقريرات العلامة الشيخ أحمد الأجهورى ١٩٣٨م الطبعة الأخيرة .

❁ **وفى تقديرى** : أن هذه الأفكار إن صحت نسبتها إلى بعض الناس ، فإنها لا تصح إلى الكاملين منهم مهما اشتدت الأزمات ، أو وقعت الخطوب ، وإذا كان ذلك قد جرت العادة فى عدم نسبته إلى الكاملين من الناس ، فإن عدم نسبته إلى الله تعالى أوجب ، وهو أمر تقرره العادة ، كما يقرره العقل الصحيح ، بعد الشرع الشريف .

◈ **ربما يقال** : إن الحزن بالنسبة لله وارد فى العهد القديم على سبيل المجاز ، وليس على سبيل الحقيقة ، وبالتالى يمكن حمله على معنى لا يستلزم التجسيد ، أو إثبات التشبيه لله ؟

❁ **والجواب :-**

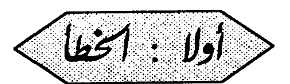
أن الحزن صفة سلبية ، وكل سلب هو نقص لشيء من الكمال ، وبناء عليه ، فلو كانت لفظة الحزن على الحقيقة أو المجاز ، فإنها تنتهى إلى مفهوم معين هو السلب ، وبناء عليه تكون المسألة مدفوعة وغير مقبولة ، والثابت هو الكمال بالنسبة لله ، والمستحيل هو النقص على الله ، وما نسبه العهد القديم لله يدخل فى عداد السلبيات ، والنقائض ، ومثله يرد والافتراض مرفوض (الخطأ والندم) .



تجرى الأفكار التجسدية فى عقول أتباع اليهودية كل مجرى ، بل أنها لا تختلف فى مفاهيمهم عن المصادر التى يقومون بها ، كما أن الدارس لا يرى توافق الفكرة فى رؤوسهم مع المصادر التى قامت بها أيديهم ، حتى إذا سلم منها نص وقع فيها آخر .

بيد أن العهد القديم والتلمود قد حاولت جميعها إثبات الندم والخطأ لله سبحانه وتعالى عندهم ، سواء كانت الفكرتان – الخطأ – الندم – صفات للرب ، أو سمة من

السمات التى تقع له ، وتجرى عليه ، وها نحن نعرض لفكرة خطأ الرب عندهم ، ثم نعقبها بفكرة الندم باعتبارها مظاهر للتجسد(١) ، وإن كانت فى أشكال معنوية :-



أولا : الخطأ

(أ) فى اللغة :-

يعرف الخطأ فى اللغة بأنه مالم يتعمد من الفعل(٢) ، أو النية والقصد ، فإذا كان متعمدا من الفعل أو النية والقصد فهو الفعل العمد ، وليس الخطأ ، لما بين الأمرين من فوارق دقيقة ، باعتبار أن الخطأ ليس فيه قصد ، أما العمد فهو القصد ذاته ، وربما نستأنس لما ذهبنا اليه بقول العلامة الجرجانى : ((الخطأ هو ما ليس للإنسان فيه قصد ، وهو عذر صالح لسقوط حق الله تعالى ، إذا حصل عن اجتهاد)) (٣) .

(ب) فى الاصطلاح :-

كما يعرف فى الاصطلاح بتعريفات عديدة أبرزها - من وجهة نظرنا - :-

- أنه نوع من الخطأ الذى يقع فى الاختبارات السيكولوجية بسبب أحد العوامل الذى يمارس تأثيرا فى اتجاه معين(٤) .
- وربما يعرف أيضا بأنه : سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب الصحيح(٥) ، أو هو تأليف بين أفكار لا ارتباط بينها فى الحقيقة وفى الواقع ، وهو لا يكون فى الفعل الذى به يرى الذهن ، بل فى الفعل الذى به يحكم ، سواء كان فى المخالفة لقاعدة

---

(١) التجسد الذى نعنيه هنا هو ما ينطبق فى الحاضر ، ويقاس عندهم على الغائب ، فالحاضر هو الإنسان الذى نلمس تلك فى سلوكياته ، والغائب هو الله بالنسبة لذلك الحاضر ، وعليه تقاس صفاتها .

(٢) المعجم الوجيز - باب الخاء - فصل الطاء ص٢٠١ - مجمع اللغة العربية ١٩٩٤م .

(٣) العلامة الجرجانى - التعريفات ص٨٩ باب الخاء .

(٤) الدكتور / أسعد رزوق - موسوعة علم النفس ص١١٥ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الطبعة الثانية ١٩٧٩م

(٥) دكتور / جميل صليبا - المعجم الفلسفى ص٥٣٠ .

منطقية أو جمالية ، أو رياضية ، أو لغوية[١] ، فإنه خطأ على تلك النواحى ، باعتبار نفس الجهة .

من ثم فإن التعاريف اللغوية والاصطلاحية للخطأ تنتهى فى تعريفه بأنه وقوع مخالفة وإثباتها لمن وقع فيها سواء كانت تلك المخالفة بسيطة ، أو كبيرة ، وسواء أعقبها الندم ، أو تلاها التعبير عن شهوة الانتصار ، والقوة مع القلة والمنعة .

وكثيرا ما نسب العهد القديم الخطأ لله سواء جاء ذلك الخطأ على سبيل التصريح به أو التلميح له ، وكذلك جاء فى التلمود ، حتى أن الله عندهم وقع فى خطأه الذى تكرر كثيرا ، ثم تنبه لما وقع فيه وبعده ندم ، وتمنى أن ذلك الخطأ لم يكن قد صدر عنه ، وها نحن نعرض لتلك الفكرة عندهم ، ثم نناقشها ، طبقا للمنهج الذى اخترناه فى دراستنا هذه .

(أ) عرض المسألة:

تصور المصادر اليهودية الرب بأنه كثيرا ما يقع فى أفعال غير مقبولة ، أو ينتوى أضرار لا يمكن استيعاب النتائج المترتبة عليها ، فإذا ما تبين له أنها ضارة بشعب إسرائيل فإنه يندم عليها ، ويحاول تفاديها ، وربما أعلن عن ندمه من خلال مظاهر الحزن التى تسيطر عليه .

فمرة يصنع الإنسان ثم يرى شرورا قد وقعت من الإنسان ، فيدرك أنه قد أخطأ فى تلك الصنعة ، ومن ثم يحزن ويندم ، لأنه فعل ذلك الإنسان ، يقول العهد القديم : ((فحزن الرب أنه عمل الإنسان وتأسف فى قلبه ، وقال أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته ، الإنسان مع بهائم ودبابات ، وطيور السماء ، لأنى حزنت أنى عملتهم)) [٢] .

---

(١) المعجم الفلسفى ص٨٩ – مجمع اللغة العربية – الطبعة الثانية ١٩٦٦م .

(٢) العهد القديم – سفر التكوين – الإصحاح ٦ عدد ٦/٧ .

ومرة أخرى يقع فى خطأ اختيار أحد أبناء الشعب اليهودى ، وتنصيبه ملكا على تلك البلاد من ذلك : ((ندمت أنى جعلت شاؤل ملكا[١])) .

ولم يكن خطأ الرب عندهم محددا ، وإنما جاء على الكثير من النواحى غير التى سلف ذكرها ، حتى أنه يعترف بالخطأ الذى وقع فيه ، فربما انتهى به الأمر إلى البكاء ، وما يعقبه من ذلك قولهم : ((إن الله اعترف بخطأه فى تصريحه بتخريب الهيكل ، فصار يبكى ، ويقضى ثلاثة أرباع الليل فى البكاء والزئير)) [٢] .

كما أن الرب حين خلق الأكوان العلوية ، والأجرام السماوية ، قد بان له وقوعه فى الخطأ ، وبالتالى فهو قد اعترف بخطأه ، وحاول التكفير عنه من خلال الأوامر والنواهى أو القرابين والذبائح التى اعتبرها بادرات لتكفير ذلك الخطأ .

يقول التلمود : ((إن الله اعترف بخطأه عند مراجعة القمر له ، حيث خلقه أصغر من الشمس حين تحاجا – القمر والله – فقال القمر لله : لماذا جعلتنى أصغر من الشمس ، فاعترف الله بخطأه ، وأقره القمر على ذلك الخطأ ، فقال القمر لله لقد أخطأت حيث جعلتنى أصغر من الشمس ،واعترف الله بخطأه ، وقال اذبحوا لى ذبيحة أكفر بها عن ذنبى ، لأنى خلقت القمر أصغر من الشمس[٣] .

وما دام الرب قد أخطأ عندهم ، سواء فى خلقه لبنى الإنسان ، أو تنصيبه شاؤل ملكا ، أو تصرفه فى الكون ، وأمره بتخريب الهيكل أو امتداد ذلك الخطأ إلى كونه خلق القمر أصغر من الشمس ، إلى غير ذلك من أوجه الخطأ ، التى تنسب للرب عندهم ، فمما لا شك فيه أن ذلك ثابت عندهم ، قائم فى أفكارهم تردده أجهزتهم ، وتعلن عنه مصادرهم ، ومن ينتسبون إليهم ، وذلك يتطلب مناقشة الفكرة بعد أن عرضنا لها .

---

(١) شاؤل اسم عبرى معناه سئل من الله ، وقد تدخل الهمزة فى وسطه ، فيقال شاوءل ، وورد عنهم أنه ملك من ملوك أروم ، وأيضا شاؤل بن قيس من سبط بنيامين أول ملوك إسرائيل – قاموس الكتاب المقدس ص٥٠٢/٥٠٤ .

(٢) التلمود شريعة بنى إسرائيل – حقائق ووقائع ص١٥ – ترجمة محمد صبرى – الطبعة الأولى – مؤسسة دار الهلال .

(٣) الكنز المرصود فى قواعد التلمود ص٥٦ – يوسف نصر الله رزق .

(ب) مناقشة المسألة :-

من المؤكد أن نسبة الخطأ للرب فى الفكر اليهودى صارت مؤكدة ، وبالتالى ، فإن مناقشة تلك الفكرة تصير واجبا شرعيا ، وستكون فى حدود الجوانب الآتية :-

❂ أولا : الجانب اللغوى :-

من المؤكد أن المصادر اللغوية تحدثت عن الخطأ كفعل من الأفعال ، أو أمرا من الأمور المتعلقة بالكائن الحى الواقع تحت الدراسة ،

وبالتالى فإن ما لا يقع تحت الدراسة كعالم الجن والملائكة ، وما كان من قبيل الغيبيات لا يصح وصف ما يصدر عنه بالخطأ الذى نفهمه نحن ، أو نعرفه به ، باعتبار أن اللغة تستعمل غالبا فيما هو مضبوط على قواعدها لا ما هو خارج عليها ،

وكذلك المناطقة ، فإنهم يعتبرون تلك الموضوعات مما هو من قبيل المضبوط الذهنى ، وغيره لا يدخل فى المسألة ، وطبقا لهذا فإن مفهوم الخطأ فى اللغة لا يمكن إطلاقه على الله سبحانه وتعالى أبدا ، كما أن اللغة توفيقية مصنوعة ، ومثلها لا يمكنه أن يحكم على الصانع بشيء مما فى مصنوعاته ، فثبت أن الله منزه عن الخطأ طبقا لقواعد اللغة .

❂ ثانيا : الحكم العقلى :-

لو أن الله – تعالى عن قولهم علوا كبيرا – يقع فى الخطأ لكان هناك قانون أعلى من أفعال الله يوزن به ما يصدر عن الله تعالى ، وذلك يستلزم وجود منشئ لهذا القانون إمكانياته أعلى من إمكانيات الله ؛

ويظل الأمر متسلسلا إلى ما لانهاية ، فيبطل إنشاء ذلك القانون ، كما يبطل إنشاء الكون ، والكون ثابت بالمشاهدة ، فثبت بطلان وجود مشرع أعلى من الله سبحانه ، كما ثبت بطلان وجود من يحكم على فعل الله بأنه خطأ ، فانتهى الأمر إلى أن نسبة الخطأ إلى الله فكرة خيالية غير مقبولة من جانبنا ، ولا تقوم على قواعد يمكن الاعتماد عليها[1] .

---

(١) تلك الأفكار فى اليهودية عمادها مقايسة الله بخلقه ، وكل ما يمكن وصف الخلق به ينسبونه لله باعتبار أن أحكام المشاهد تجرى فى الغالب ، وهو قياس فاسد راجع الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيميه – الجزء الأول ص٢٧١ وما بعدها – مكتبة الأزهر ١٩٧٨م .

كما أنها استقرت فـي أفهام اليهود باعتبار أنهم ينسبون البداء[1] لله سبحانه وتعالى ، وكل بداء يلزمه الجهل ، أو الخطأ ، باعتبار أن البداء هو ظهور رأى أو وجه مخالف لما تم الوجود عليه ، أو العدم ، كذلك سواء كان فى الإيجاب أو فى السلب .

وتلك الفكرة لم تثبت إلا فى عقول اليهود ، بل هى صورة ذاتية ، لهم حيث قد صوروا أخطائهم ، ثم دونوها فى مؤلفاتهم ، وبعد ذلك حاولوا إلصاقها بالنسبة لله رغبة منهم فى أن تحوز لدى الناس بعض القبول ،

وفى نفس الوقت يمكن وجود تبريرات للسلوكيات الخاطئة التى يقوم بها رجال اللاهوت اليهودى ، وتقرها السلطة السياسية ، أو التى يقع فيها رجال السياسة ،

وتقرها السلطة الدينية من باب تبادل المصالح المشتركة ، وذلك كله يقع على المخلوق ، إن صحت نسبته إليه ، ولا يقع على الإله الخالق أبدا ، وإلا كان خرقا للضرورة العقلية ، وذلك مما لا يقبله عاقل أبدا ، لأن خرق الضروريات العقلية إنكار للبديهيات ، ومنكر البديهيات لا يقبل قوله .

❁ ثالثا : الجانب الشرعى :-

عرفنا أن الله تعالى عالم مريد حكيم له صفات الجلال والجمال والكمال والإكرام ، كما أن له تعالى الخلق ، والإحكام والتدبير ، ومن كان هذا شأنه ، فإن أفعاله تعالى كلها لا تخلو من حكمة ، ولا يقع الخطأ فيها أبدا .

قال تعالى ﴿ " هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم " ﴾[2] ،

---

(١) البداء : يعرف بأنه ظهور الرأى بعد إن لم يكن ، ومن ثم فاليهود ينسبون الجهل لله ، وكل جهل يعقبه خطأ لا محالة ، لأن صاحبه سيعتمد على التجريب – العلامة الجرجانى – التعريفات ص٣٦ .

(٢) سورة الحشر الآية ٢٤ .

ﷻ وقال ﴿ " إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتآ إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا " ﴾[١] .

ﷻ وقال أيضا ﴿ " ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذآ أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغآؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السمآء مآء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السمآء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذآ أنتم تخرجون وله من في السماوات والأرض كل له قانتون" ﴾[٢] .

ﷻ وقال أيضا ﴿ " أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين ا لبحرين حاجزا أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون " ﴾[٣] .

ﷻ وقال أيضا ﴿ " قل أرءيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرءيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون " ﴾[٤] .

من ثم فإن ظواهر النصوص القرآنية تؤكد كلها إتقان الصنع الإلهى والدقة والعناية مع النظام ، والتكامل على النحو الذى يدل دلالة واضحة ، بأن هذا الخالق العظيم لا

---

(١) سورة فاطر – الآية ٤١ .

(٢) سورة الروم الآيات ٢٠/٢٦ .

(٣) سورة النمل – الآيتان ٦٠/٦١ .

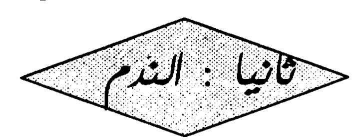
(٤) سورة القصص – الآيات ٧١/٧٣ .

يمكن أبدا أن يتسرب إليه شيء من الخطأ ، وإلا لو وقعت السماء على الأرض ، أو انقلبت الأرض فوق السماء ، أو إنعدم الكون كله ، أو وجدت المعدومات فوق الموجودات ولا يقول بذلك عاقل أبدا ، فدل الأمر على أن الله تعالى لا يمكن وصفه بشيء مما يوصف به خلقه على جانب فيه شيء من النقصان .

كما أن الخطأ نوع من النقص والنقص على الله تعالى محال ، وإلا كان كاملا ناقصا ، وفيه جمع بين المتناقضين ، والقاعدة أن المتناقضين لا يجتمعان أبدا ، ولا يرتفعان أبدا ، فإذا وجدا أحدهما امتنع الثانى مطلقا[1] .

وتطبيقا لهذا المبدأ فإنه لو ثبت نسبة الخطأ لله عز وجل ، لما ثبت له الكمال أبدا ، وما دام الكمال قد ثبت لله ، فإن نقيضه ، وهو النقصان ، منفى تماما عن الله تعالى باعتبار الناحية العقلية والشرعية والعادية أيضا ﴿ " ذالكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل " ﴾[2] ، وفى الحديث الشريف ((" أن الله صانع كل صانع وصنعته "))[3] .

وبهذا نكون قد انتهينا من عرض لفكرة وصف الله بالخطأ عندهم ، ومناقشة تلك الفكرة ، فما هى مسألة الندم ، ذلك ما سوف نعرض له على النحو التالى .



ما دام الفكر اليهودى قد نسب لله الخطأ ، فإن كل خطأ إذا أبصره صاحبه فإنه يتراجع عنه ، ويندم عليه ، وربما قرر التخلص من الفعل السابق ، لأنه يمثل بالنسبة له سلوك غير مقبول ، أو تصرف لا يليق بمثله ، ومن ثم فإن الندم سيكون هو القاعدة

---

(١) الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – الغزاليات فى منطق التصديقات جـ١ ص٣٣٥ – طبعة آل بسيون ١٩٩٩م – الطبعة الأولى .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٠٢ .

(٣) العلامة محمد جمال الدين القاسمى – دلائل التوحيد ص٢٥ ، والحديث ذكره الإمام السيوطى مرفوعا ، والحاكم والبيهقى ص٥ – راجع حبو الوليد فى علم التوحيد ص٣٣ – الطبعة الثانية .

الأصلية التى يكفر بها عن أخطائه التى وقع فيها ، ولذا فقد حاول اليهود إشباع الإله بمواقف الندم تكفيرا عن الأخطاء التى وقع فيها .

حاول كتاب العهد القديم إلزام الرب عندهم بما يقع للإنسان تماما بتمام ، وكما فعلنا أثناء عرضنا للخطأ عندهم ، فإنا سنفعل ذلك بالندم أيضا ، باعتبار أن المنهج الذى نسير عليه واحداً فما هو تعريف الندم إذن ؟

۞ تعريف الندم :-

(أ) فى اللغة :-

عرف الندم فى اللغة بأنه الأسف والتراجع[١] ، ومنه قولهم " ندم فلان بمعنى تأسف عما بدر منه وتراجع عنه " .

(ب) فى الاصطلاح :-

كما يعرف فى الاصطلاح بأنه :

- الأسف الشديد على ما فات من الخُطأ ، مع العزم الصادق على إصلاحه ، والرجوع عنه فى المستقبل[٢] .

وهذا التعريف انصب على الأسف وليس الندم ، وركز على المفهوم ، وربما لم تكن الألفاظ قادرة على نقل المعنى المراد ، ولذا فنحن بحاجة إلى تعاريف أخرى ، حتى يستبين الموقف أكثر من ذلك .

- عرف بأنه غم يصيب الإنسان ، ويتمنى أن ما وقع منه لم يكن وقع[٣] ، وهذا التعريف قد انبنى على مفهوم الغم ، كما انبنى سابقه على مفهوم الأسف ، مع أن المراد هو تعريف الندم ، وليس الأسف أو الغم ، ومن ثم أراه محتاجا إلى مزيد من إعادة النظر .

(١) ابن منظور - لسان العرب ص٣١٣ جـ٦ باب النون .
(٢) د/ جميل صليبا - المعجم الفلسفى ص٤٦١ .
(٣) العلامة الجرجانى - التعريفات ص٢١٥ .

- عرف بأنه التعبير الذى نجده فى كلمة الله منسوبا ليس فقط بالنسبة للإنسان ، بل أيضا بالنسبة لله بخصوص أحكامه على الأرض التى يجريها بحسب حكمته ، وهذا لا يتعارض مع علمه السابق[1] ،
- وقيل هو الأسف على فعل ما ، وهو لا يعنى تغير أفكار الله ، لو كانت بشرية لدلت على التوبة[2] .

وهذا التعريف مقيد بما فى كلمة الرب عندهم ، وهو فى نفس الوقت يقع فى الله والإنسان على قدر سواء ، أما فى الله فباعتبار أنه عامل ، وأما فى الإنسان فباعتبار أنه عمل الله ، وما يجرى على العامل يجرى على المعمول أيضا ، وهو قياس فاسد للفوارق الكبيرة بين المخلوق والخالق .

۞ تعريف الدراسة :-

والذى أميل إليه أن الندم هو حالة من حالات النفس الإنسانية تعقب أمرا ورد خاليا من الحكمة المنشودة ، بحيث يتدارك صاحبه السلبيات التى وقع فيها ، لكنه ربما يكون وقت الإصلاح قد انتهى .

وذلك الذى ذهبت إليه هو الغالب عندى ، حسب تصورى لمفهوم الندم طبقا للمعيار النفسى والمرتجع اللغوى بعيدا عن الإشكالات التى قد يطعن بها آخرون .

۞ عرض المسألة :

يصور العهد القديم وباقى مصادر الفكر اليهودى ، أن الرب عندهم تنتابه حالات التصرف السريع الخالى من الحكمة على الوجه الأمثل ، وحينئذ قد يصدر أمرا أو ينفذ فعلا فإذا استبان له أن هذا الأمر حسن استمر فيه ، أما إذا بان له أن هذا الأمر غير حسن ندم ، وتراجع عما انتواه .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٩٦٦ .

(٢) وهيب مالك – القاموس الموجز للكتاب المقدس ص١٣٣ .

يذكر سفر التكوين أن بنى إسرائيل قد تصرفوا نحو الرب بما لا يرضيه ، فحلف أن يحرمهم من الحياة الأبدية ، ولكنه فيما بعد قرر التراجع وبخاصة بعد أن قدموا له القربات والترضيات ، وبان له أن ما أقسم عليه سوف يكون فعلا مخالفا لما جرى به قانون العدالة .

يقول سفر التكوين ((قال الرب فى قلبه لا أعود ألعن الأرض أبدا من أجل الإنسان ، لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ، ولا أعود أيضا أميت كل حى)) [(١)] .

وهكذا يندم الرب – عندهم – كلما فكر أو تحرك ، أو فعل فعلا ، ثم بان له أن الأمر عكس ما انتهى إليه .

يذكر سفر الخروج ((أن الرب رأى الشعب فوجده قاسى الملاكات ، يحاول دائما أن يغضب الرب ، وأن موسى شعر بما يعانيه الرب من هذا الشعب ، فتضرع موسى للرب خشية أن يشتد غضبه على هذا الشعب المنكاد)) [(٢)] .

الذين أخرجهم من أيدى فرعون مصر بقوة عظيمة ، ومع هذا يظنون أنه أخرجهم من المكان الآمن ليقتلهم فى الجبال ، ويفنيهم من وجه الأرض ، ويبدو أن هذا الغضب عند إلههم قد اشتد إلى أبعد حد ، وما عاد يفيد فيه الصبر ، أو الرد ، فكان لابد من التضرع المستمر الذى قام به موسى مناديا الرب أن يرجع عن حمو غضبه ، ويندم على الشر الذى انتواه بشعبه[(٣)] ،

يقول السفر « فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله فى شعبه ، وهكذا امتص الرب غضبه ، وتردد فى القرار الذى اتخذه ، ولم يعد هذا الأمر يدور له فى بال » .

---

(١) العهد القديم – سفر التكوين إصحاح ٨ عدد ٢١ .

(٢) المنكاد :– جمع مفرده منكد ، ويجمع مناكيد ، وهم أصحاب الأفكار السلبية ، والسلوكيات غير السوية ، وقديما قيل :

لا تشترى العبد إلا والعصا معه ∴ إن العبيد لأنجاس مناكيد

(٣) العهد القديم سفر الخروج ص٣٢ عدد ٩/١٤ .

يقول التلمود ((غضب الله يوما على بنى إسرائيل ، وحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية ، ولكنه ندم على ذلك بعد ذهاب الطيش عنه ، ولم ينفذ ذلك اليمين ، لأنه عرف أنه فعل فعلا ضد العدالة)) [١] .

والعدالة فى مفهومها عندهم هى التحيز المستمر من الرب لأبنائه ، حتى ولو كانوا قساة أو طغاة ، أما إذا غضب عليهم ، فقد تجاوز العدالة إلى حد الظلم ، وإلا فما الفارق بين حبه لأبنائه الذين هم الجبابرة ، ومن بعدهم أيضا شعبه المختار ، وبين باقى الشعوب الأخرى[٢] .

نلحظ ذلك فى قولهم ((إن الله يندم لتركه اليهود فى حالة التعاسة ، ويلطم ويبكى كل يوم ، وتسقط من عينه دمعتان فى البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه ، وتضطرب المياه ، وترتجف الأرض فى أغلب الأحيان ، فتحصل الزلازل ، ويقول بعدها الرب تباً لى لأنى صرحت بخراب بيتى ، وإحراق الهيكل ، ونهب أولادى)) [٣] .

وتستمر المصادر اليهودية فى وصف ذلك الندم ، حتى لكائنها تطلعك على أن من تصفه لك هو أكثر الناس اضطرابا وقلقا ، وأضعفهم فى إمساك نفسه وأكثرهم فى تسلط القوى الشهوانية عليه ، وذلك يحتاج إعادة نظر فى المسألة ، وهو دور المتخصص فى مقارنة الأديان .

(ب) مناقشة المسألة:

عرضنا الفكرة ، وبان أن الندم صفة تلازم الرب عندهم باعتباره جسدا له مواصفات البشر من الغضب والحماقة ، حتى ضرب الوجه باليد الذى يعقبه تساقط الدمع من العين حزنا وقلقا ، وابتئاسا ، وستكون المناقشة معهم فى حدود النواحى الآتية :-

---

(١) يوسف نصر الله - الكنز المرصود فى قواعد التلمود ص٥٧ .

(٢) المصدر السابق ص٥٦ .

(٣) المصدر السابق .

❁ **الأولى : العقلية :-**

العقل يقرر أن كل من يتردد فى أمر لا يكون مكتمل القوى النفسية ، حتى قيل ((إن التردد فى اتخاذ القرار علامة من علامات اضطراب القوى النفسية)) [1] ، ومثله لا يكون إلها ، وإلا فكلما بنى شيئا هدمه ، وكلما خلق كونا أعدمه ، وذلك منقوض بالواقع المشاهد ، لأنه لو كانت تلك صفته لما وجد شيئا من العالم أبدا ،

وإلا فإن وجود العالم على هذا النحو من الإتقان والإحكام لدليل على أن خالقه جل وعلا حكيم عليم له كافة صفات الجلال والجمال والإكرام ، وهذا الذى يسميه الفلاسفة المسلمون باسم دليل الخلق والاختراع .

فيذكر العلامة ابن رشد هذا الدليل قائلا : ((إن الاختراع بين فى أنواع الحيوانات والنبات ، وجميع أجزاء العالم ، ويمكن تحديد هذا الدليل على هيئة مقدمات بديهية ، ذلك أن وجود الحيوان أو النبات دليل محسوس على الاختراع ، بمعنى أن وجود ظاهرة الحياة نفسها التى تطرأ على الأشياء غير العضوية كاف وحدة فى إثبات فكرة الاختراع .

أما أجزاء العالم وحركات أجرامه السماوية فهى مخترعة أيضا ، لأنها مسخرة لتحقيق غايات معينة ، وكل شيء مسخر لأبد أن يكون مخلوقا ، فإذا ثبت حدوث هذه الأشياء جميعا حية ، وغير حية كان ذلك دليلا بالضرورة على وجود الخالق ، وهذا دليل الشرع نفسه ، وهو مؤكد لحكمته تعالى ،

فقد ورد فى القرآن الكريم من الآيات التى تدعوا إلى الإيمان بوجود الله عن طريق معرفة مخلوقاته ، من ذلك قوله تعالى ﴿ " يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه

---

(١) الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى - دراسات فى علم النفس الحديث ص٩٧ طبعة أبو الهلال ١٩٩١م .،

منه ضعف الطالب والمطلوب " ﴾[١] ، وقال ﴿ " فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق " ﴾[٢] .

فهاتان الآيتان تبينان لنا أن ظهور الإنسان فى حد ذاته دليل كاف لإقناع الخاصة والعامة بوجود الله الخالق[٣] .

كما أن الرب لو وصف بالندم ، لوصف بنقيضه ، وهو العنف ، وهو من صفات الأفعال التى توصف بها المخلوقات ، على سبيل الدوام ، لما هو معروف من أن الصفات الإلهية على وجه الإجمال قسمان :-

- القسم الأول : صفات الذات
- القسم الثانى : صفات الأفعال

وكل ما كان من صفاته الندم فأيضا من صفاته العنف ، طالما كان من صفات الأفعال ، والمعروف أن الاشتراك فيها بين الخالق والمخلوق هو مجرد اشتراك فى اللفظ ، لا فى المعنى ، لأن الفارق كبير جدا بين الخالق والمخلوق .

وحيث أن العالم فيه إحكام وإتقان وعناية وانتظام ، فقد دل الأمر على أن الله الخالق الأعظم لا يوصف بالندم ، كما لا يوصف بغيره من صفات النقص ، لأن النقص عليه تعالى محال ، ولو حدث نقص لما تم إيجاد العالم على الوجه الذى تراه العقول عليه ، وهو ما يسميه الفلاسفة المسلمون دليل العناية .

((إن هذا الخلق المحكم الذى يحقق غايات محددة ، لا يمكن أن يصدر إلا عن علم وتدبير وحكمة ، فإن وجود الليل والنهار ، والشمس والقمر ، والفصول ا لأربعة ، والحيوان ، والنبات ، والأمطار كل أولئك يوافق حياة الإنسان ، وكأنما خلق من أجله ،

---

(١) سورة الحج الآية ٧٣ .

(٢) سورة الطارق الآيتان ٥/٦ .

(٣) العلامة ابن رشد - مناهج الأدلة فى عقائد الملة ص٢٦/٢٧ . تحقيق الدكتور / محمود قاسم - الطبعة الثالثة - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٩م .

كما يشهد بذلك الحس ، ثم العناية والحكمة تتجليان فى تركيب جسم الإنسان ، بل فى جسم الحيوان أيضا)) [١] .

وهى كذلك وجهة النظر التى يقررها القرآن الكريم ، وتؤيدها آياته مثل :

ﷻ قوله تعالى ﴿ " ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا " ﴾[٢] .

ﷻ وقوله تعالى ﴿ " فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا " ﴾[٣] .

ثانيا : الناحية العادية :-

العادة قاضية حتى قيل فى أصول الفقه أن العادة قاضية والعرف محكم[٤] ، وبناء عليه ، فلو كان الله يندم – تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً – لحدث تغير فى الأنظمة الكونية ، بل والعوالم الأخرى ، فبلغت الشمس القمر ، أو سقطت السماء على الأرض ، أو بدأ طلوع الشمس من مغربها ، أو انعكست الفصول ،

فصار الربيع صيفا والشتاء خريفا ، وذلك كله مما تشهد العادة الصحيحة بعدم وقوعه ، فدل الأمر على أن الله حكيم ، وأفعاله محكمة ، ولا تصدر عنه إلا الحكمة ذاتها ، لأن من أسمائه الحسنى " الحكيم "[٥] ،

ﷻ ﴿ " سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا " ﴾[٦] ،

---

(١) العلامة ابن رشد – مناهج الأدلة فى عقائد الملة ص٢٥ – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٩م .
(٢) سورة النبأ الآيات ٦/١٦ .
(٣) سورة عبس الآيات ٢٤/٣٠ .
(٤) الدكتور / على حسب الله – أصول التشريع الإسلامى باب العادة والعرف – الطبعة الخامسة – دار المعارف المصرية .
(٥) الحكيم : من أسماء الله الحسنى – راجع المعجم الوجيز ص١٦٥ باب الحاء .
(٦) سورة الفتح الآية ٢٣ .

ﷻ وقوله ﴿ " سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا " ﴾[١] ، أى أن تلك طريقة الله وعادته التى سنها فيمن مضى ، وسنته تعالى لا تتبدل ، ولاتتغير[٢] .

❁ **الناحية الشرعية :-**

ذكرت النصوص الشرعية – فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة – أن الله عليم حكيم ، من ذلك قوله تعالى :-

ﷻ ﴿ " ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما " ﴾[٣] .

ﷻ ﴿ " يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما فى السماوات والأرض وكان الله عليما حكيما " ﴾[٤] .

ﷻ ﴿ " فصبر جميل عسى الله أن يأتينى بهم جميعا إنه هو العليم الحكيم " ﴾[٥] .

ﷻ ﴿ " إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم " ﴾[٦] .

وما دام الله سبحانه وتعالى قد وصف ذاته بالكمالات كلها ، وهى حق له جل علاه ، وواجب علينا الإيمان بها على نحو ما أخبر الله سبحانه وتعالى ، فإن الشرع الشريف قد نبه إلى أنه الحكيم العليم ، لا يقع منه طيش ، أو جور ، حتى يعقبه ندم ، أو ما كان من هذا القبيل ، لأنها من صفات الحوادث ،

والله تعالى منزه عنها ، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وقد استقر فى الأفهام الصحيحة والفطر النقية ، والعقول السليمة ، أن الله تعالى منزه عن كل أوجه

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧٧ .

(٢) الشيخ محمد على الصابونى – صفوة التفاسير ص٢٢٤ جـ٣ دار القرآن الكريم بيروت ١٤٠١هـ .

(٣) سورة النساء الآية ٢٤ .

(٤) سورة النساء الآية ١٧٠ .

(٥) سورة يوسف ٨٣ .

(٦) سورة يوسف الآية ١٠٠ .

النقص ، وما دام منزها ، فإن وصفه بما يخالف ذلك التنزيه يكون عملا من قبيل ضلالات العقول ، ونتاجات الأوهام ، وسقطات الفكر المنحرف ، لا يعتد به فضلا عن النظر إليه .

۞ الناحية الواقعية :-

الواقع المعاش شاهد على أن صفات الندم والطيش يوصف بها الكائن الحى فى أخس مراحله ، وأحطها ، فيوصف بها الحيوان المفترس أولا ، وهى فيه بادية جلية ، كما يوصف بها الإنسان الهمجى ، وهى فيه طبيعية أقرب إلى الذاتية ، ويوصف بها الإنسان المتحضر متى ملك المناهج الغير شرعية .

أما كوامل الخلق ممن جعلهم الله أنبياء ، فكانت صفات الكمال البشرى غالبة عليهم ، وفى نفس الوقت فإن النصوص الشرعية قد نبهت إلى الابتعاد عن الغضب ، طالما كان بعيدا عن حدود الشرع ، بحيث يورث صاحبه الندم المترتب على الأفعال الذميمة التى أعقبت الغضب .

((فعن أبى هريرة ﷺ قال : قال ﷺ " ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ")) [1] .

((وعنه ﷺ قال : سئل النبى ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال " تقوى الله ، وحسن الخلق " ، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال " الفم والفرج "))

((وعن أبى الدرداء ﷺ أن النبى ﷺ قال : " ما من شيء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذيء ")) [2] .

---

(١) هذين الحديثان متفق عليهما فى صحيحين البخارى ومسلم ، وذكرهما الشيخ طه عبدالله العفيفى فى كتابه " من وصايا الرسول " جـ١ ص٥٢٨/٥٢٩ - الدار الذهبية ١٩٨٥م .

(٢) الإمام النووى - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين - باب حسن الخلق ص٢١٣ - دار زهران للنشر والتوزيع .

❁ **وفى تقديرى** : أن كتاب العهد القديم ومفكريهم قد أرادوا أن يصفوا إلههم بأخس الصفات البشرية فيهم ، باعتبار أنهم أبناؤه[١] ، وشأن الابن أن يرث عن أبيه سلوكياته طبقا لقوانين الوراثة الإحيائية[٢] ، فإذا صدر عنهم سلوك مشين فى الواقع الذى يعيشون فيه فإن لربهم دليل على أنهم قد ورثوه من جهة أبيهم ، ومثل تلك الحيل قد عرفها الصغير والكبير ، ومثلها لا يمكن قبوله ، بل الواجب تركه وإهماله .

---

(١) يذكر سفر التكوين فى الإصحاح ٦ « لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات ، أن أولاد الله رأوا وبنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا ، فقال الرب لا يدين روحى فى الإنسان ، إلى الأبد لزيغانه هو بشر تكون ايامه مائة وعشرون سنة ، كان فى الأرض طغاة فى تلك الأيام ، وبعد ذلك إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاد هؤلاء هم الجبابرة » . سفر التكوين إصحاح ٦ فقرة ١/٤ .

(٢) راجع الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى - فكرة التطور الاحيائى بين النقل والعقل ص١٢١ - الطبعة الأولى ١٩٩٩م - مطبعة آل بسيونى ، وهناك التطور اللغوى ، والتطور السلوكى ، والتطور التاريخى ، وكلها داخلة فى نطاق الدراسة السابقة .

(٣) الغيظ

الدارس للعهد القديم يرى أن مادة " غ ي ظ " قد وردت كمنطوق لفظى له دلالة لغوية ، ثم وصف الله تعالى بها مرات كثيرة فى العهد القديم[١] ،

وجاءت تلك الأوصاف على الحقيقة اللغوية ، كما جاءت على الحقيقة العرفية عندهم ، ثم جاءت مرة ثالثة على الحقيقة الوصفية التى يتطابق فيها وصف المخلوق مع الخالق ، حتى لكأن ما ورد فى العهد القديم كان تجربة ، أو نتيجة لنوع من الدراسات النظرية تم تطبيقها على الذات الإلهية ، وحفظت نصوصها أسفار العهد القديم نفسه ؟

وحيث أن موضوع دراستنا هو " التجسيد الإلهى عند اليهود "[٢] ، فلا يمكن أن نغفل ما جاء فى العهد القديم من وصف الله عندهم بأوصاف الإنسان نفسه ، التى تمثل بعضا من ملامح القلق والاضطراب ، أو هدوء النفس ، وعدم استقرارها ، مما يعرض للأنفس البشرية[٣] ، على وجه العموم ونسبته إلى الله تعالى على وجه الخصوص ، والغيظ من تلك الصفات التى نسبوها لله تعالى ، وذلك يقتضى منا :

[١] تقديم تعريف للغيظ على الناحية اللغوية .

[٢] ذكر النصوص الدالة عليه فى العهد القديم عرضا ومناقشة .

(أ) فى اللغة :-

وردت مادة الكلمة فى لغة العرب على معان كثيرة يمكن جمعها فى أن الغيظ هو غضب كامن فى صدر صاحبه[٤] ، غير قادر على التنفيس عنه[٥] ، وربما يمكن منه[٦] ، وهو أشد من الغضب ، بل هو يمثل ثورة الغضب[٧] .

---

(١) نذكر منها « أغاروه بالأجانب وأغاظوه بالأرجاس » سفر التثنية الإصحاح ٣٢ فقرة ١٦ ، « من أجل كل خطاياكم التى أخطأتم بها بعملكم الشر أمام الرب لإغاظته » سفر التثنية الإصحاح ٩ فقرة ١٩ ، « واستأصلهم الرب من أرضهم بغضب وسخط وغيظ عظيم » سفر التثنية الإصحاح ٢٩ عدد ٢٨ .

(٢) عرضنا لكثير من مظاهر هذا التجسد فى المباحث التى خلت من هذا الكتاب فراجعها فى مواطنها منه .

(٣) ذكرت منها الحزن - الخطأ - الندم .

(٤) مختار الصحاح باب الغين ص٥١٢ .

(٥) المعجم الوجيز باب الغين ص٥١٣ .

(٦) هذا التعريف هو الذى أمكنا استنتاجه من المعانى الكثيرة الموجودة فى المصادر العربية - راجع أساس البلاغة للزمخشرى - المنجد فى اللغة والأعلام ، ومعجم مقاييس اللغة ، وكذلك القاموس المحيط باب الظاء فصل الغين .

(٧) ابن منظور - لسان العرب ص٧٨ جـ٥ .

(ب) فى الاصطلاح :-

- عرف الغيظ فى الاصطلاح بتعريفات كثيرة من أبرزها أنه :-

[١] تغير يحصل عند غليان دم القلب ، ليحصل عنه التشفى[1] ، عندما يقع ما يدفع إلى كسر شهوة النفس ، أو يمنع انطلاق قدرة العقل أو يحيل بين الفكر والواقع .

[٢] حرارة يجدها الإنسان من فورانُ دم قلبه[2] ، عندما يحال بينه وبين هدوءه النفسى واستقراره الوجدانى ، أو تحقيق رغباته الذاتية ، والتى تضطره إلى كبتها رغما عنه ، فيصير كالقدر التى تغلى من شدة ما حولها من نار ، ولكنها عاجزة عن طلب الاستجارة والإغاثة ، فإذا استمر الأمر معها على نفس الحال ، ربما أدى بها إلى الانفجار ،

ونستأنس لذلك بقوله تعالى ﴿ " تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير " ﴾[3] .

والمعنى أن النار تحتاج ما تأكله لتهدأ حرارتها الكامنة فى أعماقها ، وهى تتلهف لأهل النار تلهف المستغيث بما يرد إليه رغبته ، ويحقق له حاجته ، فإذا ابتعد عنه اشتعلت ناره وراحت تقلبه فى كل اتجاه ،

والعهد القديم بنصوصه قد حرص على وصف الله بالغيظ مرات كثيرة ، وذلك يحتاج إلى عرض الفكرة كما هى فى نصوصهم .

(أ) عرض المسالة :

يذكر سفر التثنية أن صوتا من السماء كلم موسى بكلمات هى عهد الرب ، وكلم الله موسى وأمره أن ينقلها لبنى إسرائيل ، حتى يلتزموا أوامر الله ، ويعبدوا ذلك الإله الشعبى من غير أن يجعلوا معه إلها أجنبيا ، وذكر له أنهم إن لم يفعلوا ذلك غضب منهم ،

---

(١) العلامة الجرجانى – التعريفات ص١٤٢ .

(٢) العلامة الراغب الأصفهانى – المفردات فى غريب القرآن ص٣٦٨ – تحقيق محمد سيد كيلانى – دار المعرفة بيروت لبنان – توفى ٥٠٢هـ

(٣) سورة تبارك الآية ٨ .

ولكنهم لم يرتدعوا ولم يخافوا ، واجتمعت كلمة شعبهم على رفض ما ناداهم به الرب ، حتى أنهم عبدوا آلهة كثيرة ، أغاروا بها عليه وأغاظوه بأفعالهم القبيحة ، حتى أنهم ذبحوا لأوثان الآلهة الأجنبية ، ولم يذبحوا للرب ، وذلك أغضبه وأغاظه ،

وبالتالى وقع له الغيظ لأنهم عصوه وخالفوا أوامره ، وعبدوا آلهة أجنبية ، وذبحوا لهم وتركوه هو . يقول سفر التثنية : ((فرفض الإله الذى عمله وغبى عن صخرة خلاصة أغاروه بالأجانب وأغاظوه بالأرجاس ذبحوا لأوثان ليست الله لإلهة لم يعرفها فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته)) [١] .

يذكر سفر التثنية أيضا : ((أن الرب نادى شعب إسرائيل العابر إلى الأردن منبها إياه حتى لا يقع فى الخطأ ، فيسخط عليه الرب ، وبخاصة أن هذا الشعب قد أخطأ قبل ذلك أمام الرب ، فغضب عليه ، وربما لو تكرر ذلك الخطأ وقع الحرمان فترة طويلة ،

وقد حذرهم موسى من ذلك الخطأ إلا أنهم لم يرتدعوا وإنما أصروا على المخالفة ، مما جعل موسى ينظر إليهم مستعطفا ومعاتبا ومحذرا قائلا لهم :

لقد أخطأتم من قبل وغضب[٢] الرب عليكم وسقطت أمامه أربعين نهارا وأربعين ليلة ، لا آكل خبزا ، ولا أشرب ماء ، وإنما أضرع إليه ، وأُبتهل عله لا يعاقبكم على ما وقعتم فيه ،

وها أنتم تصرون على الوقوع فى نفس الأخطاء مرة أخرى ، وتعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه ، فماذا أنا فاعل لو وقع الغضب منه هذه المرة ، إن الألواح لن تجدى والدعاء لن ينفع ، وسخط الرب سوف يقع ، ولن يندفع ،

يقول الإصحاح : فنظرت وإذا أنتم قد أخطأتم إلى الرب إلهكم وصنعتم لأنفسكم عجلا مسبوكا ، وزغتم سريعا عن الطريق التى أوصاكم بها الرب ، فسقط أمام الرب كأول

---

(١) العهد القديم – سفر التثنية الإصحاح ٣٢ فقرات ١٥/٢٠ .

(٢) الغضب : غليان دم القلب لطلب الانتقام – مختصر منهاج القاصدين – الإمام الشيخ / أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة – قدم له الأستاذ / أحمد أحمد دهمان – مكتبة دار لبنان – موسسة علوم القرآن .

أربعين نهارا وأربعين ليلة لا آكل خبزا ، ولا أشرب مـاء مـن أجـل كـل خطايـاكم ،التـى أخطأتم بها بعملكم الشر أمام الرب لإغاظته ، لأنى فزعت من الغضب والغيظ الذى سخطه الرب عليكم)) [١] .

ولكن تلك التهديدات لم تجعل بنى إسرائيل يرتدعون ، وإنما استمروا فى طغيانهم يعمهون ، حتى صار غضب الرب وسخطه يزدادان يوما بعد يوم ، حتى أن الـرب لم يعـد قادرا على احتمال ذلك الغيظ ، وكان لابد من التنفيس عنه ، وإلا حدث الانفجار له ،

وبالتالى اشتعل غضبه ، فصب اللعنات على هذا الشـعب ، وأستأصلهم الـرب مـن الأرض التى نهاهم عن الدخول فيها أو المعصية بغضـب وسـخط وغيـظ شـديد ، فربمـا إذا نزلوا أرضا أخرى تذكروا ، فلم يخالفوا ، ولكنهم فى الأرض الأخرى ، لم يعتبروا بما وقع لهم فى الأرض التى استؤصلوا منـها ، وطـردوا عنـها ، وظـل ذلـك حـالهم ، فلـم يلتفتـوا لتعليمـات الله أداء ، ولأوامـره امتثـالا ولنواهيـه اجتنابـا ، وإنمـا عـادوا سـيرتهم الأولى ، معصية الرب ، وخروجا عن التعاليم ، بل الاستمرار فى ذلك الطريق ، بحيث يعـودون إلى إغضابه وإغاظته .

يقول سفر التثنية : ((وذهبوا وعبدوا آلهة أخرى ، وسـجدوا لهـا هـى ، آلهـة لم يعرفوها ، ولا قسمت لهم فاشتعل غضب الرب على تلك الأرض حتـى جلـب عليـها كـل اللعنات المكتوبة ، واستأصلهم الرب من أرضـهم بغضـب وغيـظ عظيـم ، وألقـاهم إلى أرض أخرى)) [٢] .

ويبدو أن مخالفة الرب فى العـهد القديـم كـانت مـن الوصايـا التـى يتوارثـها بنـو إسرائيل جيلا بعد جيل ، كما أن رغبتهم فى إغاظتـه كـانت قاسمـا مشـتركا بـين الأمـير والأجير ، بين الصغير والكبير ، لم يفترق فيها الغنى عن الفقير ،

(١) العهد القديم سفر التثنية الإصحاح ٩ فقرات ١٦/٢٠ .
(٢) سفر التثنية – الإصحاح ٢٩ – فقرات ٢٥/٢٩ .

وآية ذلك أن سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل[١] تحدث عما جرى من مخالفات غشيت المدينة كلها ، وكان قائدهم في ذلك هو أحد الملوك الذين رفعهم الرب من التراب وجعله رئيسا على شعب إسرائيل ، فسار هذا الملك سيرا سيئا منطلقا في طريق المخالفات لا ينزع عنها ، ولم يكن له غرض إلا إغاظة الرب بارتكاب الخطايا .

يقول سفر الملوك : ((كان كلام الرب إلى " ياهو بن حناني يعشا " قائلا : من أجل أني قد رفعتك من التراب ، وجعلتك رئيسا على شعب إسرائيل ، فسرت في طريق يريعام ، وجعلت شعب إسرائيل يخطئون ويغيظونني بخطاياهم))[٢] .

ولم تكن مخالفة الملوك وحدها ، وإنما وقع فيها خلفاؤهم بقصد إغاظة الرب ، حتى إن أحد هؤلاء كان يستحسن فعل الشر ليغيظ الرب ، وكلما وجد التعليمات تنهى عن أمر باشره هو لا حبا في المباشرة ، وإنما رغبة في إغاظة الرب ، حتى يرى ماذا يصنع به الغضب المستبد ، وكيف تكون النتيجة لإغاظته المشتعلة .

يذكر سفر الملوك : أن يعشا اضطجع مع آبائه ، وكان يعمل الشر في عيني الرب لإغاظته إياه بعمل يديه ، حيث كان يشرب ويسكر ، ويفعل كل ما تهواه نفسه ليغيظ به الرب فقط[٣] .

وهكذا تطلعنا نصوص العهد القديم على أن الرب كان يغضب من بني إسرائيل ، وكانوا كلما أغضبوه ازدادوا في إغضابه ، حتى يصل إلى أعلى مراحله ، فيشتد حاله ، ويغلي الدم فيه ، فيتصرف معهم من غير وعي عقلاني ، وإنما من خلال انفعال نفسي ، وتعبئة شعورية قائمة على عدم احترام النصوص ، وإهمال التعليمات ، وبالتالي كلما صب

---

(١) ورد لفظ بني إسرائيل في القرآن الكريم إحدى وأربعين مرة – راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وهي كلمة عبرانية مركبة من " أسرا " بمعنى عبد أوصفوه ، ومن " إيل " وهو إله فيكون معناها عبدالله – راجع بنوا إسرائيل في القرآن والسنة ص١٨ .

(٢) سفر الملوك الأول – إصحاح ١٦ – فقرات ١/٢ .

(٣) سفر الملوك الأول إصحاح ١٦ عدد ٦/١٠ بتصرف يسير .

عليهم غضبه ذكروه بالوعود ، التى كانت بينهم وبينه ، فيندم ويغير من مواقفه ، ويحاول إصلاح أخطائه ، وربما يقلل من حجم الانفعالات التى دفعته إلى الغضب والغيظ .

(ب) مناقشة المسألة :-

الدارس لعلم مقارنة الأديان يرى أمامه العديد من النصوص التى يصعب حملها على غير الحقيقة ، وفى نفس الوقت فإن نسبتها إلى الرب عندهم قائمة ، وذلك يقتضى مناقشتها على النواحى الآتية :-

أولا : الناحية اللغوية :-

ذكرت اللغة أن الغيظ غضب يكمن فى صدر صاحبه ، يعجز عن التنفيس عنه ، وإذا تمكن من التنفيس ، فإنه قد يصل به إلى مرحلة انفجار يقع فى نفسه أو تفجيرات تقع للآخرين ،

وما دامت اللغة لا تحتمل إلا ذلك المعنى ، فإن ما ورد فى العهد القديم من إثباتها لله على تلك الناحية ، لما هو معروف ، من أن اللفظ إذا أطلق فإنه تراد به الحقيقة اللغوية ، ما لم يرد معنى يمكن حمله عليه .

وبإنزال النصوص السابقة إلى تلك القاعدة نجدهما قد وقع فيهما التطابق التام ، إذ الغيظ يحمل على الغضب الكامن ، وفى نفس الوقت فإن التصوير الحسى الذى عنيت به النصوص ذاتها ، لا يمكن حمله أو إطلاقه إلا على ذلك المعنى الحسى المجسم(١) دون سواه ، وهم بهذا يؤمنون بالتجسيد الإلهى ويجعلون نصوصهم ناطقة به(٢) .

(١) الجسم والجسد بمعنى واحد ، وهو كل ما له طول وعرض وارتفاع ، وكل شخص يدرك من الإنسان والحيوان والنبات - المعجم الوجيز باب الجيم ص١٠٥ .

(٢) ونحن نرفض هذه الأفكار ، ونرى أنها لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها الذين يزعمون نسبتهم إلى دين سماوى هو منهم برئ ، وهم عنه غرباء .

ثانيا : الناحية العقلية :-

يقرر العقل أن الأحكام المتماثلة تقع دائما على سبيل التشابه ، وما دام الغضب والغيظ من صفات النفس البشرية ، فإذا وصف بها الله سبحانه وتعالى ، فلا يخرج الحال عن أحد أمرين :-

- **الأمر الأول** :- أن يكون الله بشرا يتمتع بما يتمتع به البشر ، فيقع له كمالهم إن كان فيهم – كمال كما تقع عليه أخطاؤهم – وهم غالبا فى أخطاء ، وبالتالى لا يتميز الخالق عن المخلوق ، كما لا يمكن معرفة أيهما الخالق ، وأيهما المخلوق فتضطرب الأمور وتختلط القواعد ، ويتحول الكل إلى غيبة عقلية يجرى أصحابها فى غابة من الأفكار المستوحشة .
- **الأمر الثانى** : أن يتحول البشر إلى آلهة[1] ، وبالتالى يصير بين الناس أمر الألوهية شائعا ، كل منهم يدعيه إذ لا فرق حينئذ – ما دام قد أمكن وصف الله على الحقيقة بما يوصف به البشر .

ونحن المسلمون نرفض على الناحية العقلية أن يوصف الله تعالى بما فيه نقص ، لأن أسماء الله وصفاته توفيقية[2] جاء بها الشرع الشريف ، وتحدث عنها النقل المنزل – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة –

ومن يطالع آيات الذكر الحكيم ، ويراجع أحاديث البشير النذير ، فلن يقع على نسبة الغيظ مرة واحدة لله تعالى ، وإن وقع عليها فإنها تكون حديثا عن أوصاف تتعلق بالمخلوقات لا بالخالق ،

---

(١) هذا التعبير شائع متى كان فى المناقشة ، بل أن بعض الكتاب قد عنى بالإبطال للإلهة المتكثرة على هذا الجانب – راجع الدكتور / رؤف شلبى – آلهة فى الأسواق .

(٢) قال تعالى ﴿ " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها " ﴾ (سورة الأعراف الآية ١٨٠) ، وقال ﷺ ((" إن لله تسعا وتسعين إسما مائة إلا واحد من أحصاها دخل الجنة ")) مسند الإمام أحمد

ﷻ من ذلك قوله تعالى ﴿ " وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور " ﴾[١] .

۞ ثالثا : الناحية العادية :-

تقرر العادة بأحكامها المطردة أن من يقع له الغضب والغيظ ، يقع له اضطراب في السلوك ، واهتزاز في الآراء من تردد وانفعال ، وفي نفس الوقت يقع له ضعف القوة وانهيار الإرادة ، والوقوع أسيرا لنتائج انفعالاته ، حتى أنه يتصرف من غير أن يرقب عواقب ما وقع فيه ،

ومثل ذلك لا يمكن وصف الله به أبدا وإن وصف الله فلابد أن يكون ذلك الإله واحدا من البشر ، أو صنعه البشر بأنفسهم ، ومثل ذلك الإله لا يكون قادرا على الخلق والإيجاد ، ولا قادراً على الموت والحياة ،

بل ولا يكون له من أمر نفسه إلا الضعف والاستكانة والذل والخشوع ، وذلك ما يمكن وصف إله اليهود – ياهو ، ياهوه ، ألوهيم – وغيرهم به . ونحن المسلمون لا يمكن أن نتصور إلها يكون منزها ، وفي نفس الوقت أسيرا للإلف والعادة ، صنيعا للآراء الباطلة ، والأهواء المتحطمة ،

وإنما نؤكد أن ذلك من صنع الفكر اليوناني ، الذى تسرب إلى الفلسفة اليهودية ، ثم حرص كتابها على صبغه بالصبغة اللاهوتية ، فأودعوه في نصوص أوهموا العامة بأنها من عند الله نازلة ، وما هى إلا بنات أفكارهم الشيطانية ، وكتابة أيديهم غير النقية .

ﷻ قال تعالى ﴿ " فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا " ﴾[٢] .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١١٩ .

(٢) سورة البقرة الآية ٧٩ .

وقال أيضا ﴿ " فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به " ﴾[١] .

رابعا : الناحية الشرعية :-

وردت مادة " غ ي ظ " فى القرآن الكريم حوالى إحدى عشرة مرة ، ولكنها لم ترد منسوبة لله تعالى أبدا ، وإنما كل ما ورد من باب الأوصاف التى تتعلق بالمخلوق لا بالخالق[٢] .

- ونحن المسلمون نعتقد أن مصدر التشريع الإسلامى والعقيدة الدينية والقيم الأخلاقية واردة فى النصوص الدينية – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة –
- ونعتقد أن الله تعالى لا يمكن وصفه إلا بما وصف به نفسه ، لأنه لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله[٣] ، لأنه تعالى غيب عن عقولنا ، ولا تدركه على الحقيقة العقول ، وإنما تستدل بآثاره عليه ، فسبحانه وتعالى لا يعرفه إلا هو جل علاه .

وقد أثر عن كثير من أهل العلم والعرفان النهى عن الخوض فى الصفات الإلهية ، وكذلك النهى عن التفكير فى الذات الإلهية ، ففى الحديث الشريف ((" تفكروا فى آلاء الله ، ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا ")) [٤] ، وفى الأثر أيضا ((" تفكروا فى مخلوقات الله ، ولا تفكروا فى ذاته تعالى ، فإنه لا تحيط به القدر ")) [٥] .

وكان الصحابة – رضوان الله عليهم – ، وهم أجله ما كانوا يذهبون فى صفاته تعالى أو ذاته إلى التعلة ، باعتبار أن الأسماء المعللة هى التى يتواضع عليها أصحابها ، أما ما ينزل من رب العالمين ، فإنه حق كله ، صدق كله ، ما دام الأمر يتعلق بالمنزل .

---

(١) سورة المائدة الآية ١٣ .

(٢) الأستاذ / محمد فؤاد عبدالباقى – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – ص٥١٠ .

(٣) الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى – الطبعة السادسة ١٩٩٩م .

(٤) الإمام أبو حامد الغزالى – إحياء علوم الدين جـ٥ ص٨٨ .

(٥) المصدر السابق ص٨٨ .

كما أن علماء المسلمين جميعهم على إثبات التنزيهات لله سبحانه وتعالى ، ونفى الصفات السلبية عنه جل علاه ، ولا ينازع فى ذلك إلا أصحاب الفكر المنحرف ، الذين تقوم بضاعتهم على مجرد " نظن أو نزعم " ،

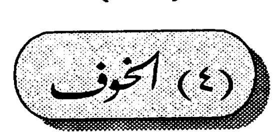
ﷻ قال تعالى ﴿ " إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون " ﴾[١] ، وقال أيضا ﴿ " كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا " ﴾[٢] .

❁ **وفى تقديرى** : أن الباحث لو حاول تتبع أوجه النقد لتلك الفكرة – إثبات الغيظ لله – لطالت الصفحات ، وكثرت المفردات ، واشتدت العواصف الباردة على ذلك الفكر الهزيل ، ونرى أن ما ذكر يكفى لدحض الفكرة .

وفى نفس الوقت فإنا نحاول أن نترك الفرصة لدارس آخر يجعل تلك النقطة هى مرتكز بحثه ، ثم ينبنى عليها ، بعد أن يعمل فيها ، ويردها إلى أصولها ، ويعمل على توسيع بحثه فيها .

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١٦ .
(٢) سورة الكهف الآية ٥



لم يقف كتاب العهد القديم عند حد وصف الله تعالى بما ذكرنا طرفا منه ، أو عرضنا الحديث عنه ، وإنما تشعبت خطوات القوم ، وكثرت معها ألوان الترحال التى طافت بأفكارهم ، وانطلقت مع عقولهم ، ولم تختلف فيها كتاباتهم حكاية أو تدوينا ، نقلا أو تصويراً .

والدارس لنصوص العهد القديم يرى أن الخوف قد جاء فيها كصفة من صفات الله تعالى ، فهو يخاف من غيره ، كما يخاف منه غيره ، حتى إن الخوف ليقع بينهما على سبيل المقاسمة ، وذلك يقتضى منا مسايرا للمنهج الذى سرنا عليه أن نبدأ بتعريف الخوف فى اللغة والاصطلاح على سبيل الإجمال ، ثم نعرض الفكرة عند اليهود من خلال النصوص التى يتمسكون بها :

(أ) فى اللغة :-

ذكرت مصادر العربية أن مادة " خ و ف " تأتى على العديد من المعانى يجمع بينها أن الخوف ((توقع حلول مكروه ، أو فوات محبوب)) [١] .

أو هو انفعال فى النفس يحدث نتيجة توقع ما يرد من مكروه ، أو فوات محبوب[٢] ، ولا يخفى أن المادة قد وردت فى القرآن الكريم حوالى سبع وعشرين مرة[٣] .

وعلى هذا فالخوف صفة من صفات النفس التى تقع لها عمليتا التوقع لمكروه ، أو انفلات محبوب ، وتلك النفس لابد من أن تكون متميزة بالعقل الناضج ، والفكر الثاقب ، والقدرة على التميز بين المكروه والمحبوب ، ولذا فإن الصغار والبلهاء والنائمين يدخلون فى نطاق ذلك التعريف للخوف .

---

(١) العلامة الجرجانى – التعريفات – باب الخاء ص٩١ .

(٢) المعجم الوجيز – باب الخاء ص٢١٤ .

(٣) الأستاذ / محمد فؤاد عبدالباقى – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

(ب) فى الاصطلاح :-

كثرت تعريفات المتناولين للخوف على الناحية الاصطلاحية ، ونحن سنقطف منها ما نرى الحاجة ضرورية إليه ، لأن كثرت التعريفات ربما لو ذكرناها يظن أن البحث فى الخوف على الناحية اللغوية والاصطلاحية ، وليس على ناحية المقارنة التى يعنى بها دارسوا الأديان ،

وسيكون ذلك الاقتطاف كما يلى :

[١] الخوف : هو انفعال فى النفس ، يحدث لتوقع ما يرد من المكروه ، أو يفوت من المحبوب ، يترتب على ذلك تألم القلب ، واحتراقه ، وانزعاجه ، وقد يكون الخوف عن جرم وقع(١) ، أو جريمة ارتكبت ، أو مصلحة انقضت .

◆ وهذا التعريف أقرب ما يكون إلى المصطلح اللغوى ، لأنه حمل ذات التعريف اللغوى ، ثم توسع فيه دون أن يكشف عن طرائق الانفعال ونوعياته ، وهل هو انفعال فطرى أو مكتسب ، أو هو انفعال مرتب مقصود كانفعالات التى يحدثها أصحابها لتغطية مواقف بعينها .

[٢] هو انفعال فطرى تجاه الخطر ، يدفع صاحبه إلى الابتعاد عنه ، أو الهرب منه(٢) .

◆ وهذا التعريف أراه قد ركز على جانب من أحد الجوانب ، التى انطلق منها التعريف اللغوى ، فهو تعريف على ناحية واحدة ، ومثله لا يكون جامعا بقدر ما هو معبر عن انفعال معين يقعُ رغبة فى تفادى الخطر ، ولم يلتفت إلى ما يحقق المصلحة ، ولذا فإنى أراه تعريفا قاصرا عن الوفاء بالغرض الذى من أجله يأتى

---

(١) الدكتور / جبر عز الرجال السيد أبو زيد - خصائص النفس الإنسانية فى القرآن الكريم ص١٥٤ - الطبعة الأولى - مكتبة الإيمان ١٩٩٨م .

(٢) الأستاذ / سميح عاطف الزين - علم النفس ومعرفة النفس الإنسانية ص١٦١ .

التعريف ، لأن العلماء اجتمعوا على أن التعريف الصحيح هو الذى يوضح المعرف ويبينه كأنه صفاته الضرورية(١) .

[٣] هو انفعال يسيطر على قلب الإنسان فيجعله يلوز بالعزلة أو الفرار ، لشعوره بالضعف الشديد أمام من يخافه(٢) ،

❁ **وفى تقديرى** : أن التعبير بالانفعال قد يكون مقبولا على الناحية اللغوية ، لكن على الناحية الاصطلاحية ، فلو استبدل بلفظ حال لكان أيسر قبولا ، وأكثر انطباقا من غيره .

❁ **ونحن نرى** : أن " الخوف " حال ترد على النفس الإنسانية ، تدفعها للتحفظ والاحتراز تحقيقا لمصلحة ، أو دفعا لمفسده ، سواء كانت أسبابها معروفة ، أو اعتصمت برحم الغيب .

❁ **عرض المسألة فى العهد القديم :**

يذكر سفر التكوين أن الله أمر يعقوب أن ينتقل من مكان إلى مكان ، وأن يطهر نفسه ويقيم مذبحا تطيبا لخاطر الرب الذى ظهر له ، وأنجاه من وجه عيسو أخيه ، وأمره كذلك أن يبتعد عن كافة الآلهة الغريبة ، ويلزم من كان معه بها ، فقاموا وتطهروا وأبدلوا ثيابهم ، ثم أقاموا مذبحا للرب قائما على الأمر الطبيعى ،

وفى نفس الوقت فإنهم تخلصوا من الآلهة الغريبة والأقراط الذهبية . ثم أعطوها ليعقوب الذى طمرها واستودعها فى مكان مأمون ، وفى نفس الوقت رحلوا ، لأن الله خاف على المدن التى حولهم ، إن لم يلتزموا ، فقد يقع الغضب عليهم ، وحينئذ تخرب تلك المدن بأيدى الرب ، أو بأيدى أعدائهم .

---

(١) الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – الغزاليات فى منطق التصورات – باب التعريف ص٥١١ – الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م – مطبعة آل بسيونى .

(٢) الدكتور / محمد عبدالعاطى إبراهيم – الصحوة فى علم النفس الدعوة ص٧٥ – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

يقول سفر التكوين : ((فـأعطوا يعقـوب كـل الآلهـة الغريبـة التـى فـى أيديـهم ، والأقراط التى فى آذانهم ، فطمرها[١] يعقوب تحت البطمة ، التى عند شكيم ، ثم رحلوا ، وكان خوف الله على المدن التى حولهم ، فلم يسعوا وراء بنى يعقوب)) [٢] .

ولم يعد هذا الشعب ملتزما ، وإنما غير وبدل حتى أغضـب الـرب وأغاظـه ، فقـرر الرب التخلص من ذلـك الشـعب عـن طريـق إسـقاطهم فـى الهاويـة ، أو تحريـق الجبـال عليهم ، وجمع الشرور من حولهم ، وإنفاذ الأسهم فيهم ،

ولكنه خاف أن يشمت فيه خصومه الذين ينتظـرون بشـعب الـرب مـا ينتظـرون ، ولولا خوف الله من الفضيحة والشماتة التى سينقلب بها العـدو فرحـا ، لأوقـع بـهم مـا لا يحمده عقباه ، لأنها أمة عديمة الرأى ، لا بصيرة فيها ، ولا عقـل لأصحابـها ، بجـانب أن الفطانة منزوعة منهم .

يقول سفر التثنية : ((وأرسل فيهم أنياب الوحوش مع حمـة زواحـف الأرض مـن خارج السيف يثكـل ، ومـن داخـل الخـدور الرعبـة ، الفتـى مـع الفتـاة ، والرضيـع مـع الأشيب ، قلت أبددهم إلى الزوايا ، وأُبطل الناس ذكرهم ، لو لم أخـف مـن إغاظـة العـدو من أن ينكر أضدادهم من أن يقولوا يدنا ارتفعت ، وليس الرب فعل كل هـذه ، إنـهم أمـة عديمة الرأى ، ولا بصيرة فيهم[٣] .

ويبدو أن خوف الرب قد استُبد به ، فكلما أغاظوه ، وحاول التنفيس عـن مشـاعره الدفينة ، خاف على المدن التى أنشأوها والأسر التى أحبها الشعب ، الذى حرص عليه ،

وذلك المعنى هو تصوير حسى لما يقع فى دنيـا النـاس ، لا علـى سـبيل التحـوط ، وإنما على سبيل الالتفات حول الأمر الواقع ، أو الأمر المتوقع خشية أن تقع الشـماتة ، أو

---

(١) طمر الشيء طمرا ستره ، حيث لا يدرى أو لا يرى والبئر ردمها - المعجم الوجيز ص٣٩٤ باب الطاء .
(٢) العهد القديم - سفر التكوين - الإصحاح ٣٥ - فقرات ٤/٧ .
(٣) العهد القديم - سفر التثنية - إصحاح ٣٢ - فقرات ٢٥/٢٩ .

يحيق المكروه ، أو تنقلت أسباب المنفعة فتلتوى الأمور ، وتنهض من الفترات أقدام العورات .

مناقشة المسألة :-

من الثابت أن التراث اليهودى قائم على إثبات التجسيد لله فى الذات والصفات والأفعال ، وأنهم صنعوا صورة اعتبروها مثالية لأرقى مظاهر الإنسانية ، ثم حاولوا تطبيقها على الله سبحانه وتعالى بكل ما فيها من نقص أو كمال ، وما حولها من إعمال أو إهمال ،

وذلك يستدعينا مناقشتها طبقا لما هو متوافر لنا من معلومات نجعلها فيما يلى :-

- أولا : أن لفظ الخوف سواء كان حالة من حالات النفس ، أو انفعال يقع للنفس ، فإن فكرة السببية[١] ، والعلية[٢] ، قائمة فيه ، كما أن فكرة تفادى المكروه[٣] ، أو تحقيق المنفعة[٤] ، تجرى بين جنباته ،

وبالتالى فهى لا تناسب الخالق جل علاه[٥] ، وإنما تناسب المخلوق باعتبار أن المخلوق مملوك[٦] ، المنافع تحقق له مصالح ، والمفاسد توقع عليه ، أما الله سبحانه

---

(١) السببية : هى العلاقة التى تربط بين السبب والمسبب عن طريق التلازم فى الوجود ، أو العدم ، سواء على سبيل القبول أو الرفض ، لأن السبب يعرف بأنه ما يتوصل به إلى المقصود ، كما يعرف فى الشريعة بأنه « عبارة عن ما يكون طريقا للوصول إلى الحكمة » - العلامة الجرجانى - التعريفات باب السين ص١٠٣ ، وراجع السببية فى الفكر الإسلامى - دكتور عبدالعزيز سيف النصر .

(٢) العلية : هى كون الشيئين مترتب أحدهما على الآخر ، ويتم ذلك فى العلاقات الذاتية والإضافية ، كعلاقة الأبوة والبنوة ، فإن الأبوة علة فى البنوة وانقسام العدد الرباعى إلى زوج .

(٣) هو أحد جوانب تعريف الخوف على ما ورد فى اللغة .

(٤) تحقيق المنفعة هو الجانب الثانى من جوانب تعريف الخوف طبقا لمفاهيم اللغة .

(٥) تقرر بين المسلمين جميعا أن الله تعالى لا يستفيد بطاعات الطائعين ، ولا يتضرر بمعاصى العاصين .

(٦) المخلوق مملوك لخالقه ، فهو الذى أوجده من العدم ، وهو الذى منحه الحياة ، وهو الذى سيلقيه فى العدم ان شاء مرة أخرى ، وهو الذى يبعثه للعرض والحساب ، ثم هو فوق ذلك يمده بأسباب الحياة كلها ، أو يمنعها عنه كلها أو يمده ببعضها ، ويمنع عنه بعضها والناس فى سعيهم الكسب إنما يحاولون الموائمة بين ظروف الحياة وإمكانياتهم الذاتية - راجع الأستاذ / عبدالكريم الخطيب - القضاء والقدر ص٢١ - طبعة دار الفكر العربى ١٩٦٧م ، وراجع الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى للدكتور محمد الغزالى .

وتعالى فهو المالك ، وليس هو المملوك ، وشأن المالك أن لا يوصف بشيء من ذلك أبدا .

• ثانيا : أن الخوف يمثل بالنسبة للخالق علة ، والله سبحانه وتعالى منزه ، فأفعاله تعالى فيها الحكمة ، ولكنها غير معللة بعلة راجعة إلى الله ، وإنما فيها حكما ومصالح ترتد إلى أصحابها ، الذين تقع لهم المصالح ، أو تبتعد عنهم المفاسد لقوله تعالى ﴿ " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " ﴾[١] ،

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن معنى الآية الكريمة ، ﴿ " وما خلقت الجن والإنس " ﴾ ، وهم ضمن المخلوقين إلا وأمرتهم بتوحيدى وتنزيهى وعبادتى ، فمن أطاعنى فهو من أهل الجنة ، ومن عصانى فهو من أهل النار[٢] ،

وذهب شيخ الإسلام ابن تيميه إلى أن أفعال الله معللة ، وفسر العلة بالحكمة وفعل الصواب ، وهو بهذا لا يختلف عن غيره من مفكرى الإسلام ، إلا فى الاستعمال اللغوى فقط ، وهو استعمال لفظ العلة بمعنى الحكمة والعناية ، ونعم ما فعل الرجل فقد عبر عن وجهة نظره دون أن يخالف القاعدة العامة[٣] .

• ثالثا : أن مسألة الخوف تقع عند من يجهل الغيبيات ، فهو الذى يخشى النتائج ، وفى نفس الوقت فهو لا يستطيع اختراق الحجب ، حتى يعرف ما وراءها ، وذلك شأن الإنسان ، وليس شأن الله ، لقوله تعالى ﴿ " الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال " ﴾[٤] .

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦ .

(٢) الدكتور / محمد أبو النور – عصمة الأنبياء ودفع الشبه الواردة عليهم ص٨٧ – مطبعة الأمانة – طبعة أولى ١٩٧٩م .

(٣) الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام جـ٢ ص٩٥ – الطبعة الثالثة – دار التوفيق ١٩٩٤م .

(٤) سورة الرعد الآيتان ٩/٨ .

۞ **وفى تقديرى** : أن تجسيد الخوف ، ونسبته إلى الله تعالى على ما صنع كتاب العهد القديم ، إنما هو تعبير عن الواقع الأليم الذى عاش فيه القوم أيام محنتهم ، التى صنعوها بأيديهم ، وتمثل فصولا مأساوية فى حياتهم التى عرفت عنهم ، فهم قد عاشوا الذلة ، والمسكنة ، وعبدوا المادة والمنافع ، وخافوا المخاوف ، ولما كان زعمهم أنهم أبناء الله ، فقد حاولوا نسبة تلك الأوصاف الذميمة إلى الله – تعالى عن قولهم علوا كبيرا – حتى تكون نوعا من الميراث الذى ورثه الأبناء من الآباء ، وانتقل من الآباء فى سلم التاريخ الماضى ، حتى وصل من عند الرب[1] .

ولا يخفى عن دارسى مقارنة الأديان أن تلك الأفكار يمكن قبولها ، بالنسبة للمخلوقين ، ولا يمكن قبولها بالنسبة لله رب العالمين ، لما سبق القول به من أنه لا يجوز أن ينسب لله ما لم يرد به نص معصوم ،

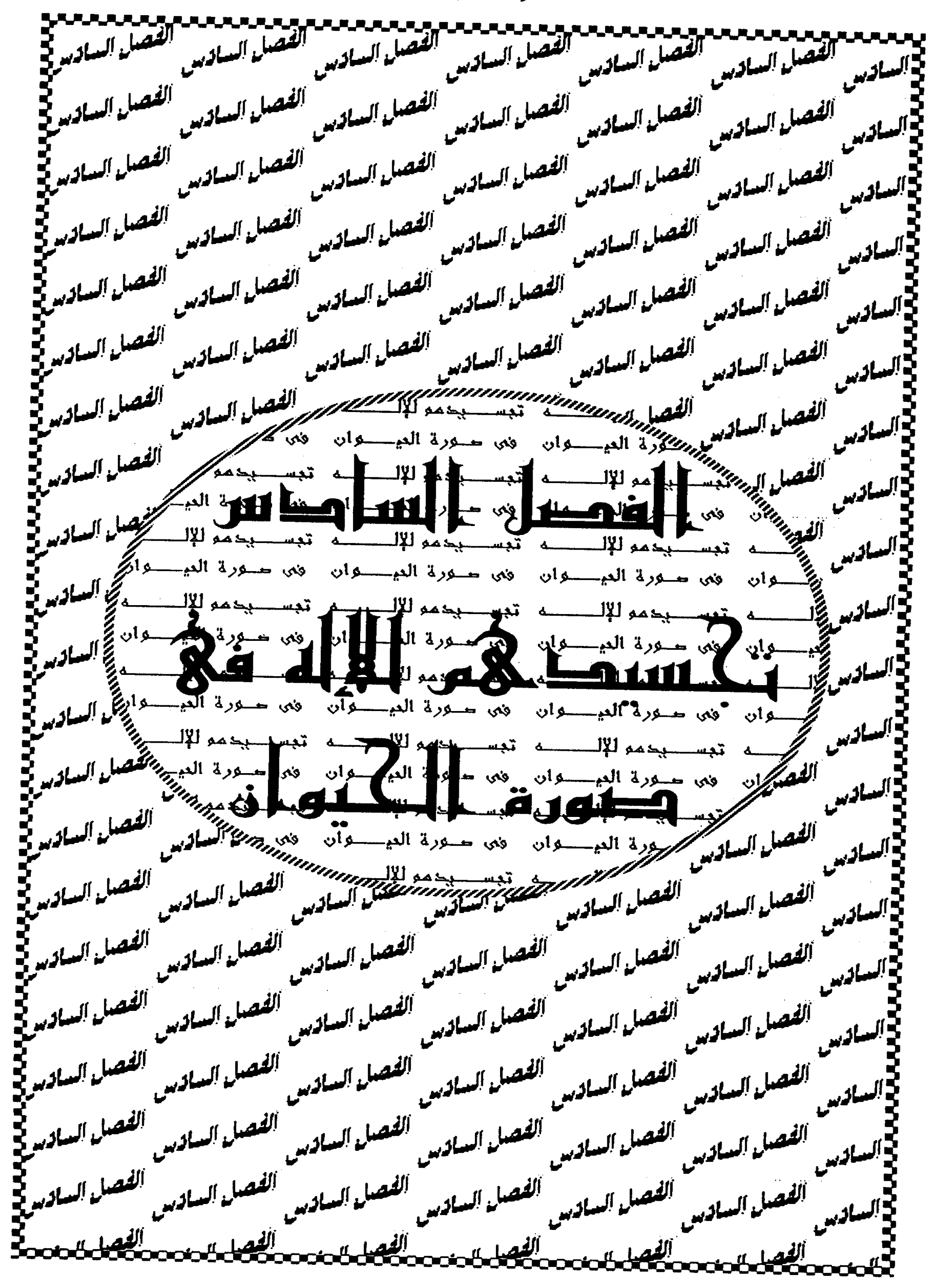
وفى نفس الوقت فإنه لا يجوز شرعا أن ينسب لله ما يمكن أن يقترب من دائرة الكمال الإلهى على سبيل الإنقاص ، فذلك مما يرفضه الدين الصحيح ، والعقل السليم ، والخلق القويم ، وهو شأن المسلمين الذين يعيشون فى طاعة الله رب العالمين .

أما الفكر اليهودى فيكفيه أنه اعترف بانقطاع نسبته إلى الله ، وبخاصة أنه نسب لله ما فيه أوجه النقصان كلها ، وهو كذلك دليل على أن الفكر اليهودى قد ارتضع الثقافة الإغريقية ، التى كانت تبحث عن الله فى المادة الصماء ، ثم تصف تلك المادة بصفات البشر أو الله .

كما أن اليهودية قد قبست من الفكر الصينى والهندى تأليه أجزاء الطبيعة ، ووصفها بما يجرى مثله فى العقل الإنسانى ، وذلك مما يتنزه عنه خبر السماء ، فثبت أن دعاة اليهودية لا سند عندهم ، ولا فكر مستقيم لديهم ، وإن إلههم هو خيال أسطورى صنعته ضمائر ساذجة ، واستقبلته عقول حائرة ، فنبت من بينها نبت هولامى غير معروف الهوية .

---

(١) أ-ب- بتوستا – دراسات فى الفكر اليهودى ص٢٢٠ – ترجمة ناهد يسرى – طبعة دار الرشيد ١٩٧١م ، وراجع أثر البيئة فى القاديانية – الدكتور / محمد شامة – دار الفكر العربى .


الفصل السادس
تجسيدهم الإله في صورة الحيوان

تجسيدهم الإلهي في صورة الحيوان

أولا : العجل

تمهيد

اضطربت أقوال المؤرخين فى مفهوم تجسيد الإله لدى اليهود على الناحية التى ترد فى صورة الحيوان ، وبخاصة " العجل " ، وهذا الاضطراب مرجعه إلى الحكايات المنقولة عندهم ، ومحاولة التوفيق بين تلك الحكايات المنقولة ، والواقع المعاش لدى اليهود ،

ولكن ذلك التوفيق بين الروايات لم يحالفه التوفيق فى النتيجة ، باعتبار أن سبق القوم على غيرهم فى تلك العقيدة[1] ، أو سبق غيرهم لهم فى نفس الاعتقاد غير مقطوع به على وجه اليقين العلمى ، أو التوثيق المقبول فى مجال مقارنة الأديان ، ومن ثم فإن أقوال المؤرخين تضرب بعضها بعضا ، ويسقط كلا منها الآخر ، ولسنا – هاهنا – فى حاجة إلى تناولها ، لأن ذلك من عمل المؤرخين ، لا من طبيعة علم مقارنة الأديان .

وحيث انتهينا إلى ذلك الرأى ، فسوف لا نعتمد فى تصوير آرائهم إلا على نصوص العهد الذى اتفقوا – فيما بينهم وأذاعوه على الناس – أنه المصدر الوحيد الموثق الذى يحمل نصوصهم فيما يتعلق بأمورهم الاعتقادية والأحكام المتعلقة بها ، لأن ذلك هو المنهج المعتمد ، وإلا كنا كمن يبحث عن اتهامات يلفقها لآخرين ، وذلك ما يبتعد تماما عن منهج مقارنة الأديان .

والمطالع للفكر اليهودى يرى أنهم كغيرهم ممن ابتعدوا عن شرع الله ، والتزموا عقولهم وحدها ، حتى ذهبوا فى تصور الذات الإلهية حين حاولوا تجسيدها فى قوالب

(١) من المعلوم أن اليهودية بعد موسى عليه السلام تقوم على عقائد كثيرة منها " عقيدة تجسيد الإله ، وعقيدة الاصطفاء ، وعقيدة شعب الله المختار ، وعقيدة البنوة لله " وغيرها من العقائد .

مادية يحسونها بحواسهم ، ويخالطونها مخالطة الأهل والعشيرة ، وكان من ذلك ((أن نزل مستوى الإله – عندهم – إلى حيث لم يكن لله مكان للاحترام عندهم)) [(١)] .

ولم يفترق المنتسبون لليهودية عن تلك الأفكار ، بل ربما كانوا من أكثر الناس اندفاعا إليها ، وحرصا على القيام بها لا كعبادة ، وإنما باعتبارها عقيدة ثابتة جاءت بها النصوص الدينية عندهم ، كما برعت تلك النصوص فى تقديم تصورات للإله على ناحية التماثل بينه وبين الكائنات الحية ، ومنها " العجل "[(٢)] .

ويبدو أن عقيدة تصور الإله فى صورة العجل قد بلغت من عناية القوم أن أكثروا منها ، ودفعوا أتباعهم إلى اعتقادهم ، ثم عبادتها ، وأن العجول المؤلهة لديهم كانت إذا ماتت حزنوا عليها حزنا شديدا ، وبثوا لها لواعج الشوق ، ونوازع الفراق ، وأظهروا الحزن الدفين ، وعبروا عنه بالمظاهر التى تميزوا بها ، باعتبار أنه الإله المتجسد نفسه[(٣)] .

ربما يقال إن معايشة اليهود الأقدمين للمصريين ، هى التى دفعتهم إلى الاعتقاد فى وجود الإله على هيئة عجل ، لأن المصريين كانوا يعبدون العجل أبيس ، ويعتنون عناية كبيرة بكل العجول المؤلهة ((لدرجة أنه كان إذا ماتت حنطوها ، كما يحنط الآدمى ، بما يحفظ جسمها من التلف ، وربما دفنوها فى مقبرة خاصة بجهة سرابيوم)) [(٤)] .

ولكن هذا القول غير موثق عندنا ، بل إن الواضح من النصوص الدينية عندهم هو أن عقيدة تجسيد الإله قد وردت فى كتبهم أنفسهم التى يعلنونها ويحتفظون بها ، وأن العجل كان إله ضمن الآلهة المتعددة التى ظلوا على الاعتقاد فيها قائمين ، وما يزالون .

بل إن النصوص الموجودة بالعهد القديم تعطى تصورات عن الاعتقاد اليهودى فى العجل ، وأنهم جعلوه أولا " عجلا واحداً " لشعب إسرائيل كله ، ثم طوروا – بعد

(١) الأستاذ / عبدالكريم الخطيب – قضية الألوهية بين الفلسفة والدين ص٣٠٣ – دار المعرفة – بيروت – الطبعة الثالثة ١٩٧٥ .

(٢) العجل : ولد البقرة ، والجمع عجول – المعجم الوجيز ص٤٦٠ – مجمع اللغة العربية ١٩٩٤م .

(٣) الأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – اليهودية من الأرض إلى الاعتقاد ص١٢١ طبعة أل بسيونى ١٩٩٧م .

(٤) الأستاذ / محمد ندا – جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع ص٣٨ – دار اللواء – الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

التوسع – فجعلوه عجلين أحدهما للملك والآخر للشعب ، فى بيت أقدم قضاته ، ثم استمر ذلك التطوير ، حتى انتهى بهم إلى عجول كثيرة ، صارت بمثابة عجل لكل أسرة ، بل لكل فرد من أفراد الأسرة ، وهو ما يعرف باسم الإله العجل الخاص ، وذلك يقتضى منا عرض الفكرة ، ثم مناقشتها على النحو التالى :-

(أ) عرض المسألة :-

يذكر العهد القديم فى سفر الخروج أن بنى إسرائيل قد خرجوا من مصر هربا من كيد فرعون ، وأن الله نجاهم ، وجعل موسى قائدا عليهم ، بجانب كونه نبيا ، إلا أنهم ادعوا قلب الصحراء ، وكلم الرب موسى أن يبلغ بنى إسرائيل ، باعتبار يوم السبت عطلة مقدسة للرب ، وكذلك لشعب الرب ، وأن موسى تكلم فى جبل سيناء ، وقد منح من الرب ألواحا مكتوبة .

غير أن موسى ذهب إلى ربه لأستلام تلك الألواح من فوق الجبل ، ويبدو أنه تأخر عنهم كثيرا ، وهم قد استبطئوه ، وهنا اجتمعوا كشعب مع هارون[1] ، كخليفة لموسى ، وقالوا له اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، حتى نعرف طريق النجاة ، وبخاصة أننا فى مرحلة انتقالية ، كان قائدنا فيها موسى ، وهو الذى أصعدنا من أرض مصر[2] ،

ويبدو أن هارون قد حاول استقطابهم[3] إليه ، فطلب منهم أن ينتزعوا حليهم ، سواء كانت أقراطاً ذهبية ، أو غيرها ، مما يتحلى به بنو إسرائيل ، وبخاصة النساء والبنات ، وقد استجاب الشعب لما طلب هارون ، فأخذ إزميله وحفر فى الأرض ، ثم صور

---

(١) هذا يختلف تماما مع الأقوال الموثقة ، والروايات المؤكدة ، كما ان القرآن الكريم بين أن هارون كان لموسى وزيرا ، وأن الله منحه الرسالة ، فصار نبيا ، وليس شأن النبى أن يخالف تعاليم الإله جل علاه ، قال تعالى ﴿ " قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى وأحلل عقدة من لسانى يفقه قولى واجعل لى وزيرا من أهلى " ﴾ سورة طه الآيات ٢٥/٢٩ .

(٢) راجع سفر الخروج إصحاح ٣١ ، ٣٢ .

(٣) نحن لا نتفق معهم فى هذا الرأى ، وإن كنا نصوره ، كما حملته نصوص العهد القديم عندهم ، لأن الله بعث رسله أكمل الناس خلقا وخلقا ، وجعلهم متميزين عن غيرهم بالرسالة أيضا ، ومن كان هذا شأنه فلن يميل إلى غير الله أبدا .

من الذهب المنصهر صورة عجل ، وقال لهم إن هذا العجل هو رمز لآلهة إسرائيل ، التى طلبوها ،

وأقام بنو إسرائيل لهذا العجل مذبحا ، وجعلوا له عيدا كلا منهم يبكر فى الذهاب إليه ، ويقدم ذبائح باسمه[1] ، وصار ذلك اليوم عندهم يُعرف بعيد الرب أو يوم الرب .

يقول سفر الخروج : ((فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب ، التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم ، وأتونى بها ، فنزع كل الشعب)) [2] .

وقد استمر القوم على الاعتقاد فى أن العجل الذى صُنع لهم ، إنما يمثل صورة الإله ، إلا أن موسى لما انتهى من كلامه مع الرب ، قال له ربه انزل واذهب إلى هذا الشعب الذى قد أصعدته من أرض مصر ، لأنه قد فسد ،

وأن أفراده قد ضلوا عن الطريق الذى سلكت بهم ، وأنهم صنعوا عجلا فاعتقدوه إلها ، وسجدوا له ، وعبدوه ، فهو شعب صلب الرقبة ، لا تنفع فيهم موعظة ، وإنما يرده إلى الصواب العنف والقسوة ، فإذا حمى غضبى عليه ، أنزل به العقوبة المناسبة من الغضب ، أما أنت فتبقى عظيما)) [3] .

إلا أن موسى تضرع إلى الرب ، واستطاع أن يثنيه عن غضبه ، ويجعله يندم على الشر الذى فكر فيه ، وذكره بالعهود التى قطعها على نفسه ، فندم الرب وانصرف موسى إلى الجبل ومعه اللوحان المكتوبان اللذان صنعهما الرب وكتبهما ،

ولما اقترب موسى من المكان الذى ترك فيه شعبه عندما هم لملاقاة ربه أبصر العجل الذى صنعوه والرقص الذى يقومون به تقديرا للعجل وفرحا بصناعته ، فحمى

---

(١) المهندس أحمد عبدالوهاب - النبوة والأنبياء فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص٤٦ - مكتبة وهبة - الطبعة الأولى ١٩٧٩م

(٢) العهد القديم - سفر الخروج - إصحاح ٣٢ عدد ٥/٧ .

(٣) راجع سفر الخروج إصحاح ٣٢ عدد ١٢/٧ .

غضب موسى ، وطرح اللوحين من يديه وكسرهما فى أسفل الجبل ، ثم أخذ العجل الذى صنعوه وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما ، وذراه على وجه الماء[1] .

ويسترسل العهد القديم فى تجسيد الإله ، وإظهاره فى صورة العجل ، لكنه هذه المرة لا يحصره فى عجل واحد ، وإنما يقدم نموذجين ، كلا منهما على صورة العجل ، فيذكر سفر الملوك الأول أن أحد الملوك قرر فى نفسه أن يعيد بنى إسرائيل إلى النظر فى الألوهية المجسدة مرة أخرى ، وذلك بصنع عجلين من ذهب ، يقوم أفراد الشعب بتقديم ذبائح لهما فى بيت الرب ، وقد صنع الرجل حيث استشار من يثق فى رأيه ، فأشاروا عليه بعمل عجلين من ذهب ،

وقال لهم هو ذا آلهتكم الذين أصعدوكم من أرض مصر ، وقد جعل كل من العجلين فى مكان غير الآخر ، وكان الشعب يذهبون إلى كلا منهما فى المكان الذى يقيمان فيه ، فيذبحون عندهما ، ويشهد القرابين الكهنة[2] ، الذين خصصوا لتلك الخدمة .

يقول سفر الملوك الأول : ((هكذا فعل فى بيت إيل بذبحه للعجلين اللذين عملهما ، وأوقف فى بيت إيل كهنة المرتفعات التى عملها ، وأصعد على المذبح الذى عمل فى بيت إيل فى اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن فى الشهر الذى ابتدعه من قلبه ، فعمل عيدا لبنى إسرائيل ، وصعد على المذبح ليوقد)) [3] .

((ولكن طائفة لاويين لم يقبلوا أن يقوموا بهذا الدور فى خدمة تلك العجول بوظيفة كاهن ، وحينئذ اضطر الملك أن يقيم كهنة للمرتفعات ، التى يوجد فيها عجول الذهب المعبرة عن العقيدة المتجسدة ، لأن " اللاويين " تركوا مسارحهم وأملاكهم ، وانطلقوا إلى

---

(١) راجع سفر الخروج إصحاح ٣٢ عدد ١٩/٢٠ .

(٢) الكاهن هو خادم دين ، وفى اصطلاح الكتاب المقدس هو الشخص المخصص لتقديم الذبائح ، وكان كل الأفراد قبل النظام الموسوى يقدمون الذبائح كنوع من الكهنوت ، ثم انحصر اختيارهم فى كل ذكر من ذرية هارون ، بشرط أن لا يكون فيه عيب أو تشويه جسدى - قاموس الكتاب المقدس ص٧٩١ .

(٣) سفر الملوك الأول - إصحاح ١٢ فقرة ٣٢/٣٤ .

يهوذا وأورشليم ، لأن .بريعام وبنيه رفضوهم من أن يكهنوا للرب ، وأقام - .بريعام - لنفسه كهنة للمرتفعات وللتيوس وللعجول الذى عمل)) [١] .

وبالتالى فقد صار العجلان اللذان صنعهما .بريعام آلهة كلا منهما يخص طائفة بعينها ، ولمكان معين بحيث إذا قسمت مملكة بنى إسرائيل ، من حيث الاعتقاد وقعت بين أحد العجلين اللذين يمكثان فى طرفى المملكة .

وقد امتد هذا التصور لتجسد الإله ، حتى تعدد بشكل لافت للنظر ، بحيث صار لكل جماعة عجل يعبدونه ويهتدون به ، ويقدمون له القرابين والذبائح ، فكأنه رب مستقل ، أو إله لكل فرد على حده ، فإذا تلاقت صارت كلها تجسدات للإله الأكبر ، وإذا تفرقت كان كلا منهما إلها مستقلاً .

يقول سفر أخبار الأيام الثانى : ((ولأن أنتم تقولون إنكم تثبتون أمام مملكة الرب بيد بنى داود ، وأنتم جمهور كثير ومعكم عجول ذهب قد عملها .بريعام [٢] ، لكم آلهة ، أما طردتم كهنة الرب بنى هارون واللاويين وعملتم لأنفسكم كهنة كشعوب الأرض ، كل من أتى ليملأ يده بثور ابن بقر وسبعة كباش ، صار كاهنا للذين ليسوا آلهة [٣] .

والملاحظ أن هؤلاء القوم قد اتفقوا على تقديس العجل وعبادته بعد تأليههم له ، واعتباره مظهرا من مظاهر وجود الله بينهم ، أما خلافهم فقائم فى نوع الخدمة التى تقدم لذلك الإله العجل ، وأيضا نوع الكهنة الذين يقومون بخدمته ، أو يحجبون عن تلك الخدمة الكهنوتية ، أما غير ذلك فلا يوجد خلاف واضح بينهم فى تصويره أو الإبقاء عليه .

---

(١) أخبار الأيام الثانى الإصحاح ١١ فقرة ١٦/١٤ .

(٢) هو اسم عبرى معناه يكثر الشعب ، وهو ابن ناباط من سبط إفرايم ، وهو الملك الأول فى المملكة الشمالية بعد انقسام مملكة سليمان ، وملك حوالى ٢٢ سنة ، وهو الذى صنع العجلين ، وأمر بعيد الحصاد - قاموس الكتاب المقدس ص١٠٥٩ .

(٣) أخبار الأيام الثانى - إصحاح ١٣ فقرة ١٠/٨ .

بل استمر ذلك حالهم مع كل أنبيائهم ، حتى قيل ((كان اليهود أشد الناس إلحافا على أنبيائهم فى طلب الإله المجسد ومشاهدته ذاتا مجسدا فى وضح النهار[١] ، ولم يكن فى رغبتهم التخلى أبدا عن تلك الفكرة ، سواء مما قام بصناعته لهم هارون[٢] ، أو أحد الملوك ، أو أحد أفراد الشعب .

يقول أحد الباحثين : ((استطاع رجل ماكر منهم استغلال تلك الغيبة ، التى غابها موسى عن بنى إسرائيل ، ليلقى أمر ربه ، فجاء لهم بعجل له خوار ، وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى نسيه هنا وذهب لملاقاته فى الغيبة الطويلة ، واقتنع القوم بقوله وأعطوا هذا الرجل – وكان اسمه السامرى – بعض حليهم ، فألقاها فى النار وسبك منها عجلا من ذهبا راحوا يعبدونه ويعتبرونه ربهم))[٣] .

وقد استمر بنو إسرائيل على ذلك الحال من التداعى نحو العجول واعتبارها آلهة مقدسة ، بحيث تأكد القول بأن ((بنى إسرائيل كانوا يعبدون العجول المقدسة بعد خروجهم من مصر بطويل زمن[٤] ،

وقد استمرت تلك لم تنقطع لأنها طبيعة معهم ، لا تكاد تفارقهم ، وآية ذلك ما وجدناه فى نصوصهم بشكل لافت للنظر ، مما يجعل إغماض العين عنه أمرا غير مقبول ، وسيستمر ذلك الأمر معهم طالما استمرت نفس الأفكار محفوظة بذات النصوص تتردد حينا بعد حين .

(ب) مناقشة المسألة :-

المطالع للعهد القديم وتاريخ الفكر اليهودى يلاحظ أن تجسد الإله عندهم قد استغرق فقرات كثيرة ، واستنزف طاقات كبيرة ، وذلك يؤكد مادية القوم وبلوغهم فيها حد الإغراق ، فلم يعد من الصعب القول بأنهم " عبدوا صنما أبكم لا يسمع ولا يفهم[٥] .

---

(١) الأستاذ / عبدالكريم الخطيب – قضية الألوهية بين الدين والفلسفة ص٣٠٨ – دار المعرفة بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٥م .

(٢) هذا ما يؤكد عليه وتتمسك نصوصهم به ، ونحن لا نوافقهم الرأى ، بل نرفض أن يكون نبى الله هارون قد قام بشيء من هذا أبدا .

(٣) الأستاذ / سليمان مظهر – قصة العقائد بين الأرض والسماء ص٣٠٠ – دار النهضة العربية ١٩٦٢م .

(٤) الدكتور / جوستاف لوبون – اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص٦١ – تعريب عادل زعتر – طبعة عيسى البابى الحلبى سنة ١٩٧٠م .

(٥) الأستاذ / عبدالرحيم فودة – قصة بنى إسرائيل من معانى القرآن ص٧٢ – الدار القومية للطباعة .

وفى نفس الوقت صار من المؤكد أنهم جعلوا هذا التجسد مظهرا للرب إلههم ، ولكنهم لم يهتموا بمن الذى صنع سواء كان الصانع الأول للعجل – حسب قولهم – هو هارون الذى تولى بنفسه صناعة هذا العجل من الحلى ، وبنى له مذبحا ، وقال غدا عيدٌ للرب[1] ،

أو كان الذى تولى صناعته يربعام حتى ((يبعد أتباعه عن الانجذاب الدينى نحو هيكل أورشليم ، وذلك بإنشاء هيكل ملكى خاص فى شمال مملكته ، وآخر فى جنوبها)) [2] .

أو كان أفراد الشعب هم الذين صنعوا تلك الآلهة ، وتمسكوا بها ، أو كان ذلك الأمر قد صنع لهم ، المهم أن هذا التجسد للإله عندهم تم من أيام موسى عليه السلام ، لأنه ((لم يكد يتركهم ذاهبا لميقات ربه ، حتى تداعوا إلى عبادة العجل الذى اتخذوه من حليهم)) [3] .

ونحن نناقش تلك الفكرة على النحو التالى :-

أولا : الناحية التاريخية :-

ذكرت المصادر التاريخية أن أقواما كثيرين شاركوا اليهود تأليه الكائنات الحية ، وجعلها رمزا للألوهية ، سواء كان ذلك لدى المصريين ، أو غيرهم فى عصور ما قبل التاريخ ،

وأن أغلب المصريين قد شاركوا اليهود فى الاستقلال بعبادة العجل الذهبى ، ولم يستطع موسى عليه السلام أن يقتلع من نفوس قطيعة الرغبة المستمرة فى عبادة العجل الذهبى ((لأن عبادة العجول كانت لا تزال حية فى ذاكرتهم منذ كانوا فى مصر ، وظلوا زمنا

---

(١) الدكتور / إبراهيم عبدالحميد سلامة – القرآن وعقائد أهل الكتاب ص١٤٢ – رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين القاهرة .

(٢) أندرية لومير – تاريخ الشعب العبرى ص٣٣/٧٧ – عويدات للنشر والطباعة – بيروت لبنان – الطبعة الأولى ١٩٩٩م .

(٣) الدكتور / أحمد عبدالحميد يوسف – مصر فى القرآن والسنة ص١١٤ دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٩١م .

طويلا ، يتخذون من هذا الحيوان القوى آكـل العشب رمـزا لإلهـهم)) [١] ، وبالتـالى فـلا يمكن أن تكون تلك عقيدة نزل بها كتاب سماوى .

وإذا كنا فى الدراسات التاريخية نقرر قبول أقوالهم فى المســألة فـإن نفـس القـاعدة تطبق ، وبالتالى تنتهى إلى أن تأليه العجل فى اليهودية مجرد خرافة أسطورية نفست عـن ما يختبئ تحت جدارها الرقيق ، من إلحاد قائم ، وكفر مستمر .

كما أن كتاب العهد القديم وشراحه قد أقروا بأن العجل هـو البقـرة ، أو الثـور فـى صغره ، وهو من الحيوانات التى عرفها الإنسان القديم ، منذ أبعد العهود ، وكان يستعمل للأكل ، وللذبيحة ، أو للتضحية ، وبسبب نفعه ، وقيمته ، عبدته شعوب كثيرة من عبدة الأوثان ، وكان العجل أبيس من آلهـة مصـر المقدسـة يتخـذ صـورة ثـور صغـير ، وتنحـت تماثيله من الذهب الخالص[٢] .

وفى نفس الوقت فإن التاريخ نفسه يقرر أن تأليه الكائنات الحية كان الخطوة التـى تليها خطوات أكثر حدة أو عنفا وضراوة ، وفى نفس الوقت فإن العبادة هى التـى كـانت تبرهن على تلك العقيدة ،

ومن المكرر أن بنى إسرائيل قد عبدوا العجـل الذهبـى بعـد نجاتـهم مـن فرعـون ، وخروجهم من مصر إلى سيناء ، وذلك أثناء فترة غياب موسى عند جبل الطور لميقـات ربـه رغم أوامر هارون لبنى إسرائيل بالكف من عبادة العجل[٣] .

إذن التاريخ العام يشهد بـأن عقيـدة تجسـيد الإلـه فاسـدة ، وأنـها تمثـل ثقافـات متباينة ، وأن اليهود اقتبسوها من ديانات وثنيـة ، وأنـها طغـت علـى الفكـر اليـهودى ، فصارت عقيدة وعبادة معا ،

(١) الدكتور / ول ديوانت - قصة الحضارة - المجلد الأول جـ٢ ص٣٣٨ - ترجمة الأستاذ / زكى نجيب محمود بيروت ١٩٩٧١م

(٢) بطرس عبدالملك - قاموس الكتاب المقدس ص٦٠٧ .

(٣) الشيخ رحمة الله الهندى - إظهار الحق ص١٣ جـ١ .

وفى نفس الوقت فإنها تحولت معهم من مجرد صورة خيالية ، أو رمز إلى عقيدة واقعية ، يقومون عليها ويتعاملون بها ، والمؤسف أنهم يحاولون نسبتها إلى الله ، والتاريخ ليس لصالحهم – تعالى عن ذلك علوا كبيرا – .

❁ ثانيا : الناحية اللغوية :–

تقرر اللغة أن لفظ العجل يطلق على الذكر والأنثى معا من غير تحديد ما دام صغيرا[1] ، وهذا الإطلاق يجعل صاحبه فى حيرة من أمره ، لأنه لو كان العجل بقرة ، لكان مؤنثا ، وبالتالى يحتاج إلى ذكر من جنسه حتى تتحقق المعادلة الطبيعية فى استكمال الجنس بنوعيه ،

ولو كان العجل ثورا لكان بحاجة إلى أنثى يقع بينها التجاذب ، وينتهى إلى التآلف ، وتتحقق بينهما المصالح المشتركة ، وذلك إنما يكون حيوانا صرفا تملكه شهواته ، وتسيطر عليه غرائزه فاستحداث صورة للإله فيه ، إنما تعبر عن عقلية هزيلة ، وتفكير غير مستقيم ، كما تدل على انحطاط القيم وإهدار الملكات .

ثم إن اللغة – وهى القاسم المشترك بين المعانى – تدل على عجز مفسرى العهد القديم عن تقديم صورة متكاملة لنوع ذلك العجل وسنه الذى افترضوه مظهرا للإله ، واعتقدوا ذلك فيه ، أو دفعوا الناس إلى قبوله ، وتقديم القرابين له ، من ثم فإن اللغة تشهد بأن عقيدتا اليهود المتجسدة لله تعالى فى صورة عجل باطلة – تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا – .

❁ ثالثا : الناحية الشرعية :–

دلت النصوص الشرعية الموثقة – التى هى القرآن الكريم – أن هناك تضارب بين القوم فى التعريف بأول من صنع لهم ذلك العجل ، وأن النتيجة المؤكدة هى وقوع النص

---
(١) القاموس الوجيز للكتاب المقدس ص٤٥٠ .

منسوب إلى نبى الله هارون عندهم ، وذلك مخالف لما جاء فى الشريعة ، واستقر فى العقول السليمة ، وتعارفت عليه الفطر المستقرة .

إذ كيف يجعل الله هارون نبيا ؟[١] ، ولموسى عليه السلام وزيرا ؟[٢] ، ولقومه من بعده خليفة ؟[٣] ، يعرفهم بالله ، ويدفعهم إلى عمل الخير ، ويأخذ بأيديهم إلى العبادة الصحيحة لله رب العالمين ،

ثم تأتى المسائل عندهم عكس ذلك تماما ، فتصور هارون بصورة أول من يخالف تعاليم الله ، فيصنع تمثالا من الذهب مستغلا وضعه ، وغيبة أخيه ، وذلك لا يليق بمن يوسمون بالحكمة ، فما بالنا إذا وصف به أحد أنبياء الله ، لا شك أن العاقل سيقر بأن ذلك تفكير خيالى ، وتصوير هزيل ، وإسقاط للنبوة الكريمة من منزلها الرفيع ، ولا يقول بذلك من يعرف الله أبدا .

ثم إن الحديث القرآنى عن ذلك الأمر هو المعتمد لدى الباحث عن الحقيقة فى وسط تلك المسائل الشائكة ، التى تعتمد فى غير القرآن والسنة المطهرة على خيال أصحابها ، وتصويراتهم التى هى نسيج من الأوهام لا علاقة لها بمواقع الغيب أبدا ، وإنما هى قول من لا يعرف .

والقرآن الكريم هو الفصل فى المسالة ، لأنه الوحيد كلام الله الصادق الموثق الذى ﴿ " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " ﴾[٤] .

وهو الوحيد المحفوظ المأمون من التغيير ، والتبديل ، قال تعالى ﴿ " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ﴾[٥] .

---

(١) ﴿ " اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى " ﴾ سورة طه الآية ٤٢ .
(٢) قال تعالى ﴿ " واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى " ﴾ سورة طه الآية ٢٩/٣٠ .
(٣) قال تعالى ﴿ " وقال موسى لأخيه هارون أخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين " ﴾ سورة الأعراف الآية ١٤٢
(٤) سورة فصلت الآية ٤٢ .
(٥) سورة الحجر الآية ٩ .

وهو أيضا القول الصادق ، قال تعالى ﴿ " ومن أصدق من الله قيلا " ﴾[١] ،

والحديث الذى لا يأتيه الخطأ أبدا ، قال تعالى ﴿ " ومن أصدق من الله حديثا " ﴾[٢] .

ﻻ ومجمل القصة كما يمكن فهمها من آيات القرآن الكريم هى :

أن القوم لما جاوزوا البحر نجاة من عدوهم ، وكانت آثار البلل ما تزال عالقة بأقدامهم ، رأوا قوما وثنيين ، تعرفوا أحوالهم ، وكان منهم قوم يعكفون على الأصنام صناعا لها وعبادة وابتياعا[٣] ،

فحنت النفوس إلى دائها القديم ، وهو الوقوع فى دائرة الإشراك من جديد ، فطلبوا من نبى الله موسى عليه السلام أن يجعل لهم واحدا من تلك الأصنام مظهرا للهداية ، وإلها يلجأون إليه عند الحاجة ،

فوقف موسى عليه السلام منهم محذرا ، ومبينا أن الله الذى أنجاهم[٤] من عدوهم هو الخالق المنزه الذى يجب أن يتوجه الجميع إليه بالعقيدة الصحيحة والعبادة المستقيمة ، أما غيره فعبادته باطلة ، وعقيدته فاسدة ، وأخلاقه متهدمة .

إلا أن القوم كان الداء قد استفحل فيهم ، وكلما حاول موسى الكليم اقتلاعه من أعماقهم ، ارتد أغلبهم على أعاقبهم يمتصون من الداء ما سال منه ، ويعيشون على أنقاض تلك القيم المحطمة ، وينتظرون فرصة تعيدهم إلى الوثنية الأولى ، وكانوا فى ذلك ا لطلب جادين على مظاهره محافظين ، ولقضاياه وتصوراته قائمين .

---

(١) سورة النساء الآية ١٢٢ .

(٢) ﴿ " الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا " ﴾ سورة النساء الآية ٨٧ .

(٣) قال تعالى ﴿ " وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون " ﴾ سورة الأعراف الآية ١٣٨ .

(٤) قال تعالى ﴿ " يا بنى إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى " ﴾ سورة طه الآية ٨٠ .

فلما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه حاولوا إعادة أفكارهم وصياغتها ، ولكن المدة لم تسعفهم فى تحريك وثنيتهم ، والقفز بها ، فلما ذهب موسى للوعد الذى قطعه ، والموعد الذى تم بينه وبين ربه ،

ترك هارون وزيره خليفة فى قومه يعلمهم ماشرع الله لهم ، وظلوا على ذلك ، إلا أن غيبة موسى قد طالت عنهم بعض الشيء ،

وهنا عبرت النفوس المريضة عن دائها من جديد ، فراح شقيهم " موسى السامرى " يدفع القوم دفعا إلى الماضى الموروث ، ويحن إلى القيم البائدة ، فاحتال بمكره عليهم ، وأوهمهم أن موسى غاب ، وستستمر غيبته ،

وأنه لابد لبنى إسرائيل من إله يهديهم سبيلا ، وأن ذلك الإله إن لم يمكن الوصول إليه ، فلا أقل من صنع مظهر من المظاهر التى كانت تقدم كقرابين له فى المذابح التى أعدت فيها المحارق لذلك الغرض ، فوقع على اختيار صورة العجل لتكون مظهرا يظهر فيه الله .

وكان السامرى يعمل بالسحر والكهانة ، ويتمتع بثقافة فى استخدام الأمور المتعلقة بالتنجيم ، فأفهم القوم أن الحلى التى يتمتعون بها إنما هى من الأموال الحرام التى حصلوا عليها من فرعون وقومه الظالمين ، ولابد من التخفيف وإلقائها فى المجاهل .

وقد استجاب البلهاء لخديعة كبير الخبثاء[1] ، فأخرجوا حليهم ، وحفر فى الأرض ، ثم أشعل فى الحلى ناراً ، وكان يجيد صناعة التماثيل ، ويعرف أسرار استخدام المواد التى تعين على سبك الذهب ،

فلما هدأت النار ، وكان الذهب والفضة أقرب إلى السوائل ، قام بتشكيل تلك المادة المذابة على هيئة عجل جسدا ، وكان له منفذ ، ومعه مدخل ومخرج ، فإذا دخل الهواء من فمه وخرج من دبره ، سمع صوتا كما يسمع لأصوات البقر والحيوانات الطبيعية ،

---

(١) يصور القرآن الكريم ما جاشت به نفوسهم ، من أن حليهم إنما هى أوزار مخلفة من الكافرين ، قال تعالى ﴿ " قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى " ﴾ سورة طه الآية ٨٧ .

فظنوا أن هذا الذى تم من صنع الإله ، إذ كيف يخرج منه خوار إن لم يكن الله قد رضى عنه .

فلما رأى السامرى تلك السذاجة قد تمكنت من نفوسهم ، والوثنية قد سيطرت على قلوبهم ، والضلالة قد غطت على أفئدتهم ، صاح فيهم اعبدوا هذا العجل فهو إلهكم وإله موسى ، وهم قد صاحوا به هيا نقدم له الذبائح ، بجانب فروض الولاء والطاعة ،

رغم أنهم لو تأملوا ذلك العجل لو جدوه لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا يضر ، ولا ينفع ، ولكنهم استمروا يرقصون ، وحوله يلعبون ، وله يعبدون ، وظلوا على ذلك الحال لا يتخلفون .

أما نبى الله هارون ، فقد حاول صرفهم عن تلك الوثنية ، وجاهد فى سبيل دفعهم إلى العقيدة الإيمانية ، ولكنهم قاوموه ، واعتدوا عليه ، مما جعله ينعزل بعيدا عنهم منتظرا عودة أخيه ، حتى يجتمع سلطانهما ، ولم يكن لديه الرغبة فى دفعهم بالقتال ، لأنه لم تكن معه القوة الكافية ، ولم يؤمر بذلك فكيف يبدأ به ؟[1]

فلما رجع موسى إلى قومه ، ورأى منهم ما رأى ، حاول توجيه اللوم لأخيه ، وكانت بيده الألواح ، فألقاها جانبا ، وأخذ برأس أخيه يوجه له عتابا لتركه القوم وما صنعوا ، فأخبره هارون بأنه لا محل للعتاب ، إذ أن القوم لم يستجيبوا لنصائحه ، وأنه قد حاول معهم فلم تنفع معهم المحاولة ،

وفى نفس الوقت فإن الداء اللعين قد استحكم منهم ، وتمكن منهم . قال تعالى ﴿ " قال يبنؤم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى إنى خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولى " ﴾[2] .

وهنا التفت موسى الكليم يحدث صاحب الفعلة الشنعاء ، ويسأله لماذا صنعت ذلك يا سامرى ، فأعلن السامرى أنه يتميز عن غيره من بنى إسرائيل بمعارف ليست لهم ،

---

(١) ﴿ " قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى " ﴾ سورة طه الآيتان ٩٢/٩٣ .

(٢) سورة طه الآية ٩٤ .

ومنها تمكن من تلك الصناعة التى أتقنها ، وإنه بها قد أخرج لهم عجلا جسدا ، وبين لهم أنه الذى يجب أن يعتقدوا فيه ، وقد استجاب له القوم ، فماذا عليه إذن ؟

﴿ " قال فما خطبك يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى " ﴾(١) .

وهنا أخبره موسى الكليم أن الله قد غضب عليه ، وأن اليدين والجسم منه سوف يقع فيها مرض جلدى يصيب من يلمسه ، ويتألم هو من لامسه ، وسيظل ذلك حاله فى الدنيا ، جزاء ما اقترفت يداه ،

أما فى الآخرة ، فإن موعده النار وبئس القرار . قال تعالى ﴿ " فاذهب فإن لك فى الحياة أن تقول لا مساس وأن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا " ﴾(٢) .

أما العجل الذى صنعه موسى السامرى ، فنظر إليه موسى الكليم ، وراح يسأل القوم إن كان هذا العجل المصنوع إلها حقا وقد عبدتموه ، فليدفع عن نفسه النار التى تقترب منه ، وفعلا أشعل موسى النار بجوار العجل ، حتى يرى القوم بأنفسهم ماذا يجرى له ،

وهنا اشتعلت النيران ، وأتت على عجلهم من كل ناحية ، حتى صار ترابا تلتقطه الرياح ، وتلقى به فى أماكن كثيرة ، والقوم يشاهدون ، فلما بقى منه القليل ، أخذه موسى الكليم وألقاه فى اليم .

وهنا نرى أن عقيدة التوحيد المنزهة الكاملة جاء بها كل الأنبياء ، وجميع المرسلين من آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، ومن شذ على ذلك ، فهو من

(١) سورة طه الآيتان ٩٥/٩٦ .
(٢) سورة طه الآية ٩٧ .

الواضعين الكـاذبين ، قـال تعـالى ﴿ " إنمـا إلهكـم الله الـذى لا إلـه هـو وسـع كـل شـيء علما " ﴾[١] .

۞ رابعا : الناحية العادية :-

ألف الناس عادات صارت بالنسبة لهـم ميراثـا فكريـا ، يتناقلونـه فيمـا بينـهم ، وعلماء الأصول من أهل الإسلام يعتبرون العادة السليمة جزءا من القاعدة الفقهية ، فيقولون ((العادة محكمة)) [٢] .

بل أن علماء القانون يقررون نظرياتهم فـى العـادة آخذيـن معـها العـرف السـليم ، وبإنزال قاعدة العادة على عبادة العجل فى اليهودية نرى أن العادة[٣] ، تقضى ببطلان تلك العبادة .

لأنُ عادة العجل هى الأكل والشرب ، والتغوط ، والحياة ،والموت ، وكـل مـا كـان من هذا القبيل على الناحية الحيوانية ، ومثل ذلك لا يكون إلها ، ولا مظـهرا مـن مظـاهر الإله ، ولا صورة من صوره ، لأنُ ملازمات العجل جزء من طبيعتـه ، ولا يمنـع ذلـك مـن اعتبار العجل مظهرا من مظاهر قدرة الله فى الخلق والإبـداع ، ومـن مظـاهر إرادة الله فـى تخصيص نوعه ، وجنسه ، وما يستتبع ذلك .

أما أنُ يكون ذلك العجل مصنوعا بأيدى نفر ثم يطلب من العقلاء أنُ يقوموا له بدور التقديس ، أو اعتباره أحد مظاهر الوجود الإلهـى ، فذلـك ممـا ترفضـه العـادة السـليمة ، وتأبى عنه الفطرة النقية ، ولا تقر به العقول الصحيحـة ، وهـو علامـة مـن علامـات تـأثر الفكر اليهودى بالخرافات ، ودليل على امتصاص لألبان الأسـاطير[٤] ، ومثلـه لا يمكـن أنْ ينسب إلى خبر السماء أبدا .

---

(١) سورة طه الآية ٩٨ .

(٢) الدكتور / على حسب الله – أصول التشريع الإسلامى ص٢٣٥ – ط الخامسة – دار المعارف مصر .

(٣) العادة هى كل ما اعتيد ، حتى صار يفعل من غير جهد – المعجم الوجيز باب العين ص٤٣٩ .

(٤) الأسطورة : هى الخرافة أو الحكاية التى ليس لها أصل – المعجم الوجيز باب السين ص١٧ .

كما ان المصادر التى حملتهم يصعب اعتبارها مقدسة ، بل الأقرب اعتبارها قصص خيالية عزف أصحابها على أوتار الأسطورة ، فنتج عنها وهم كاذب لا علاقة له بالواقع الفعلى ولا ارتباط بينه وبين النص الدينى .

ويبدو لى أن تقديس العجل أمسى عقيدة لدى القوم وعباده ، وأنهم جعلوا مظاهر العجل تصحبهم أينما حلوا ، أو ارتحلوا ، ويبدو أنهم قد صدروها - بحكم توزعهم فى البلاد الشرقية - إلى كثير من شعوب المناطق التى نزلوا فيها ، وقد امتدت حتى الآن فى بلاد شرق آسيا ، وبخاصة فى بعض طوائف الهند ، وذلك مما تناقلته الأخبار وتحدثت عنه الآثار وصار عادة فى نقل الأخبار .

وعبادة هارون للعجل مع الإسرائيليين أمر لا يقول به القرآن ولا يقره البرهان لأن هارون نبى فكيف يعمل الأوثان ويعبدها [١] ، وكيف تستقيم دعوته إلى التوحيد ؟[٢] ، ألا يكون رجلاً متناقضا [٣] منافقا يأمر ولا يأتمر ، ويزجر ولا ينزجر ، وينهى ولا ينتهى ،

ويكفى دليلا على فساد هذه الأسفار[٤] ، اشتمالها على أمثال هذه الأشياء التى لا يقرها العقل ، ولا يؤيدها واقع الحياة العادية[٥] ،

---

(١) لم يثبت لدى كتاب اليهودية أن هارون عليه السلام كان صانعا للأوثان ، وبالتالى فالدعوى منقوضه من هذه الناحية ، والقصة - أعنى نسبة صناعة الأوثان لهارون - غير صحيحة تاريخيا ، فكيف تبنى عليها ناحية عقدية .

(٢) التوحيد هو اعتقاد أن الله واحد منزه عن الشبيه والشريك / والصاحبة والولد ، وسائر صفات النقص - راجع دلائل التوحيد للعلامة القاسمى ص١١ ط دار الأنصار ١٩٨٩م .

(٣) التناقض هو إثبات الشيء ورفعه فى آن واحد على جهة واحدة ، فمن أمر بالصدق وكذب ، فهو متناقض ، ومن أمر بالوفاء وأخلف فهو متناقض ، ومن أبعد عن عبادة الأوثان ثم عبدها فهو متناقض ، ولا يكون المتناقض على هذه الناحية إنسانا سويا ، ومثله لا يكون أبدا نبيا ، فدعواهم عبادة هارون للعجل مع كونه من الأنبياء متناقضة على تلك الناحية .

(٤) هذا الفساد يشتمل جميع الأسفار ، ويعمها وهى فى نفس الوقت غير خاضعة لأحكام العقل ، ولا مقبولة على ناحية الشرع أو المنطق وفى نفس الوقت فإن الخيال العلمى لا يقرها .

(٥) الحياة العادية يقصد بها ما استقر فى الفطر السليمة من أن من يدعو إلى الفضيلة ، ويفعل غيرها لا يكون فاضلا علما وعملا ، كما أن من يدعو إلى التوحيد المنزه ، ثم يقع فى التجسيم فإنه أيضا لا يكون إلا فاسقا ، وبالله مشركا ، وفى حكم الفطرة كافرا .

بينما نرى القرآن الكريم قد أنصف موسى وهارون[1] ، وطهرهما من رجس الأوثان ، وجعلهما كما يجب أن يكون نبى ذو دعوة عالية ، يعمل دائما على حمايتها وصيانتها ، وإذاعتها[2] .

◈ وربما يقال على سبيل الافتراض : لقد صورتم القوم عبدة تجسيد ، فمن أين لكم أن هذا المجسد كان عجلا ؟ ألا يمكن أن تكون النصوص مرموز بها ، وأنتم الذين صرفتموها إلى ما فهمتم ؟ فهل عندكم من دليل على أن القوم كانوا يقصدون ما قصدتم ؟

◈ والجواب :

أن دارس الأديان يعنيه بالدرجة الأولى الأخذ على نفسه بأن لا يتحزب ، أو يتعصب ، أو يتعسف ، أو يتكلف ، وإنما همه المنهجى رد الأشياء إلى أصولها ، والوقوف بالمسببات عند أصحابها ، وأن يقول الحق لذات الحق[3] ، وأنه لا يتعصب إلا لشيء واحد هو الحق وحده ، وهذا المنهج التزمته أيضا .

ودليلى على ما ذهبت إليه ما ذكره كتاب العهد القديم أنفسهم من أنهم عبدوا العجل باعتباره صورة جسدية لإله في الذهن اسم " بعل " ، وقد أولع أهل الشرق بعبادة البعل هذا ، وكانوا يقيمون له الذبائح البشرية على الأماكن المرتفعة ، كما كانوا ينظرون إليه على أنه إله المزارع ، ورب الخصب فى الحقول والحيوان أيضا[4] ،

وهذا البعل كان له العديد من الكهنة الذين يخدعون الناس بسحرهم وشعوزتهم وأعمال أخرى ينسبونها لإلههم ، وعرفوا باسم أنبياء البعل[5] ، وكان هذا البعل يمثل

---

(١) قال تعالى ﴿ " اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا فى ذكرى اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قالا لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل " ﴾ سورة طه الآيات ٤٢/٤٧ .

(٢) الشيخ / عطية إبراهيم الشوادفى - دراسات فى التوراة ص٣٢ - المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية .

(٣) الأستاذ الشيخ إبراهيم الشوادفى - دراسات فى التوراة ص٢١ .

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص١٨١ .

(٥) المصدر السابق ص١٨٢ .

بالنسبة لهم العلامة التى تعبر عن القوة والفخامة والخصوبة معا ، من ثم فهم قد حفروا له فى أذهانهم العديد من الصور ، كما اخترعوا الكثير من الأوصاف ((وفى كل حالاتهم فهو إله يمثله العجل ، الذى يتميز بالقوة والخصوبة)) [١] ،

ويقص التفسير التطبيقى : ((أن هذا البعل كان يمثل له بثور رمزا للقوة والخصوبة ، وظل بنو إسرائيل دائما تشدهم عبادة البعل طوال سنيهم فى كنعان ، وكان البغاء جزءا هاما فى عبادة البعل ، وحيث أن البعل كان محبوبا بهذه الصورة ، فكان اسمه يستخدم كثيرا للدلالة على جميع الآلهة المحليين)) [٢] .

إذن الثور كان هو المظهر الأكثر قوة فى التعبير عن ذلك البعل ، الذى ذكرنا طرفا منه ، أثناء حديثنا عن تجسيدهم للإله فى صورة العجل .

ويذكر أحد الباحثين : ((أن عبادة البعل لدى اليهود قد ابتدأت معهم فى عصر " موسى " ، وفى عصر القضاة ، وازدهرت هذه العبادة فى عصر الانقسام ، فأدخلت إلى المملكة الشمالية فى عهد أخاب عن طريق زوجة إيزابيل الفينيقية ، كما دخلت إلى المملكة الجنوبية عن طريق ابنتها عثلاليا التى تزوجت بهورام ملك يهوذا)) [٣] .

ولا شك أن القرآن الكريم قد تحدث عن إرسال الله إلياس عليه السلام[٤] ، إلى بنى إسرائيل ، كامتداد للنبوة التى جعلها الله هداية ، ولكن إلياس عليه السلام رأى من قومه عبادة لهذا البعل لا تنقطع ، فهم يطلبون منه جلب الخير ، ودفع الشر ويعبدونه كرمز للقوة الضارة النافعة ، بل فتنوا به أكثر ، فصنعوا له تماثيل كثيرة على صورة العجل ، راحوا يعبدونها ويعتقدون فيها .

---

(١) راجع قاموس الكتاب المقدس ص١٨٢/١٨٥ .

(٢) مجموعة من كتاب اللاهوت التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص٣٢٨ .

(٣) الدكتور / فتحى محمد الزغبى – تأثير اليهودية بالأديان الوثنية ص٧٠٤ – ط الأولى – دار البشير للثقافة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ولطالب المزيد الرجوع اليها حتى ص٧١٤ من المصدر نفسه .

(٤) ذكر العلامة البروسوى أنه إلياس بن ياسين من سبط هارون أخو موسى ، ثم قال هذا هو المشهور ، وعليه الجمهور – راجع تنوير الأذهان من روح البيان جـ٣ ص٣٤٩ ، وراجع الفتوحات الإلهية للعلامة الجمل جـ٣ ص٥٥١ ط الحلبى ، وهناك أراء كثيرة فى المسألة ، وقد ذكرنا أرجحها منها عندنا .

وقص القرآن الكريم هذا الخبر عنهم فقال ﴿ " وإن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتزرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه فإنهم لمحضرون " ﴾[١] .

وروى صاحب الفتوحات الإلهية عن أصحاب السير والأخبار ، أن الله لما قبض حزقيال النبى صنع بنى إسرائيل الأصنام وعبدوها من دون الله عز وجل ، فبعث الله عز وجل إليهم إلياس نبيا إلى ناحية بعلبك[٢] ، وما يجاورها ، وكان عليهم ملك " أرحب " سعد بالضلال وأجبر قومه عليه ،

واختار ذلك الملك صنما من ذهب ، طوله عشرون ذراعا ، وله أربعة وجوه ، وسماه " البعل " وكان البعلبكيون يعظمونه ، حتى جعلوا له أربع مائة سادن وسموهم أبنائه ، فكان الشيطان يدخل ذلك البعل الذى صنع على هيئة ثور من جوفه ، ويتكلم بشريعة الضلال والسدنة يحفظونها عنه ، ويبلغونها للناس[٣] .

وكان إلياس يطالبهم الرجوع إلى الله ، غير أنه لم يتمكن من اقتلاع ذلك الأمر الذى استقر فى نفوسهم من ثم فإن الأمر المتفق عليه بين الدارسين هو أن اليهود ، لم يعبدوا بعل واحد ،

وإنما أخذوا العجل كصورة واقعية للمثال الذهنى الذى نرى أنهم قد أغرقوا فى العلاقات الشاذة ، سواء من ناحية اعتقادهم فى هذا البعل ، وأنه الإله السيد ، أو عقيدتهم فى العجل من أنه الرمز الحى للإله المتجسد ،

---

(١) سورة الصافات - الآيات ١٢٣/١٢٧ .

(٢) هى مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة ، وآثار عظيمة ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، وبها قبر إلياس النبى ، وبقلعتها مقام إبراهيم الخليل - راجع معجم البلدان للشيخ شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى - توفى ٦٢٦هـ - تحقيق فريد عبدالعزيز الجندى جـ١ ص٥٣٨ - دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٠م .

(٣) الشيخ سليمان بن عمر العجيلى الشهير بالجمل - الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية جـ٣ ص٥٥٠ بتصريف يسير - طبعة دار المنار للنشر والتوزيع .

((الـذى كـان مـن ذهـب ، وهـم قـد فتنـوا بـه وعظمـوه حتـى عبـدوه)) [١] ، أو ممارستهم الشاذة التى انتهت بهم فى العلاقـات الجسـدية إلى الإعـلان عـن حرياتـهم فـى ممارسـتها وتفنينـها ، حتـى عرفـت باسـم البغـاء ، وكـان البغـاء جـزءا هامـا فـى عبـادة البعل[٢] ، باعتبار أنه لما كان الثور يتميز بممارسة العلاقات الجسدية مع إناثه فى أوقـات كثيرة ، فإنهم مارسوا ذلك الشذوذ فى محاولة منهم للتشبيه بذلك الإله الذى يعبدونه .

ورغم أن القصاصون قد ذكروا صفـات إليـاس وأنـه كـان ((علـى صفـة موسـى فـى الغضب والقوة)) [٣] ، إلا أنه فى ذات الوقت لم يستطـع اقتلاع تلك العبادة الفاسـدة ، أو يزيل من صدورهم ذلك الاعتقاد الخاطئ .

(١) العلامة الشيخ إسماعيل حقى البروسوى – تنوير الأذهان فى تفسير روح البيان – جـ٣ ص٣٥٠ طبعة دار الصابونى – اختصـار الشيخ محمد على الصابونى ط الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

(٢) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص٣٢٨

(٣) العلامة الشيخ أحمد الصاوى – حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين ص٣٤٥ جـ٣ دار الفكر .

ثانيا : تجسيد الإله فى شكل حية

عرفنا أن الفكر اليهودى قد جسد لأصحابه عقيدة الألوهية كثيرا من التجسدات ، ومنها ما يتعلق بصورة الحيوان ، ورأينا أنهم قدسوا العجل ، حتى صار لهم عبادة مرموزة ، وعقيدة منقولة ، وسرا من الأسرار التى يحرصون عليها .

غير أن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، وإنما تخطاه إلى تقديس الحية[1] أيضا ، واعتبارها مظهرا من المظاهر التى تعبر عن الإله ، وذلك يقتضى عرض المسألة فى النصوص التى يتمسك بها أصحابها .

(أ) عرض المسألة :

يرى كتاب العهد القديم أن الرب أمر موسى بصنع حية محرقة ، وأن يضعها على راية عالية يتجه إليها كل من يلدغ فى بنى إسرائيل من حيات الصحراء التى نزلوا فيها ، حتى إن من نظر لتلك الحية المصنوعة بيد موسى يبرأ من لدغات الحية الزاحفة ، حتى صارت الحية النحاسية صورة ومظهرا من مظاهر وجود الله فيها ، بل صارت هى مركز عناية الله ورعايته ،

يقول سفر العدد : ((قال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة ، وضعها على راية ، فكل من لدغ ونظر إليها يحيا ، فصنع موسى حية من نحاس ، ووضعها على الراية ، فكان متى لدغت حية إنسانا ونظر إلى حية النحاس يحيا)) [2] .

---

(١) وردت كلمة الحية فى قاموس الكتاب المقدس على أنها حيوان زاحف على بطنه ، وتوجد فى البرية وغيرها - قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٢ .

(٢) العهد القديم - سفر العدد - إصحاح ٢١ عدد ٩/٨ .

ومن المؤكد أن حية النحاس كانت ((على شكل حية محرقة صنعها موسى وأقامها على عمود فى البرية حسب قول الرب لكى ينظر إليها بنو إسرائيل الذين لدغتهم الحيات المحرقة بإيمان فى وعد الله أن يشفى الذين ينظرونها)) [١] .

ولكن تلك الحية التى صنعها موسى تحولت فيما بعد إلى رمز حقيقى ، فبدأ العبرانيون ((يستخدمونها كصنم)) [٢] ،

ويذكر أصحاب التفسير التطبيقى ((أن موسى عمل الحية النحاسية لشفاء بنى إسرائيل من ضربة مميتة ، فكانت دليلا على وجود الله وقوته ، وذكرت الشعب برحمته وغفرانه ، ولكنها أصبحت موضوعا للعبادة عوضا عن أن تكون مذكرة لهم بما يجب أن يعبدوه ، ولذلك اضطر حزقيا إلى سحقها)) [٣] .

ويبدو أن أصحاب التفسير التطبيقى قد شعروا بحجم المعاناة ، التى يقع فيها أصحاب الفكر نفسه من التماس آلهة زائفة ، واعتبارها آلهة مقدسة ، فهم يقدمون النصيحة الوجوبية ، فيقولون :

يجب أن نحترس من أن تصبح الأشياء التى نستخدمها للمعاونة فى عبادتنا هى نفسها موضوعا للعبادة ، فمعظم الأشياء التى لم يقصد بها أصلا أن تكون أصناما تصبح أصناما بالطريقة التى يستخدمها الناس[٤] .

ويتنوع حديث كتاب العهد القديم عن تلك الحية التى تجسد فيها فعل الله ، وهو إبراء اللدغ ، حتى يذكرون أنها ((حيوان يزحف على بطنه)) [٥] ، ((لها رأس

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٣ .

(٢) المصدر السابق ص٣٣٣ .

(٣) مجموعة من كتاب اللاهوت – التفسير التطبيقى للكتاب المقدس ص٨٢٤ – تعريب شركة مستر بالمعادى بالقاهرة ١٩٩٨م الطبعة الثانية .

(٤) المصدر السابق ص٨٢٤ .

(٥) سفر التكوين – إصحاح ٣ عدد ١٤/١ .

وذنب)) [١] ، ((لكن ليس لها أطراف تسمى نحاش)) [٢] ، ((وهى تتلوى فى سيرها ، فيكون فمها معرضا للاحتكاك بالتراب الذى تلحسه)) [٣] ،

((وبعض أنواعها إذا لدغ ، فإنما تصب سما مميتا فى جرح)) [٤] من لدغته ، وقد يبرأ من ذلك الجرح ، وهى توجد فى البرية ، والمناطق المأهولة، وعلى الطرق ، وفى السياجات ، وعلى الصخور ، وفى الجدران[٥] .

فلما كان بنو إسرائيل فى البرية أصابتهم تلك الحيات المحرقة باللدغ ، وسببت الموت ، لأنها كانت نوعا من الحيات الموجودة فى الصحراء العربية ، وغيرها ، وتحدث لدغتها ألما ناريا يسبب الموت من الالتهابات والعطش[٦] .

ويذكر كتاب القاموس أن حية التجربة كانت فى مظهرها كحية عادية ، ولكنها تفوق وحوش البرية فى المكر والدهاء ، ولذا بعد أن تورطت فى تجربة الإنسان ، فإنها لعنت بين الوحوش ، حتى وقع عليها القصاص ، كما وقع على الحيوان البرى[٧] ،

وهى بزحفها على الأرض ، إنما تعيد للأذهان ذكر انحطاطها ، بل هو علامة على دينونتها ، وهى مكروهة من الإنسان ، ولذا نراه يهم بقتلها كلما رآها ، بل نسب كل فعل شرير إلى روح الحية ، باعتبار أنها العدو الأكبر لبنى إسرائيل ، والعدو التقليدى للإنسان نفسه[٨] .

وتلك الحية الحيوانية تكرهها كل الأرواح ، ولا يقبل عليها إلا الخنازير التى ترفضها ، وتعاديها بما فيها من سم ناقع ، ودهاء خارق ، ومكر ما بعده مكر .

---

(١) سفر التكوين إصحاح ٣ عدد ١٥ ، وسفر الخروج إصحاح ٤ عدد ٤ .
(٢) سفر التكوين إصحاح ٣ عدد ١٣
(٣) راجع سفر ميخائيل إصحاح ٧ عدد ١٧ ، وسفر التكوين إصحاح ٣ عدد ١٤ .
(٤) راجع سفر العدد إصحاح ٢١ عدد ٦ ، والمزمور ٥٨ عدد ٤ .
(٥) راجع سفر الأمثال إصحاح ٣٠ عدد ١٩ ، وعاموس إصحاح ٥ عدد ١٩ .
(٦) راجع سفر العدد إصحاح ٢١ عدد ٦ ، وتثنية إصحاح ٨ عدد ١٥ .
(٧) راجع سفر اللاويين إصحاح ٢٠ عدد ١٦/١ .
(٨) قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٢/٣٣٣ .

ونظرا لخطورة الحية المحرقة ، وخوف بنى إسرائيل منها ، فقد أمر الرب موسى صنع الأخرى النحاسية ، غير أن بنى إسرائيل صاروا حول تلك الحية يتنازعون ، وبات الشقاق بينهم قائما ، بل صار من العسير جمع الأطراف حولها بدليل محاولة البعض التعرض لها ، فعمل أحدهم على سحقها ، رغم أن موسى هو الذى صنعها .

ويذكر العهد القديم أن شابا يدعى حزقيا[١] ، قد ملك الحكم على بنى إسرائيل مع أبيه ، وكان شابا مستقيما من وجهة نظره ، فرأى أن بنى إسرائيل قد تصرفوا بما لا يرضى طموحاته ، فأعلن حربا على الفلسطينيين ، حتى صار عظيما فى ملكه وناجحا ،

وأما هذا الحزقيا كان خادما مكرسا جهوده ليهوه ، وافتتح حكمه بترميمهم الهيكل ، وتطهيره ، وإعادة تنظيم خدماته الروحية ، وموظفيه ، واحتفل بفصح عظيم دعا إليه العشرة أسباط الرئيسية بجانب سبطى يهوذا وبنيامين .

وفى غمرة من نشوة الانتصار ، ولحظة من لحظات الإشباع الذاتى ، والشعور بفخامة الملك وأبهة الحكم ، وملامح السلطان ، قام حزقيا بإزالة المرتفعات وطرح التماثيل ، وتحطيم الحية النحاسية التى عملها موسى ، لأنها صارت - من وجهة نظره - موضوع عبادة وثنية[٢] ،

ويذكر سفر الملوك ((أن حزقيا بهذا العمل وصف بأنه مستقيم " فى عينى الرب " حسب كل ما عمل داؤد أبوه ، هو أزال المرتفعات ، وكسر التماثيل ، وقطع السوارى ، وسحق حية النحاس التى عملها موسى ، لأن بنى إسرائيل كانوا تلك الأيام يوقدون لها)) [٣] .

---

(١) وهو غير حزقيال الذى هو أحد الأنبياء الكبار ، ومن عشيرة كهنونية ، ولد ونشأ فى فلسطين ، ثم حمل مسبيا بعد نفى دانيال ، وهو صاحب سفر حزقيال ، ويعتبر لدى كتاب العهد القديم أحد الأنبياء الكبار - راجع قاموس الكتاب المقدس ص٣٠١/٣٠٤.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٣٠٥ بتصريف فى العبارة .

(٣) سفر الملوك الثانى - إصحاح ١٨ عدد ٣/٥

وحزقيا هذا المستقيم يحمل اسما عبريا معناه الرب ، وقد قوى الرب ، كما أن الرب قواه ، فحصل بينهما نوعا من تبادل الصفات ، وتدعيم كل منهما الآخر[١] .

وبناء عليه ، فكل ما قام به حزقيا ، إنما كان تكليفا لا يمكن التخلى عنه أو التهاون فيه ، وما الحية المحرقة إلا صورة رمزية للعبادة والعقيدة اليهودية .

يقول أحد المعنيين بالأمر ((إن فى تاريخ اليهود الباكر شواهد كثيرة تدل على أنهم عبدوا الأفعى ، ومن هذه الشواهد صورة الأفعى التى وجدت فى أقدم آثارهم ، ومنها الأفعى النحاسية التى صنعها موسى ، والتى عبدها اليهود فى الهيكل إلى أيام حزقيا حوالى ٧٢٠ ق.م ، وكانت الأفعى تبدو حيوانا مقدسا لليهود ،

كما كانت رمزا للذكورة المخصبة من جهة ولأنها من جهة أخرى تمثل الحكمة والدهاء والخلود فضلا عن أنها تستطيع أن تجعل طرفيها يلتقيان)) [٢] .

ولم تكن تلك العبادة خالية من تقديس الخوف فالقوم لما خافوا لدغ الحية قدسوها ، حتى لا تصيبهم بما يخرج منها ، فهم عبدوا الترهيب ، ولم يلجئوا للترغيب ، مما استدعى حزقيا أن يقذف عليهم ، ويخالف تعاليم موسى ، فيزيل الحصون العالية ، التى تعتبر حواجز طبيعية ، كما قضى على الحية النحاسية التى كانت محل عبادة للناس .

يقول أحد الباحثين : ((وفى زمن حزقيا أزال المرتفعات ، وسحق حية النحاس للناس)) [٣] ، دون اعتبار للموقف من كون أن موسى هو الذى صنعها لهم .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص٣٠٥ .

(٢) ول ديونت – قصة الحضارة ص٣٣٩ – الجزء الثانى المجلد الأول

(٣) الأستاذ / حامد عوض الله – الألوهية وفكرة العصر هناك إله ص١١٠/١١١ – المركز الثقافى الجامعى – سلسلة الدراسات العلمية .

والبادى من النصوص أن بنى إسرائيل التمسوا عبادة الأفعى[١] ، بعد تقديسها ، واعتبروا أن الأفعى هى المنقذ لهم من الشيطان ، وتتميز عن إله التوراة بالقدرات التى لا يمكن أن توجد فى غيرها .

يقول أحد الباحثين ((توجد فى اليهودية فرقة تسمى بالأفعويين ، وهم عبدة الأفعى ضد الإله باعتبار أنها كانت سببا فى غواية حواء ، والأفعى عندهم رمز الحياة ، أو قوة الحياة شأنهم فى ذلك شأن عبدة الشيطان[٢] .

ولم تقتصر عبادة الحية على فرقة بعينها فى زمان بعينه ، وإنما قفزت إلى عقول القوم وقلوبهم ، حتى صارت معبودا مقدسا لقبائل بأكملها ، ومنها قبيلة " لاوى " التى صار معظم أفرادها كهنة الديانة اليهودية ، التى كانت تقدس الحية ، وهم الذين أدخلوا فى اليهودية تقديسها ، وتقديم القرابين لها[٣] .

والمؤكد أن عبادة الحية صارت عقيدة تجسد فعل الإله ، وإن لم تكن مجسدة له فى ذاته على النحو الذى عزفت على أوتاره نصوص العهد القديم وشراحه ، فإنها جسدت الصفات التى تختص بذات الإله من إبراء اللدغ ، وعلاج المرضى ، وإخافة العاصين ،

وذلك كله مما يؤكد حرص القوم على فكرة تجسيد الإله على أى نحو كان ، سواء صرفهم عنها – لبعض الوقت – صارف ، أو ظلوا عليها باقين ، وفى نفس الوقت فإن الأمر عندهم فى تقديس الحية باعتبارها مظهرا من مظاهر الحيل والدهاء قد صاحبهم رحلتهم الطويلة فى بلاد الاغتراب والتفرق ،أو فى مواطن الحل والإقامة ، حتى صارت الحية بالنسبة لهم ، وكذلك الأفعى حيوانات إلهية أو تجسدات إلهية فى حيوانات أرضية .

---

(١) الأفعى وردت فى العهد القديم بمعنى حية سامة من الصنف المسمى باللاتينية Vipera ، وهذه الأفعى رمز للقضاء الذى يحل بالأشرار – راجع قاموس الكتاب المقدس ص٩٥ .

(٢) الدكتور / عبدالمنعم الحفنى – الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص٥٠/٥١ – مكتبة مدبولى – القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

(٣) الدكتور / محمد بحر عبدالمجيد اليهودية ص١٦ نقلا عن تأثير اليهودية بالأديان الوثنية – الدكتور / فتحى الزغبى ص٥٦٩ .

(ب) مناقشة المسألة :-

الملاحظ أن فكرة تجسد الإله فى صورة الحية قد نالت من القوم عناية ، بل وصارت أمرا مهما يحفظون به أنظمتهم الحياتية ، فهى مصدر الخوف ، ورمز الشقاء ، وعلامة من علامات الرب ، أو ظهور من ظهوراته ، والدارس لعلم مقارنة الأديان يجد نفسه بحاجة إلى مناقشة تلك الفكرة فى حدود الأمور الآتية :-

- **الأمر الأول : شهادة كتبهم[١] :-**

يذكر العهد القديم أن بنى إسرائيل قد مارسوا المخالفات الشرعية ، حتى صارت عبادتهم خليطا من التعاليم الدينية ، والطقوس الوثنية ، بعيدا عن شريعة الرب[٢] ، الذى أنجاهم ،

وأمرهم ألا يعبدوا أو يسجدوا ، أو يتقوا ، أو يتقربوا لآلهة أخرى ، كما أمرهم أن يطيعوا الفرائض والأحكام الشرعية ، وألا ينقضوا العهد الذى أبرمه الرب معهم ، إلا أنهم أصموا آذانهم ومارسوا طقوسهم القديمة ، فكانوا يعبدون أوثانهم ، وربهم معا عبادة مشتركة ، وأقتفى بنوهم خطاهم فى ممارساتهم إلى هذا اليوم[٣] ،

وفى هذه شهادة ، موثقة على أن النصوص التى بأيديهم ، لا يمكن التصديق بها ، لأنها خليطا من أفكار وثنية ، ومعبر أصيلا عن ما فى نفوس القوم ، وبالتالى فنسبة صناعة الحية عن طريق موسى بأمر الله غير مقبولة ، على الناحية التى جاءت منها نصوصهم ، ذلك يشهد بأن الواضعين قد التقطوا الوثنيات ، وأدخلوها إلى ديانة موسى ، فضاعت الديانة الموسوية ، وبقيت بينهم التعاليم الوثنية .

---

(١) المقصود بكتبهم الى بأيديهم الآن ، وهى العهد القديم ، التلمود ، البروتوكولات .

(٢) يقول سفر الملوك الثانى « فهم إلى ذلك اليوم يمارسون طقوسهم الأولى ، فأصبحت عبادتهم خليطا من تقوى الرب ، ومن الطقوس والفرائض الوثنية ، وفقا لتقاليدهم ، وليس بمقتضى شريعة الرب » سفر الملوك لثانى الإصحاح ١٧ عدد ٣٤/٣٥ .

(٣) سفر الملوك الثانى - إصحاح ١٧ راجع الفقرات ٣٦/٤١ .

وبهذا يتبين لنا ان عقيدة تجسيد الإله فى حية ، إنما يعبر عن القلق الذى يعيش فيه القوم ، وتفيض به نصوصهم التى يتحدثون عنها ، ويتغنون بها ، والدارس المنصف يرى من الواجب العلمى أن ينفض عقله من تلك المصادر ، لأنها لا تحمل إلا أفكاراً ثبتت عندهم أنها وثنية .

- **الأمر الثانى : الظروف النفسية :-**

من البين أن القوم قد هزمهم عنصر المفارقة ، وضغط عليهم عامل التهجير والاغتراب ، كما حكم فيهم عنصر الضغط العصبى ، فصاروا يتصورون إلههم منقذا لهم على أية ناحية تبرز قوته شريطة أن يكون ذلك فى شكل مادى ،

إذ ثبت من الدراسات النفسية أن المهزوم يحاول دائما الغلبة ، وتحقيق الانتصار فى الواقع ، فإذا لم يصل إليه حاول تصوره فى عالم الخيال مستندا فى ذلك إلى قوى غيبية ، إن كان يؤمن بالغيبيات ، أو إلى قوى مادية(١) ، كما يجرى فى فكر اليهود .

ولما كانت الحية قد أرعبتهم بسمها القاتل ، فهم قد تصوروها نوعا من أنواع القوة التى لا يمكن التغلب عليها ، وجعلوها مظهر وجود الله وقوته ، حتى يستر دوابها أنفسهم النواشز ، أو يعيدوا لوجداناتهم المضطربة أمنها السليب ، وبئس ما فعلوا ، لأن الله تعالى منزه عن كافة تلك الصور - تعالى عن ذلك علوا كبيرا - .

ثم أن الحية أو الأفعى إنما هى حيوان والحيوان عند العقلاء أخس مرتبة من الإنسان ، فهل يرتضى هؤلاء أن يعبدوا أو يقدسوا إلههم الذى هو أقل عندهم من الإنسان .

- **الأمر الثالث : عشقهم للوثنية :-**

ذكرت مصادر لكتاب المقدس أن الحية قد لعبت بحراس الجنة ، واستطاعت أن تخفى الشيطان ، فتدخله إلى الجنة ، رغما عن حراسها ، وأن الحية هى الأخرى قد لعبت بحواء إذ نظرت إليها ، ولم تتخيل أن الشيطان كان فيها(٢) ،

---

(١) دكتور / استبسر كولز - اعرف نفسك ص٣٧ ترجمة د/ فتحى الشنيطى - طبعة الدراسات النفسية .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٣٣٣ ، حيث يقول لم يفد حواء شيئا أكثر من حية ، لكن الشيطان كان فى هذه الحية ، كما كانت الأرواح النجسة فيما بعد فى الناس ، وفى الخنازير تقودها ، وتعيرها دهاء خارقا ، وتستخدمها كوسيلة بها تقترب إلى حواء - راجع إصحاح رومية إصحاح ١٦ فقرة ٢٠ .

وأن الأرواح الشريرة راحت تستخدم الحية كوسيلة إغراء لحواء ، التى هى أم البشرية جمعاء ، وما دامت الحية قد استطاعت أن تغلب حواء ، وتخدع حراس الجنة ، فمن الأنسب أن تكون هى مظهر الله ، إن لم تكن هى الله نفسه ، لأنه وحده الذى يقدر على تلك التصورات الغريبة التى قامت بها ،

ويصور العهد القديم ذلك فيقول سفر التكوين ((وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الإله ، فقالت للمرأة أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ، فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل ، وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة ، فقال الله لا تأكلا منه ، ولا تمساه ، لئلا تموتا ،

فقالت الحية للمرأة لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما ، وتكونان كالله عارفين الخير والشر ، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون ، وأن الشجرة شهية للنظر ، فأخذت من ثمرها وأكلت ، وأعطت رجلها معها فأكل)) [١] .

وبهذا يتبين لنا أن فكرة تجسيد الإله فى شكل حية ، إنما هى فكرة وثنية سرت فى الفكر اليهودى مسرى الماء فى العود الأخضر فنما ويفع ، وأولى به أن يحرق فى النار ،

ولا يظن دارس الأديان أن مثل تلك الأفكار يقبل أو يقدم خدمة علمية فى مجال المقارنة ، بل الأقرب إلى الصواب هو النظر فى تلك على أنها ديانات وضعية ، تناقلها الناس فيما بينهم ، والتزموها حتى صارت لهم الأم والأب ، العبد والرب ، والملك والمالك ، ومثلهم تكفيهم مسالبهم ، وتشهد عليهم أخطاؤهم ، ولا ينسب إلى خبر السماء أو إلى أحد رسل الله أمرهم .

- **الأمر الرابع : الحكم الشرعى :-**

الدارس للفكر اليهودى يراه غارقا فى التجسيدات ، بدءا من إلههم ،وانتهاء بعواطفهم وأحزانهم ، فهم قد حبسوا أنفسهم فى نطاق المادة الكثيفة ، ولم يعرفوا قيمة الروح الشفيفة ، فنسبوا لله الفقر[٢] ، كما نسبوا له الولد[٣] ،

---

(١) سفر التكوين - إصحاح ٣ - فقرة ١/٦ .

(٢) قال تعالى ﴿ " لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء " ﴾ سورة آل عمران الآية ١٨١ . ﴿ " وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه " ﴾ سورة المائدة الآية ١٨ .

(٣) ﴿ " وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم " ﴾ سورة التوبة الآية

وفى نفس الوقت نسبوا إليه البخل[١] ، وهى كلها تجسيدات مادية تبدو فى المخلوقات المشاهدة ولا تنطبق على المخلوقات الغيبية ، فدل ذلك على أن القوم انحرفوا ومن بحار الرذيلة عبوا واغترفوا ، أما لماذا ؟

فلأن العقل والشرع والعرف الصحيح والفطرة السليمة قد اتفقوا على أن الله تعالى لا يحس بحاسة ، ، ولا يحصر فى مكان من الأمكنة ، ولا يظهر فى ظهورات يتشابه فيها أمر الخالق مع أمور ا لمخلوقات ،

فدل ذلك على أن حكاية عبادتهم للعجل أو الحية ، إنما هى أمور مخالفة للقواعد الشرعية ، فالله تعالى قال لموسى الكليم ما حكاه القرآن الكريم ، قال تعالى ﴿ " إننى أن الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى " ﴾[٢] ،

ولما حاول موسى كليم الله أن يؤلف قلوب بنى إسرائيل ، فيصف لهم الله وصفا حسيا ، والتمس من ربه جل علاه رؤيته على الناحية الجسدية ، فضرب الله لموسى المثل النظرى والعملى ، فى أن الله لا يرى بالحواس البصرية[٣] ، وإن كان يرى للخواص على النواحى التى تأتى منها الإرادة[٤] الإلهية ،

قال تعالى ﴿ " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ربى أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين " ﴾[٥] .

---

(١) ﴿ " وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء " ﴾ سورة المائدة الآية ٦٤ .

(٢) سورة طه الآية ١٤ .

(٣)هناك نزاع فى الفكر الإسلامى عن رؤية الله بالأبصار العادية ، والذى عليه أمرهم أن الله تعالى لا يرى بالأبصار العادية ، وإنما يرى بأبصار فيه بصائر ، أو بصائر لها أبصار فى الحياة الأخروية ، وفى الحديث الشريف (("إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ")) ، والذى نعتقده طبقا لما جاء به النقل المنزل أن المؤمنين سوف يرون الله مع التفويض فى أمر الكيفية ، لأن ذلك من خصوصيات رب البرية جل علاه .

(٤) ذلك مما ورد به الأثر ، وأخبرت به بعض مظاهر النقل ، فالطالب البيان الرجوع إلى ما كتبه مفكروا الإسلام ، وبخاصة المفسرين فيما يتعلق بالإسراء والمعراج

(٥) سورة الأعراف الآية ١٤٣ .

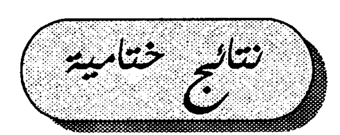
❖ **فإذا كان ذلك مع موسى عليه السلام ، وهو النبى الكليم ، فما بالنا بمن هم أخوة الشياطين ؟**

إن العاقل يقرر فى هدوء أن تلك الأفكار صنعها خيال أصحابها ، ولا علاقة لها بالشرع الإلهى ، وفى نفس الوقت فإنها تكشف عن وثنية ما تزال غارسة بأقدامها فى عقولهم وقلوبهم .

❁ **وفى تقديرى** : أن دارس الأديان يمكنه توجيه صيحة قوية علها تؤثر ، فتوقظ هؤلاء الغفلى ، أو تهدهد من جوانح أولئك الحمقى ، علهم إلى عقولهم يرتدون ، أو إلى تنزيه الإله ينقلبون ، أو إلى كتبهم التى بأيديهم من ضلالهم ينقون .

الفصل السابع

نتائج ختامية



الدارس لمقارنة الأديان يجد نفسه مجبرا على تقديم نتائج ما انتهى إليه فى الموضوع الذى حبس نفسه فى بحثه ، والتعرف عليه ، حتى يكون ما انتهى إليه من نتائج بمثابة القواعد التى ينطلق منها من يأتى بعده ، باعتبار أن العلوم النظرية تراكمية ، بمعنى أن السابق يقدم نتائج تكون بمثابة القواعد للاحق ، وهكذا فكل دارس يقف على نتائج من سبق كقواعد له ، ثم يقدم هو نتائجه التى تكون قواعد للآخرين ، وهكذا دواليك .

ونحن لن نخرج على تلك القاعدة التراكمية فى العلوم النظرية ، وإلا كانت هناك مقدمات منقطعة عنها نتائجها ، وفجوة تحتاج ملئها مما يعتبر نقصا فى معالجة الدراسة التى أقوم بها ، وفرارا من ذلك النقص أقدم النتائج على النحو التالى :

۞ أولا : أن عقيدة تجسيد الإله وثنية :-

بان لنا من البحث أن اليهود بعد موسى عليه السلام اختلطوا بالشعوب الوثنية وغيرها ، إلى درجة الامتزاج ، حتى إن اليهود بما فى طبيعتهم من التسلل إلى الكيانات ، حتى الأعماق قد امتصوا تلك الثقافات والعبادات التى منها الآلهة المجسدة ،

وكان اليهود يتوقون إليها ، فلما رأوها عند غيرهم قائمة(١) ، أمسكوا بها على كل

---

(١) حيث نقلوا من المصريين القدماء عبادة العجل والأفعى ، فكان العجل من أهم الحيوانات التى ألهها المصريين القدماء ، وكانت ألهتهم تظهر أمامهم ممثلة فى الحيوانات المختلفة منها العجل والأفعى - راجع الأستاذ / أدولف أرمان - مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة ص٩ طبعة مصطفى الحلبى - وزارة المعارف العمومية .

كما نقلوا عن بلاد الرافدين وصف الآلهة بصفات البشر وأفعالهم ، فجعلوا الآلهة كالبشر فى صفاتهم المادية والروحية كالصورة والأعضاء فهم يأكلون ويشربون وينكحون ويلدون بنون وبنات ، ويتألمون ويفرحون - راجع دكتور / فتحى محمد الزغبى - تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ص١٥٠ .

كما نقلوا عن اليونان أن الآلهة رحال حرب ، فهم يخوضون المعارك الضاربة ، وأنهم يحزنون ويبكون وينامون ويرتكبون الجرائم ، ويتصل ذكورهم بإناث لبشر -

راجع الدكتور / على عبدالواحد وافى - الأدب اليونانى ص١١ ، والدكتور / عبدالغفار عزيز الله والإنسان ص٢٢٤ ، والدكتور / محمد فؤاد الهاشمى - الأديان فى كفة الميزان ص٣٤ .

ناحية[١] ، وحالوا إذاعتها فى كل مكان[٢] ، بل اعتقدوها ورسموها كعقائد ثابتة لهم جعلوها فى نصوص منسوبة إلى بعض أفراد[٣] ، أو أسماء على سبيل الوصف[٤] ، أو الإضافة ، ثم وضعوها بين ثنايا عهودهم القديمة[٥] ، ثم اصطفوا بعضها وأدخلوه إلى تراثهم الذى بأيديهم وأطلقوا عليه ما سمحت به أنفسهم من إطلاقات .

كما بان لنا أن تلك العقيدة الوثنية تخالف النصوص ا لشرعية الواردة من ا لله تعالى لهداية خلقه فى كتبه الصحيحة المنزهة ، على أيدى رسله وأنبيائه المصطفين الأخيار الذين هم أهل الله والأعرف به من ذلك قوله تعالى ﴿ " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " ﴾[٦] ، وقوله تعالى ﴿ " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " ﴾[٧] .

إلى غير ذلك من النصوص الشرعية الثابتة الصحيحة فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ، التى انتهت وابتدأت كلها ببيان تنزيه الله جل علاه ،

(١) نرى ذلك واضحا لدى اليهود فى كل مرحلة مبتدأه بالنسبة لهم لما فى طبيعتهم من الاقتباس المباشر من ا لثقافات الأخرى ، ثم محاولة تصديره بصيغ أخرى حتى يظنهم الآخرين منشئين لها بحيث ينالوا من الرءوس علو وفى القلوب مكانة .

(٢) وذلك واضحا حتى فى العصر الحديث ، وتشهد به الأخبار التى تنقل عن الجماعات اليهودية ، ويطلق عليها اسم اللوبى اليهودى ، وهم يوجدون الآن فى أغلب بلاد العالم ، وان كانوا فى بعض البلاد أقل أو أكثر من البعض الآخر ، لكنهم فى كل بلد يحاولون أن يظهروا قدراتهم فى الضغط على صانعى القرار السياسى فى تلك البلاد ، بحيث يحقق لهم مصالحهم الذاتية .

(٣) كما نسب سفر إستير ، وهى فتاة جميلة ابنة أبيحائل الذى يرجح أنه من سبط بنيامين تركت يتيمة وهى صغيرة فأحضرها ابن عمها مردخاى ، ولى أمرها بعد وفاة أبيها إلى العاصمة الفارسية " شوشن " ، وأقام الملك زركيس الفارسى وليمة لعظمائه فحضروا وطلب من امرأته أن يرى أصدقائه جمالها الرائع ، لكنها رفضت فثار الملك وحرمها من مكانتها ، ثم طلب من جلسائه البحث عن فتاة جميلة لتأخذ مكانتها فاختيرت استير اليتيمة هذه ، ونصبت ملكه فى القصر ، ولم يكن الملك الفارسى يعرف أنها يهودية الجنس ، وقد ارتقت استير حتى اعتلت عرش الدولة الفارسية – قاموس الكتاب المقدس ص٦٣

(٤) من ذلك ما صنعه كتاب اليهودية من إضافة سفر إلى العهد القديم يحمل بعض الصفات والمآثر لمليكتهم استير التى صارت تمثل بطلة القصة فى ذلك السفر نفسه ، مما جعل بعض مفكرى اللاهوت " كلوترو " يرفضون اعتباره ضمن الأسفار المعترف بها – قاموس الكتاب المقدس ص٦٤ .

(٥) من ذلك سفر راعوث ، صموائيل الأول والثانى ، استير ، أرميا ، حزقيال ... فإنها جميعا باعترافهم تمثل اضافات تلك الكتب إلى مؤلفيها لا إلى الوحى الإلهى فسفر راعوث مثلا يقولون أنه سمى بهذا الاسم نسبة إلى راعوث بطلة الرواية فيه ، ولا يمكن الجزم بالوقت الذى دون فيه هذا السفر ، أو بتحديد شخصية كاتبة – قاموس الكتاب المقدس ص٣٩٠/٣٩١ .

(٦) سورة الإخلاص بتمامها .

(٧) سورة الشورى الآية ١١ .

واثبات نفى المثلية عنه جل وعلا ، وبمعنى آخر إثبات الكمالات ونفى السلبيات عنه جلا وعلا[١] ، ونرى القرآن الكريم قد وضح الرسالات الإلهية .

ثانيا : أن اليهود تغلب عليهم الإمعة[٢] :-

اتضح من خلال الدراسة أن دعاة اليهودية فى مراحلهم التأسيسية بعد موسى عليه السلام كانوا يحاولون التوافق مع الأوضاع القائمة حرصا على ما يعتبرونه مكتسبات من الصعب التخلى عنها ، ولذا فقد كانوا يمثلون دور الإمعة الذى يقول لكل واحد أنا معك ، وفى نفس الوقت لا يثبت هو على رأى ، لضعف يرجع إليه هو ،

وضرب المثل بالإمعة حتى صار علامة عليهم ، وكان من نتيجة ذلك أن استنام اليهود فى رحاب عقول الآخرين ، يقلدونهم ، ويقومون بأدوارهم فى كل رواية تعرض حتى كأنهم يمثلون دور الشخصية الثانية بجوار الشخصية الرئيسية الأولى ،

وأن ذلك التقليد الأعمى قد برز فى عقائدهم وعباداتهم وسلوكياتهم التى لم تنفك عنهم ، ولم يتيحوا لعقولهم النظر الدقيق فيها ، بل دفعوا أتباعهم اليها باعتبار أنها المنقذ الوحيد لهم فى الحياة .

وكان من جراء ذلك دخول الوثنية فى كل صورها[٣] ، إلى اليهودية فى كافة مراحلها[٤] ، دون أن يستثنى كاتبوا التراث اليهودى شيئا من ذلك يجعلونه محطا للنظر

---

(١) وقد أفاض فى بيان ذلك علماء المسلمين سواء فى كتب علم الكلام ، أو فى كتب التفسير من ذلك فى علم الكلام المطالب العالية للإمام الفخر الرازى ، والأربعين فى أصول الدين أيضا ، والمقاصد للإمام سعد الدين التفتازانى ، وغيرهم من علماء الكلام والمفسرين ، وكل مفكرى الإسلام على هذا التنزيه الإلهى يسيرون واليه ، يثبتون ، ويؤكدون .

(٢) الإمعة هو الذى يقول لكل أحد أنا معك ، ولا يثبت على رأى لضعف فيه هو لا فى الرأى نفسه ، سواء كان رجلا أو امرأة - - المعجم الوجيز باب الألف ص٢٥ - طبعة وزارة التربية والتعليم ١٩٩٢م .

(٣) من ذلك أنهم عبدوا العجل والأفعى والبعل وغيرها من الصور .

(٤) عرضنا تلك المراحل التى رأيناها تقف عند ثلاثة - من وجهة نظرنا - وقد أفضنا فى بيانها خلال صفحات خلت من هذا الكتاب

أو مطروحا على بساط البحث[١] ، أو حتى يقبل نوعا من المناقشة الموضوعية ،

وإنما قبلوا كل ما وصل إليهم من أفكار – مهما كـانت غـير صحيحـة – علـى أنـه نتائج صحيحة مخالفتها تعتبر فى عرفهم أكبر الجرائم الدينيـة ، حتـى يضمنـوا لأنفسـهم الاستقرار ولذويهم التمتع بالحياة .

❁ ونحن نرى ذلك واضحا فى نفوسهم التى يبلغ الحرص على الحياة ، فيها كل مبلـغ ، ويفوق كل غاية ، مهما كانت الحياة وضيعة ، أو كانت وسـائل الحصـول عليـها أكـثر وضاعة ، وقد صور القرآن الكريم بعض مظاهر ذلك الحرص ، فقال تعالى ﴿ " ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم أن يعمر ألف سنة " ﴾[٢] ،

قال صاحب الأساس : ((أنهم فى حرصهم على الحياة كالمشركين ، فهم يرغبـون بالحياة المتطاولة ، مهما كان نوع هذه الحياة فهم أحرص الناس على طول العمر لما يعلمون من مآلهم السيئ وعاقبتهم الخاسرة عند الله ، لأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)) [٣] .

بينما العقلية التقليدية مرفوضة فى الإسـلام حتـى قـال أشـياخنا " إن إيمـان المقلـد للجـاهل لا ينجـى " ، قـال صـاحب الجوهـرة الشـيخ برهـان الديـن إبراهيـم بـن هـارون اللاقانى :

إذ كـل مـن قلـد فـى التوحيـد ∴ إيمانـه لم يخـل مـن ترديـد

ففيـه بعـض القـوم يحكـى الخلفـى ∴ وبعضـهم حقـق فيـه الكشـفى

فقـال أن يجـزم بقـول الغـير ∴ كفـى وإلا لم يـزل فـى الضـير (٤)

---

(١) يذهب كثيرا من المؤرخين إلى أن اليهود يرفضون تماما مناقشة الآراء التى يطرحونها ، طالما أنها تتعلق بـالنصوص الدينيـة ، إذ أن النص الدينى عندهم وضعه ملهمون قامت فيهم أنفسهم مقام الوحى فى النبى – راجع العقائد اليهودية الوثنية للدكتـورة / عـزة محمد ابنة عبدالغفار طبعة الدار البيضاء ١٩٧١م – الطبعة الأولى .

(٢) سورة البقرة الآية ٩٦ .

(٣) الأستاذ / سعيد حوى – الأساس فى التفسير ص١٩٠ – دار السلام للطباعة والنشر – الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

(٤) العلامة إبراهيم اللقانى – جوهرة التوحيد – مجموع مهمات المتون ص١١ طبعة الحلبى – الطبعة الرابعة ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م .

وفى الحديث الشريف أيضا قول رسول الله ﷺ على سبيل النهى المطلق لا تكن إمعة ، تقول إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسئت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا[١] ،

وعلى هذا النحو سار علماء المسلمين انطلاقا من نصوص دينهم الحنيف التى لاتقبل الأخذ عن الغير فى مجال العلوم والتمسك به واعتباره قاعدة ما لم يكن البرهان مؤازراً لـه ، ومؤيدا لقوله تعالى ﴿ " قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " ﴾[٢] .

كما أن القرآن الكريم نهى عن تقليد الآباء والأجداد ، ما داموا أنهم ليسوا من أهل العلم المتخصصين فيه المجتهدين للتعرف على أحكامه وقواعده ، وبين أن من يسلك هذا الطريق سوف يندم فى الدنيا وفى الآخرة ، أما فى الدنيا فلأن نتائج التقليد غير إيجابية ،

وأما فى الآخرة فقد صورها القرآن الكريم فى قوله ﴿ " وقالوا ربنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا ءاتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً " ﴾[٣] .

۞ ثالثا : ضرورة التفرقة بين الدين السماوى والدين الوضعى[٤] :

ذلك أن اليهودية التى جاء بها موسى عليه السلام تمثل ديانة لا دين والفرق بينهما فيه العموم والخصوص من الناحية الشرعية ، ذلك أن الدين يقوم على العقيدة والشريعة والأخلاق ، والعقيدة هى الجانب النظرى فى الدين ، وهو الثابت لدى كل الأنبياء ،

---

(١) الدكتور / سليمان سليمان خميس – نحو عقيدة قرآنية ص٤٦ مطبعة عطايا القاهرة – الطبعة الأولى ١٩٦٤م .

(٢) سورة النمل الآية ٦٤ .

(٣) سورة الأحزاب الآيتان ٦٧/٦٨ .

(٤) لفظ الدين من الألفاظ اللغوية التى تطلق على كل ما يعتقده صوابا أو خطأ ، وتميزه الصفة ، أو الإضافة عن غيره من حيث المصطلح لا من حيث اللغة ، فإذا قلنا أن الدين الذى يعتنقه البوذى مثلا ، فلا نريد بذلك إلا المعنى اللفظى ،أما إذا قصدنا الاصطلاحى فلابد من وصفه بأنه الدين الوضعى ، وكذلك إذا قلنا أن الإسلام دين قد قصد به المعنى ، وهو أنه الدين الإلهى المرسل من قبل الله ، ابتداء من آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين سيدنا محمد ﷺ ، وعلى هذه الناحية جاء قوله تعالى ﴿ " لكم دينكم ولى دين " ﴾ سورة الكافرون

وكذلك الأخلاق ، أما الشريعة فإنها ديانة تتناسب مع كل قوم على حده ، طبقا للظرف القائم والمرض المستعصى الذى جاء النبى لعلاجه .

وربما نستأنس لذلك بقوله تعالى على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام ﴿ " ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون " ﴾[1] .

وكان المولى الكريم قد عاقب بنى إسرائيل أيام موسى الكليم بتحريم الصيد عليهم يوم السبت ، وهو نوع من تحريم الأعمال والوظائف التى كانوا يعشقونها تأديبا لهم وتهذيبا ، ومع هذا فقد احتالوا عليه فعاقبهم الله عقابا شديدا ،

قال تعالى ﴿ " وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون" ﴾[2] .

كما حرم عليهم بعض الأغذية والمطعومات التى كانوا يحبونها ، كنوع من العقاب لهم والتأديب الضرورى حتى يعودوا إلى الله تعالى ، من ذلك قوله تعالى ﴿ " وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون " ﴾[3] .

فلما بعث الله نبيه عيسى إليهم بديانة يعنى بعض أحكام تتعلق بالسلوكيات الشرعية أحل معه لبنى إسرائيل بعض ما كان قد حرمه على أجدادهم من باب معاقبة الأجداد والتوسعة على الأبناء والأحفاد ، حتى يبصر خلفهم بعضا من أنعم الله عليهم ، فربما خروا إليه ساجدين ، وانقلبوا بحمده مسبحين ، وطاروا بالاعتقاد فيه جل علاه

---

(١) سورة آل عمران الآية ٥٠ .
(٢) سورة الأعراف الآية ١٦٣ .
(٣) سورة الأنعام الآية ١٤٦ .

محلقين ، ولكن ذلك كله لم تنصلح به النفوس اليهودية على ما قصت أطرافه لنا بعض الآيات القرآنية[١] .

إذن من غير الصواب أن نطلق على اليهودية بعد موسى عليه السلام أنها ديانة سماوية ، لأنها ليست مطابقة لما جاء به موسى عليه السلام ، لأن دين موسى قائم على توحيد الله وتنزيهه كغيره من الأنبياء والمرسلين لقوله تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿ " قل ما كنت بدعا من الرسل " ﴾[٢] ، وقوله ﴿ " ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك " ﴾[٣] ،

وقوله ﷺ ((" إنا معاشر الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ")) [٤] ، وكل نبى جاء بدعوة قومه للإسلام من ناحية العقيدة ، وإن اختلفت بعض أحكام تتعلق بكل منهما على جهة الشريعة .

ولما كان الدين السماوى هو الدين الإلهى من حيث التسمية ، فإن المبلغ به هو المرسل من قبل الله عن طريق النص عليه ، وبيان الأمة التى جاء إليها ، والموضوع الذى يهدف إليه ، والغاية التى يقوم بها .

وقد قص القرآن الكريم علينا كثيرا مما يتعلق بذلك فمنه :

۞ قوله تعالى ﴿ " وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون " ﴾[٥] ،

۞ وقال أيضا ﴿ " وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره " ﴾[٦] ،

---

(١) راجع موقف القرآن الكريم من عقائد أهل الكتاب – الدكتور عبدالحميد إبراهيم – رسالة دكتوراه ، وقد أفاض فى ذكر مساوئ اليهود وسلبياتهم التى كانت من أسباب غضب الله عليهم وانتقامه منهم .
(٢) سورة الأحقاف الآية ٩ .
(٣) سورة فصلت الآية ٤٣ .
(٤) مسند الإمام أحمد جـ٢ ص٣١٩ – دار الفكر .
(٥) سورة الأعراف الآية ٦٥ .
(٦) سورة الأعراف الآية ٧٣ .

ﷻ وقال أيضا ﴿ " وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره " ﴾[١] .

وبهذا يتبين لنا : أن الدين الإلهى يعين النبى ، ويحدد القوم المرسل إليهم ، وينص على الموضوع الذى جاء به ، ويؤكد الغاية التى تترتب على الإيمان أو الكفر ، وظل الأمر ذلك على نفس الحال مع كل أنبياء الله السابقين ،

حتى بعث الله خاتمهم سيدنا محمد ﷺ ،فكان للخلق أجمعين ، جعله الله للإنس كلهم ، قال تعالى ﴿ " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا " ﴾[٢] ، وجعله الله للجن ، قال تعالى ﴿ " وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين " ﴾[٣] ، بل هو ﷺ رحمة للعالمين ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين .

وربما يكون هذا مما ألهم شيخ المادحين الإمام البوصيرى فهتف وجدانه فقال :

فاق النبيين فى خلق وفى خلق ∴ ولم يدانوه فى علم ولا كرم
وكلهم من رسول الله ملتمس ∴ غرفا من البحر أو رشفا من الديمى[٤]

ويقول الراجز :

نبينا محمد قد أرسلا ∴ للعالمين رحمة وفضلا[٥]

وقد ذهب الشارح رحمه الله إلى أن سيدنا محمد ﷺ يجب اعتقاد أن الله تعالى أرسله رحمة للعالمين ، وأنه أرسله إلى المكلفين باعتبار أن الإرسال أنواع :-

---

(١) سورة الأعراف الآية ٨٥ .

(٢) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(٣) سورة الأحقاف الآية ٢٩ .

(٤) الإمام البوصيرى - ديوان البوصيرى - القصيدة الميمية ، وتعرف بالبردة ، كما يطلق عليها نهج البردة باعتبار أن البردة الأولى كتبت فى عهد رسول الله ﷺ ، وكانوا يعرفونها من خلال قائلها كعب بن زهير الذى كان الرسول ﷺ أهدر دمه بسبب هجائه له ﷺ ، فلما بلغه ذلك دخل مسجد الرسول متخفيا وأنشد القصيدة فخلع عليه الرسول بردته .

(٥) العلامة الشيخ السيد أحمد المرزوقى المالكى - منظوم عقيدة العوام - صلب كتاب نور الظلام ص٢٥ - طبع الحلبى الثانية ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م .

۞ **النوع الأول : إرسال تشريف :-**

وهو الذى جعله الله فى سيدنا محمد ﷺ للملائكة والحيوان والجماد ، فإنه ﷺ مرسل إليهم لا إرسال تكليف ، بل إرسال تشريف ، لأن طاعتهم جبلية لا يكلفون بها ، وهذا الرأى هو الذى اعتمده الشيخ الرملى فى حاشيته[١] .

۞ **النوع الثانى : إرسال تكليف :-**

وهو أنه ﷺ مرسل لجميع الإنس من لدن آدم إلى يوم القيامة حتى إلى نفسه ﷺ لدخوله فى العموم من قوله ﷺ فى الحديث الصحيح ((" وبعثت إلى الناس كافة ")) ، وقوله سبحانه وتعالى ﴿ " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا " ﴾[٢] ، فمن نفى عموم بعثته ﷺ فقد كفر .

۞ **النوع الثالث : إرسال التأمين :-**

وهذا النوع من الإرسال يخص الجمادات التى يقع لها التأمين ببعثته ﷺ من الخسف ، إذ كانت الجمادات قبله ﷺ يخسف بها كما خسف بالعاصين ، قال تعالى ﴿ " ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى لقوم المجرمين " ﴾[٣] ،وإلى هذا الرأى ذهب العلامة الشيخ محمد بن أحمد عليش ، ونقله عنه أهل الثقة[٤] .

أما الدين الوضعى ، فليس كذلك أبدا ، أنه ليس له من الدين إلا الناحية اللفظية ، بمعنى أن هذا الدين الوضعى يمثل وجهة نظر أصحابه ، ولا علاقة له بخبر السماء ،

---

(١) الشيخ محمد نووى الشافعى - نور الظلام - شرح عقيدة العوام ص٢٥ طبعة الحلبى الثانية ١٩٣٦م .

(٢) سورة سبأ الآية ٢٨ .

(٣) سورة يونس الآية ١٣ .

(٤) الشيخ محمد نووى الشافعى - نور الظلام ص٢٥ ، وهو ما عليه جمع كبير من أهل العلم ولا ممانعة فيه من جانبنا لقوله ﷺ ((" أنا سيد العالمين يوم القيامة ولا فخر ، أنا صاحب لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، أدم فمن دونه تحت لوائى يوم القيامة ولا فخر ")) راجع رجال حول الرسول للكاتب الإسلامى خالد محمد خالد المقدمة .

وأيضا فالدين الوضعى غالبا يكون مجهول المؤلف ، باعتبار أنه قد يكون صاحب الرأس ضعيف الشخصية ، لكنه استخدمه حتى يثق فيه الأغرار ، فيقبلون إليه ، فإذا استأنس من أقاموا قدراتهم على القفز فوق أكتافه أطاحوا به ،

ثم نصبوا أنفسهم نيابة عنه غرضهم جمع الدنيا ، والمحافظة عليها ، وبناء معالم رئيسية تكون ثوابت لهم ، غرضهم الأول تثبيت دعائم ملكهم ، وتوثيق عرى سلطانهم ، أو التنفيس عن الرغبات الكامنة فى صدورهم ، والدين الإلهى ليس كذلك أبدا .

وروى من حديث أبى ذرقال قلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال ﷺ ((" كانت كلها أمثال منها : أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إننى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم ، فإنى لا أردها ولو كانت من فم كافر ، ومنها على العاقل أن تكون له ساعة يناجى فيها ربه عز وجل ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها صنع الله تعالى ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب ")) (١) ،

ومنها على العاقل أن لا يكون طامعا إلا فى ثلاث تزود لميعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرم ، ومنها على العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه ، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه(٢) .

وفى نفس الوقت فإن الدين الوضعى يقتبس أفكاره من منطلقات سبقته فى محاولة منه لترميم ما انصدع أو بناء المفهوم ، أو محاولة إقامة قواعد تكون بمثابة العواطف التى يلجأ إليها أبناء جلدته الآملين فيه ،

فإذا انطلقوا إليه وحالوا تطبيق ما زعمه إليهم سقطوا ، وهو على الناحية العلمية ما ينطبق على التراث اليهودى بعد موسى فيما يتعلق بكافة القضايا التى يتعرض إليها ، ومنها عقيدتهم فى تجسيد الإله أيضا ولقد أظهرت الآيات القرآنية فساد مفهوم اليهود

---

(١) الشيخ محمد نووى – نور الظلام ص٢٢ .

(٢) من وصايا الرسول ﷺ الجزء الأول – الأستاذ / طه عبدالله العفيفى ص٢٨ الدار الذهبية ١٩٨٥م .

للألوهية ، وأنهم غيروا المفهوم الرباني الذى أُنزل إليهم عن رب العالمين إلى مفهوم اصطنعوه ، لم يثبت على ناحية من النواحى العلمية قبوله .

❁ رابعا : – ما في طبيعة اليهود من ميل للانحراف

أظهرتنا الدراسة المتأنية أن النفوس اليهودية مولعة بالأوهام تلقيا لها وإنتاجا ، وبمعنى آخر استيراداً وتصديراً ، وأبانت نصوص القرآن طبيعة تلك النفوس وخطرها على الناحية الدينية ،

إذ يحكى القرآن الكريم أن بني إسرائيل حينما أنجاهم الله من فرعون وكيده ، وأنقذهم منه ، وأسقطه هو فقال ﴿ " وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين " ﴾[1] .

فلما بلغوا الشاطئ الآخر وصاروا فى مأمن من فرعون الذى رأوا نهايته أمام عيونهم ، فإذا هم يقعون على عبدة أوثان ، لم ينتظروا ، ولم يخفوا تلك الطبيعة ، أو حتى يحاولوا التقليل من أفكارهم ،

وإنما انطلقوا قائلين ما حكاه القرآن الكريم لموسى الكليم أن هؤلاء القوم يحبون أمثلتهم ويتقربون إلى أصنامهم فهل سمحت لنا أن نمارس معهم ذلك الذى يقومون به ، أو أن تجعل لنا صنما من أصنامهم نصنع به كما يصنعون لهم .

قال تعالى ﴿ " وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون " ﴾[2] .

فلما لم يجبهم موسى كليم الله إلى عبادتهم الوثنية[3] ، وفى طبيعتهم ميل عارم إليها ، نسوا كل عهودهم مع ربهم ، وانقلبوا على موسى حتى إذا أوشكت حياته بينهم

---

(١) سورة يونس الآية ٩٠ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٣٨ .

(٣) الوثن هو التمثال ، يعبد سواء أكان من خشب أم من حجر ، أم من نحاس ، أم فضة ، والوثنية مذهب عبدة الأصنام – راجع المعجم الوجيز ص٦٦٠ باب الواو .

على الانتهاء سارعوا إلى تلبية عاطفتهم الهشة ، وإشباع طبيعتهم المريضة باصطناع العجل الذى عبدوه مع موسى السامرى .

❁ **وفى تقديرى** : أن تلك الطبيعة اليهودية قائمة على النواحى الدينية فقط ، أما النواحى المادية فهم يعملون فيها بكل طاقتهم لا يقبلون عن العمل بديلا ، ولا يرتضون أن تحول الأوهام والخرافات بينهم ، وبين الكسب المادى أو العلمى المعملى ، حتى وإن أدى ذلك إلى استعمالهم أساليب القتل الوضعية ، وألوان الخسة والنزالة ، أو السقوط فى الجنس الرخيص حتى الأنوف ، فهم فى كل حال تحكمهم طبيعة حب المال والوسائل التى تعمل على تحقيقه .

وتعليل ذلك عندى راجع إلى أن المادية هى الغالبة على اليهود ، أما الروحية فإنها تتوارى ، بل لا وجود لها ، وإذا كان لها وجود ، فإنما هو فى الألفاظ فقط ، لا فى الواقع المعاش ، باعتبار أن اليهود يرفضون الروحانيات ، ويتمسكون بالماديات ، حتى فيما يتعلق بقضايا العقيدة على وجه الخصوص ،

وآية ذلك أن عقولهم لم تقفز بالتوحيد إلى التنزيه ، وإنما هبطت به إلى التجسيد ، والتوحيد المنزه شرع الله ، والتوحيد المجسم شرع غير الله ((فارتبطت فكرة الإله عندهم بصورة الإنسان ، بكل ما تحويه هذه الصور من نقائض وأخطاء ، وما يشوبها من كذب وإدعاء)) [١] .

❁ **خامسا : تزييف المصادر التى يعتمد عليها اليهود :-**

عرفنا أن المصادر التى يستقى منها اليهود بعد موسى - إلى الآن - تتمثل فى نصوص العهد القديم ، التلمود ، والبروتوكولات ، وهذه الثلاثة لم يقع اتفاق بينهم حولها ، إذ كل فريق منهم يطلق عليها التوراة ، وهم التوراتيون ،

(١) الدكتور / محمود محمد مزروعة - الدين وحاجة الإنسان اليه ص١٠٦ - دكتوراه مخطوطة بكلية أصول الدين القاهرة .

وفريق آخر يطلق عليها العهد القديم ، وهم الآخرون ، ولا يزالون حولها يختلفون ، فلو كان ذلك المصدر موثقا عندهم ما وقع الاختلاف حوله فيما بينهم[١] .

كما أن كتاب ومفسرى وشراح العهد القديم يعلنون فى أكثر من مناسبة جهلهم بمؤلفى الأسفار التى بين أيديهم ، كما يعلنون عدم معرفتهم بالتاريخ الذى ألف فيه ، كما يقررون أن أغلب تلك الأسفار منحول ، وليس منسوبا لشخص معروف فى مكان معروف على وجه معروف ،

وآية ذلك ((أن خلود النفس البشرية قديم فى الشر ، وقد آمن بها المصريون والسوريون ، وعلم بها فلاسفة اليونان ، وحكماء الهند والصين ، والعهد القديم ، انبنى على هذه الفكرة فقد انتقل أخنوخ إلى السماء ، وإليها صعد إليا ، وكانت فكرة الخلود أساسا للشريعة والناموس الموسوى ، وخاصة فى أمر الكفارة والذبائح ، مع أن أسفار موسى لم تصرح بتلك الفكرة أصلا ، كما لم تتحدث عن الآخرة أبدا)) [٢] .

وفى نفس الوقت فإن أسفار العهد القديم ليست وحدها التى لم تسلم من تلك الاضطرابات ، وإنما وقع ذلك على التلمود[٣] ، الذى يعرف بأنه باسم عبرى يقصد به التعليم ، وينقسم إلى قسمين من حيث الموضوع :

- **الأول المشنا** :- وهو ذات الموضوع التى هى عبارة عن مجموعة من تقاليد اليهود المختلفة مع بعض آيات الكتاب المقدس[٤] ، واليهود يزعمون بأن هذه التقاليد أعطيت لموسى شفويا حين كان على الجُبل ، ثم تداولها هارون واليعاذر ويشوع وسلموها للأنبياء ،

---

(١) الدكتور / محمد عزت - اليهود من خلال مصادرهم ص٨٧ طبعة ١٩٦٢ - مطبعة الإستاد القاهرة الطبعة الأولى ، وراجع أيضا اليهودية للدكتور / أحمد شلبى ، اليهود فى موكب التاريخ ، اليهود والأندلس للدكتور محمد بحر عبدالمجيد ، موقف القرآن من عقائد أهل الكتاب ، وكثيرون من غيرهم ممن عنوا بالحديث عن المصادر اليهودية .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص٦١٣ .

(٣) يختلف اليهود فى التلمود هل هو واحد من حيث العدد ، أو أكثر كما يختلفون ، باعتبار المكان ونشأ عن هذا الاختلاف تفسيرات كثيرة - راجع التلمود شريعة بنى إسرائيل - جورج منشن ص٣٥ ترجمة وفاء صادق طبعة دارميذ ١٩٥١م.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص٢٢٢ .

ثم انتقلت من الأنبياء إلى أعضاء المجمع العظيم وخلفائهم حتى القرن الثانى بعد المسيح ، حينما جمعها الحاخام يهوذا وكتبها ، ومن ثم صار هذا الشخص يعتبر جامعا للمشنا(١) ، التى تمثل ذات الموضوع المتعلق بالتعليم على ما سلف القول به ، وأن يهوذا(٢) الحاخام اليهودى ، وهو الجامع له والكاتب .

- **الثانى الجمارا** : وهو التفسير ومجموع المناظرات والتعاليم والتفاسير المفصلة التى جرت فى المدارس العالية ، بعد انتهاء المشنا ، وتسمى التفاسير المسطرة(٣) ، ومجموعها – الشفوية – المسطرة أو المشنا-الجمارا – يمثل التلمود على وجه العموم ، وينوع هذا المجموع إلى نوعين :-

- **الأول : يعرف بتلمود أورشليم** ، وقد كتب بين القرنين الثالث والخامس ، والذين كتبوه هم حاخموا طبرية .

- **الثانى : تلمود بابل** :- وقد كتب في القرن الخامس ، ويذهب المسيحيون إلى القول بأن التلمود يساعدنا كثيرا فى درس تعاليم المسيح ، فإنه يفسر بعض الإشارات والاستعارات الموجودة فيها(٤) .

---

(١) المصدر السابق

(٢) اختلفت المصادر المتعلقة بشرح العهد القديم فى يهوذا على أقوال منها :-

١- أنه رابع أبناء يعقوب من ليئه ، وولد فيما بين النهرين ، وأعطى هذا الاسم لشكر أمه للرب عند ولادته – راجع سفر التكوين إصحاح ٢٩ عدد ٣٥ .

٢- أنه كان أبرز الأسباط التى ظهرت مع سبط افرايم ، وكان يتمتع بقوة حربية ، حتى سميت العاصمة التى سكن اليها باسم أرسيل ، ومعناه أسد الله .

٣- وقيل أبو اللاويين .

٤- وقيل كاهن من الذين صاروا بآلات الغناء عند قدسية الهيكل أيام نحميا .

٥- يهوذا المكابى محرر اليهود من يد السريان .

٦- يهوذا الإسخريوطى بن سمعان ، وهو التلميذ الذى خان سيده فى العهد الجديد – قاموس الكتاب المقدس ص١٠٨٥/١٠٨٩.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٢٢٢ .

(٤) المصدر السابق ص٢٢٢ .

۞ **وفى تقديرى** : أن المسالة تحتاج من دارس الأديان نظرة متأنية ، إذ يذكر قاموس الكتاب المقدس أن الذى جمع التعاليم الشفوية المشنا هو الحاخام يهوذا فى القرن الثانى بعد المسيح ، وأُنه الذى كتبها ،

ثم يأتى نفس الكتاب ، ويتحدث عن يهوذا دون أن يشير إشارة واحدة إلى جامع أو مؤلف هذا التلمود ، فكأنه اعترف به مرة ، ثم أسقطه من حسبانه أخرى ، مما يجعل الدارس يقف حيبيا من تلك الأفكار ـ أيقبلها مع تناقضها الشديد أم يرفضها ؟

والقوم يؤكدون على جزء منها ، ثم يعودون إلى النقض ، فهم أقرب ما يكون إلى العابث الذى يقيم بناء هشا ، فإذا انتهى من بنائه أسقطه على المحيطين به ، ومثله لا يمكن قبوله على الناحية العلمية كمصدر من مصادر اليهودية الصحيحة ، وإن قبل عند بعضهم على الناحية التى جاء منها ،

فلو كان مصدرا صحيحا لتمسكوا به ، وما وقعوا فى هذا الاختلاف الذى انتهى بالدارس إلى فقدانه الثقة العلمية فى ذلك التلمود بقسميه ، أما البروتوكولات ، فليست بحال أحسن من سابقيها ، وإنما هى أكثر سقوطا ، أما لماذا ؟

فلأنهم يلقون بالبروتوكولات بعيدا عن دراستهم الفنية ، إذ لم يكن لها ذكر فى العهد القديم ، كما لم يرد لها أى تلميح ، أو تصريح فى المصادر القديمة عندهم ، مما يجعلنا لا نغرق فى الخيال ، إذا قلنا أن البروتوكولات تمثل اتجاها سياسيا أكثر مما تمثل نصا دينيا ، أو أنها فى كل حال يمكن اعتبارها مصدرا للعقيدة الصهيونية[1] ، والتى انبثق عنها من يهودية سياسية ، وأخرى اقتصادية ، وثالثة علمية أو عسكرية .

(١) « الصهيونية تنسب إلى جبل صهيون بفلسطين ، وهو أحد جبال أربعه أقيمت عليها مدينة أورشليم » راجع الصهيونية بين الدين والسياسة - عبدالسميع الهراوى ص٢٥ - الهيئة العامة للكتاب ، وقيل هى عقيدة قومية سياسية لم تولد من اليهودية ، بل من القومية الأوربية فى القرن التاسع عشر - ترجم قسم الترجمة بدار العد - سلسلة كتاب العد- الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية - رجاء جارودى .

ساقطة

من أصل

المصدر

ومن المؤكد : أن كل نبى يقف بأتباعه علـى عتبـة البحـث العلمـى والتميـيز العقلـى ، حتى إذا استوثق من قدراتهم طفق بـهم يـدرج فـى جنبـات البحـث العقلـى المتمـيز ، باعتبار أن مسائل العقيدة الدينية لها جانبان :-

- **الأول : الجانب القلبى :-**

وهو المتعلق بالإيمان على الناحية النظرية ، التى يكـون القلـب فيـها هـو السـيد ، والضمير لـه المراقـب ، والوجـدان حولهمـا يحيطـهما بالكثـير مـن العنايـة ، والأكـثر مـن الاهتمام ، وذلك الجانب لا يحتاج أكثر من القلب الربانى[1] ، الذى يلتمس مواطن الهداية من داخله لا من خارجه ، وهو يمثل فى مفهومنا الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، فمن أبقاها على ما هى عليه استفاد من أنوارها ، ومن طمسها فقد أضاع حقـا مـن حقـوق الله ، أودعها إياه .

- **الجانب الثانى : العقل المعرفى :-**

وهو ما يتعلق بالعلوم والمعارف وعلى الناحية الدينية تكون مهمتـه الاسـتدلال علـى العقيدة الإيمانية ، التى ثبتت فى قلبه واستقر عليـها وجدانـه ، وانعقـدت فـى ضمـيره ، وذلك لم يتوفر شيئا منه لا الجانب الإيمانى ، لأنـهم وقعـوا فـى التجسـيم ، ولا الجـانب المعرفى العلمى ، لأنهم لم يتمكنوا من إقامة دليـل علـى مـا ذكـروا فـى كتبـهم مـن عقـائد اجتمعوا عليها أو تفرقوا بها ،

---

(١) هناك فرق بين القلب الربانى والذى يسميه العلماء القلب النورانى ، وهو الوارد فى النصوص الدينية ، ومنه ما ورد فى الأثر عـن رب العزة جل وعلا ما وسعنى أرض ولا سمائى بقدر ما وسعنى قلب عبدى المؤمن الإتحافات السنية حرف الميم ، وقولـه ﷺ فى الحديث الشريف ((" إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ")) الطبرانى - المعجم الكبـير ، القلـب العضلى الذى يضخ الدم ، ويؤدى وظائف فسيولوجية فى الجسم ، ويمرض ويصح ، ويتم فيه استبدال بعض الأوردة ، وهو ليـس المراد عندنا فى العلوم النظرية ، وكذلك فى العلوم الدينية ، ويعرف عند علماء الفسيولوجي بانه القلب الطبيعى .

ومثلهم يصعب على الدارس لمقارنة الأديان المنصف أن يقبل الأفكار التى انطلقوا فيها كمبادئ[١] ، وانتهوا إليها كنتائج[٢] ، فيما يتعلق بقضايا العقيدة الإلهية على ما ذكره .

❁ سابعا : احتراف دعاة اليهودية الكفر :-

احترف دعاة اليهودية الكفر بكل صورة ، وإذا كنا قد عرفنا أن أهل الكفر ملة واحدة كافرة ، فإن كفر هؤلاء تعددت جزئياته إلى الحد الذى يجعل إحصائها أمرا خارجا عن نطاق الدراسة التى خصصناها للحديث عن عقيدة تجسيد الإله عندهم .

لكن الأقسى على الناس هو ما تخلف من هذا الاحتراف الكفرى الذى طغى على كل ناحية عندهم ، وباتت آثاره مدمرة للقيم والعقيدة والأخلاق ، بل بات أن آثار ذلك الاحتراف قد اندست فى صفوف النسيج البشرى ،

وقد التحف بها بعض الأغرار الذين خلطوا بين العقيدة والعلم ، أو بين الإيمان والمعرفة ، فظنوا أنه كما نجح اليهود فى الجانب العلمى فإن نفس النجاح يمكن أن ينسب إلى الجانب الإيمانى ، متناسين أن اليهود ماديون ، وأنهم لا يعتقدون فى القضايا الإيمانية ، باعتبار أن الأساس الذى يقومون عليه غير متوفر عندهم .

وفى هذا إخلال بالموازين القائمة ، وإهدار للحقوق الثابتة ، واعتداء على أبسط حقوق الله على عبادة ، وهى أن يعرفوه ويؤمنوا به ، ويقيموا الأدلة المتعددة على إثبات وجوده تعالى ، وتنزيهه لا ككائن غيبى[٣] ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا ، وإنما باعتبار أنه الإله الواحد الخالق الرازق ، الذى ﴿ " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" ﴾[٤] .

---

(١) سبق أن ألمحنا إلى تأثر اليهودية بعد موسى عليه السلام بالأفكار الوثنية فى هذا الجانب ، وبينا أنهم قبسوا منها حتى الثمالة ، وذلك أثناء عرضنا لجزئيات تجسيد الإله عندهم من هذا الكتاب .

(٢) بدليل أنهم صوروها فى نصوصهم الدينية ، وأطلقوا عليها أسماء تتناسب مع ما يطلق على الدين عموما ، وهم فى كل الحالات لم يكونوا على قناعة بما يقومون به ، وليس لديهم من أمر سوى الطعن على نبوة سيدنا محمد ﷺ حقدا وحسدا قاتلهم الله أنا يؤفكون .

(٣) يذهب كثير من اليهود ومعهم المسيحيون إلى أن الله كائن لدى اليهود ، وغيبى لدى المسيحيون ، وهو جوهر - القس ملاك جرجس - ألوهية يسوع ص٣٧ طبعة دار منش ١٩٣٧م بالقاهرة .

ونحن نرفض هذا التصور لان الكائن من صفات المخلوق ، وليس من صفات الخالق ، كما أن لفظ الجوهر سواء كان ماديا أو غير مادي فإنه إحدى سمات المصنوع لا الصانع - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - راجع حبو الوليد فى علم التوحيد ص٢١٧ للأستاذ الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى - الطبعة الأولى ١٩٩٥م

(٤) سورة الشورى الآية ١١ .

الخاتمة

أصحاب البحث التخصصي يذهبون إلى أن كل علم له مبادئ[1] ، يقوم عليها ومبادئ[2] ، تمثل البدايات للموضوع المطروح ، وتعرف باسم المقدمات أحيانا ، وهي تمثل في الغالب الأعم تلخيصا لأبواب البحث إن كان مكونا من أبواب ، وفصوله أو مباحثه ، والمسائل التي تعرض لها ، والمنهج الذي استخدمه للسير فيها كل ذلك على وجه الإجمال ، باعتباره إشارات ضوئية ، أو مفاتيح لباقي الكتاب على وجه التفصيل .

كذلك فإن الخاتمة عندهم تمثل تلخيصا دقيقا لأهم نتائج البحث والتوصيات التي ترى ضرورية ، والمقترحات التي يجد الباحث نفسه مضطرا للإعلان عنها ، حتى تنال الدراسات الكافية حولها ،فتتضح أكثر من ذي قبل ، وتفتح لمعارف ربما تكون في الماضي مغلقة .

وطبقا لتلك المفاهيم المعروفة لدى الدارسين ، وتجرى في المباحث العلمية الدقيقة على الجانب الأكاديمي ، فإني سأحاول القيام بذلك على النحو التالي :-

❁ **أولا : وجود فوارق دقيقة بين اليهودية كديانة جعلها الله مع سيدنا موسى واليهودية السياسية :**

❁ **أما اليهودية كديانة** : فهي التي جعلها الله مع سيدنا موسى عليه السلام وكتابها التوراة المنزلة من قبل الله تعالى ، والألواح التي ورد ذكر إشارة عنها في القرآن الكريم من قوله

---

(١) المبادئ جمع مبدأ ، وهو القاعدة أو الأصل الذي يقوم عليه غيره ، حتى يصل الأمر بالمقدمات إلى النتائج ، فالمبادئ هي القواعد العامة الثابتة التي يجب استخدامها في كل علم على حده .

(٢) المبادئ هي المطالع التي يبتدأ بها البحث العلمي لما هو معروف من أن لكل علم مبادئ ومقاطع ونهايات - راجع الرسالة الشمسية للعلامة الرازي ، وكذلك البصائر النصيرية للعلامة ابن سهلان الساوي ، وكذلك الغزاليات في منطق التصديقات ، فكلها تحدثت عن المبادئ وعلاقتها بالعلوم والفنون ، إذن هناك فرق بين المبادئ والمبادي - راجع بالتفصيل الرسالة الشريفية في أدب البحث والمناظرة للعلامة الشيخ عبدالله الرشيدي طبعة الحلبي ١٩٣٨ .

تعالى ﴿ " ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هـدى ورحمـة للذيـن هم لربهم يرهبون " ﴾[١] .

وكذلك الإشارة القرآنيـة عـن صحـف موسـى ﷺ ، قـال تعـالى ﴿ " إن هـذا لفـى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى " ﴾[٢] .

والشعب هم بنو إسرائيل الذين بعث الله سيدنا موسى ﷺ لهدايتهم ، وجاء معـه أخوه هارون نبى الله وزيرا ونبيا يخلفه فى قومه ، قال تعالى ﴿ " واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى " ﴾[٣] .

❁ وأما اليهودية السياسية : هى التى ظهرت بعد موسى الكليم ، وفيـها صفـات النقـص التى نسبوها لإلههم ، وصفات القبح والقدح ، التى خصوا بها أنبياءهم ، وتعـبر عنـها كتبهم التى بأيديهم ، وهى العهد القديـم[٤] ، والتلمـود بجـانب تعـاليم الحاخامـات ، ورجال اللاهوت عندهم ، ثم تأتى الـبروتوكولات معـبرة عـن الجـانب التطبيقـى لذلـك الفكر المنحرف من كافة نواحيه .

❁ ثانيا : عدم وجود نصوص دينية الآن صحيحة النسبة لسيدنا موسى كليـم الله يعتمـد عليها اليهود

إذ أنهم يقررون انقضاء موسى وتعاليمه ، واستبقاء ما بأيديهم من تعـاليم اقتبسـوها من ثقافات الأمم الوثنيـة[٥] ، التـى نزلـوا إليـها فـى المـاضى قبـل الإسـلام ، ومـا يزالـون يتمسكون بها ، وعلى عهدها قائمين كرها للحق وحبا للباطل ، وسـعيا لتمسـك الخيـالات والأوهام ،

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٥٤ .

(٢) سورة الأعلى الآية ١٨/١٩ .

(٣) سورة طه الآيات ٢٩/٣٢ .

(٤) يرفض اليهود تسمية ما بأيديهم باسم التوراة ، وانما يطلقون عليها اسم العهد القديم ، والفرق بين الاطلاقين هو نفس الفرق بـين التوراة الإلهية المنـزهة وأسفار العهد ا لقديم التى كتبها من لا يوثق فيهم ، وهى محرفة .

(٥) سبق أن عرضنا تأثر اليهودية بالمصريين القدماء فى عبادة العجل ، وكذلك تأثرهم بالكلدانيين واليونان على النحو السابق .

كما هى طبيعة العقلية اليهودية ، بعد نبى الله موسى ، حتى يومنا هذا ونفسياتهم تلك قد عبر عنها القرآن الكريم فى قوله ﴿ " وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون " ﴾[١] ، وقال أيضا ﴿ " فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين " ﴾[٢] .

❁ **ثالثا : فقدان اليهودية كديانة سماوية[٣] ، جاء بها كليم الله موسى عليه السلام**

ومتى افتقد النبى المرسل والكتاب أو الكتب التى تصور رسالته ، وانفرط الناس عنها – النبى والكتاب – تلاشت الأحكام التى جاء بها ، ولم يعد لها وجود فى الواقع العقلى ، ولا الفعلى على طريق الممارسة لها ،

وبالتالى فإن محاولة إيجادها تمثل لونا من ألوان الضرب فى الخيال ، وركوب أكتاف واستخدام أسماء لا وجود لها ، وعلى الدارس المنصف أن يأخذ باعتباره هذه المفاهيم[٤] ، وإلا وقع هو الآخر فى تقليد المذموم ، وجاءت نتائجه على هذا الوجه الذى يحمل الكثير من ألوان القصور .

❁ **رابعا : اهتزاز الثقة فى المصادر التى تحمل الفكر اليهودى بعد موسى عليه السلام على الناحية الدينية باعتبار أنها لم تسلم من النقودات التى أعلنها المنتسبون لتلك اليهودية أنفسهم .**

---

(١) سورة البقرة الآية ٨٨ .

(٢) سورة البقرة الآية ٩٠ .

(٣) هناك فرق بين الدين والديانة ، فالدين عقيدة وشريعة وأخلاق ومعاملات والديانة تمثل جزئا من الدين متعلقا ببعض الأحكام والمعاملات .

(٤) راجع الدين بحوث ممهدة لدراسة الأديان – الدكتور / محمد عبدالله دراز ، وعلم مقارنة الأديان المقارنة – الدكتور / محمد عبدالغنى شامة ، والأجوبة الفاخرة فى الرد على الأسئلة الفاجرة للإمام القرافى ، ولأمية الإمام البوصيرى شرح الشيخ أحمد على فهمى ، وغيرها من الكتب التى تعرضت لبيان ذلك الجانب .

كما أنها لا تمثل فى ذات الوقت اتجاها مقبولا على الناحيــة الشـرعية أو العقليـة الصحيحة ، ومــن ثـم فـإن التعـامل معـها يجـب أن يكـون علـى نفس المسـتوى ، يقـول ليوتاكاسيل :

((إن المؤلف يحدثنا عن صفات جنسية قذرة ، ثم يأخذنا من قصــة جنسـية قـذرة إلى أشد منها قذارة)) [1] ، وهو يتحدث عـن قصـة داؤد عندهـم وتصويرهـم لـه فـى صـورة الدون ، أو زير النساء[2] ، مما يترفع عنه أصحاب القيم السـليمة فمـا بـالك إذا كـان ذلـك الرجل ملك من سلاله الكهنة .

۞ خامسا : بيان أن اليهودية كديانة مع موسى عليه السلام انقضـت ، وأنـها بعـده انتـهت ، وأن أنبياء الله لبنى إسرائيل لم يسـتطيعوا تعبيـد النـاس للخـالق العظيـم ، حتـى جـاء عيسى عليه السلام الناصرى ليصلـح أخطاءهم ، ولم يوفـق هـو الآخـر ، بدليـل أنـهم حـاولوا القبض عليه ، وتقديمه قربانا لبلاطس الرومانى ، حتى يخلصهم منه[3] ،

فلما انقضى أمره بينهم ((من غير قتل أو صلب كمـا يزعمـون)) ظلـوا فـى ديـاجر الظلام يتخبطون ، ثم أقاموا لأنفسهم سبلا من التحريف جمعوها تحت مسمى قديم ينطوى تحته الكثير من طوائفهم ، وغايتهم امتلاك الدنيا بكـل مـا فيـها وحدهـم ، أمـا وسـيلتهم فقائمه باعتبار أن الغاية تبرر الوسيلة ،

ولذا فإننا نميل إلى تسميتها باليهودية السياسية ، باعتبار ارتباطها بتحقيق مصالح مادية ودنيوية ليس أكثر من ذلك .

---

(١) ليوتا كاسيل - التورات كتاب مقدس ام جمع من الأساطير ص٣٧٩ - ترجمة حسان ميخائيل إسحاق - الطبعة الأولى ١٩٩٤م

(٢) ذكر العهد القديم أن داؤد هذا قد تزوج من امرأة بعد قتل زوجها ، ثم خطف الثانية من قلبها فدست السم لزوجها ، وأغــرق الثالثة فى قوته وسلطانه ، ثم تأمر على زوجها فقتله من خلال القائد العام للجيش .

(٣) نحن المسلمين نؤكد أن نبى الله عيسى ابن مريم بشر رسول من قبل الله تعالى وأمه صديقة طاهرة بتول وأنه لم يقتل ، و لم يصلـب وأن الله تعالى أنجاه من أيدى خصومه ، قال تعالى ﴿ "وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه مـا لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا " ﴾ سورة النساء الآية ١٥٧ .

❁ **سادسا** : أن عقيدة التجسيد للإله عند اليهود سواء وضعت فى مصادرهم المتفق فيما بينهم عليها ، أو جاءت فى الشروح ، فإنها لا يمكن قبولها على الناحية العقلية ، ولا الشرعية ، كما أن الفطر السليمة تأباها .

❁ **سابعا** : أن التأويل الذى يلجأ إليه المدافعون عن عقيدة التجسيد للإله لدى كتاب العهد القديم وشراحه ، إنما هو تأويل زائف ، لم يقم على أسس مقبولة ، لما هو معروف من أن التأويل يكون فى اللفظ الذى يحتمل أكثر من معنى ، أما اللفظ الذى لا يحتمل سوى معنى بعينه ، فإن تأويله يكون مرفوضا ،

وأن الدارس لأسفار العهد القديم ، وما يجرى فى أعراف شراحه ومكرريه ، ينتهى إلى أن التجسيد للإله عندهم أو دعوة فى نصوص غير قابلة لحمل أكثر من معنى ، وإذا حملت على أكثر من معنى ، فإن موقعه فى التجسيم عليه أيضا ، بل ومغرقة فى التجسيد على كافة نواحيه .

❁ **ثامنا** : أن الدارس وقع على نصوص كثيرة فى العهد القديم كلها تؤازر بعضها فى إثبات التجسيد للإله تعالى على الشكل الذى تجسد فيه الحواس ، فهو يتجسد فى المكان عندهم ، كما يتجسد فى الزمان والحركة ،

وفى نفس الوقت فإنهم يجسدونه أطرافا من وجه إلى عين ، ومن أنف إلى فم ، وأذن بجانب اليد ، والرجل ، ولو أخذوا بتجسيد المفاهيم[1] ، بمعنى تقريبها إلى العقول لكان لذلك أمر آخر ، لكنهم أكدوا على التجسيد المادى المحسوس الذى تحكم الحواس بوجوده[2] ،

---

(١) يعرف هذا النوع من تجسيد المفاهيم لدى علماء البلاغة باسم تشبيه المعقول بالمحسوس ، حيث أن هذا النوع يقع بين أنواع أربعة فصل القول فيها علماء البيان – راجع تنوير الأذهان فى علم البيان ، وحاشية على السمرقندية فى علوم البلاغة لشيخ الإسلام العلامة إبراهيم الباجورى – طبعة الحلبى الأخيرة ١٩٣٦م ، وغيرها من هذه المؤلفات .

(٢) لو لم ترد النصوص فى العهد القديم مبينة أن الكثيرين هم الذين رأوا الله عندهم مجسدا ، ربما كان التأويل أيسر فلما لم تكن تلك النقطة قائمة ، فليس من اليسير إلا الحكم بأنه تجسيد للإله عندهم على الحقيقة ، كما ذهبوا اليه هم .

وقد عرضنا صورا منه ، ثم ناقشناه على تلك الناحية المدونة بباطن هذا الكتاب فى نفس الوقت ، فإن النصوص التى يتمسك بها كتاب العهد القديم وشراحه قد مالت بهم إلى تجسيد الله عندهم فى صورة الإنسان المختلفة ،

وكذلك صور الحيوان المتباينة ، كالعجل والأفعى والحية والبعل ، وغيرها كما جسدته فى صور أخرى[١] مختلفة تركتها لدارس آخر يقوم بها على الجانب العلمى ، فيعرضها ويناقشها ، ويحكم على النصوص التى جاءت بها[٢] .

❁ **تاسعا** : ضرورة إعادة النظر فى تلك المؤلفات التى يأخذها الناس مأخذ التسليم والقبول على أنها من قبل الله صادرة ، أو أن فيها بعضا من التحريف ، وليس كل ، أو أن التحريف فى المعنى ، وليس فى اللفظ ، لأن ذلك لم يقم الأدلة له ، وإنما انتهيت إلى عكسه تماما ،

إذ القارئ أو الدارس ربما يصعب عليه أن يرضى بتلك الأفكار التى تجرح مشاعره الدينية ، وتقضى على قيمه الأخلاقية ، إذ كيف يتساوى الإله الأعظم عندهم بأقل المخلوقات – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا – .

فالعقل الصحيح لا يمكنه التسليم بالخرافات ، فلو كان الله من ذلك النوع لكان مخلوقا ، وهل يمكن أن يكون مخلوقا وخالقا فى آن واحد ؟ إن ذلك محالا عقلا ، وبالتالى فإن المصادر التى تنقله والعقول التى تردده ، والقضايا التى تحمله قبولها محال عقلا أيضا .

---

(١) من ذلك تجسيدهم للإله فى صورة البعل ، وعشتاروت من الأصنام والتماثيل والمرتفعات التى بنوها مما ذكره العهد القديم فى أسفاره الموجودة بين دفتيه .

(٢) آمل أن يقوم دارس متخصص بتناول تلك المسالة على الناحية العلمية المنهجية ، وكان بودى أن أقوم بها ، ولكن خشيت الإطالة ، وأن تختلط الأمور لدى القارئ ، أو أكون قد حجزت مكانا يمكن أن يقوم بدراسته آخر .

وبعد فلا أزعم أننى أنهيت الحديث فى ذلك الموضوع ، أو أغلقت الطريق على من يأتى بعدى فيعيد النظر فيما انتهيت إليه من جديد ، وربما يقرر أمرا آخر فتلك الأفهام من أمر الله ، ومن فضله تعالى ،

وفى الحديث الشريف ((" من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وإنما أنا قاسم والله عز وجل يعطى ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله ")) [1] .

وما دمنا قد انتهينا إلى أن تلك الأفهام من فضل الله وتوفيقه ، وأنه جل علاه يؤتيها من يشاء على قدر ما يشاء ، فإنى قد اجتهدت قدر طاقتى ، وأسأل الله أن يثبت على الحق خطانا ، وللخير هوانا ، ولصالح العمل سرنا ونجوانا ، إنه من وراء القصد وعليه التوكل .

﴿ " ربنآ آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار " ﴾[2] ، ﴿ " ربنآ آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا " ﴾[3] ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) شرح المبدى بشرح الذبيدى ص١٨ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠١

(٣) سورة الكهف الآية ١٠ .



[١] افتقاد النصوص الدينية صحيحة النسبة لسيدنا موسى – كليم الله – إذ أن النصوص الدينية صحيحة النسبة لنبى الله موسى عليه السلام هى :-

- التوارة ، قال تعالى ﴿" وأتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل " ﴾(١) .
- الألواح : قال تعالى ﴿ " ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون " ﴾(٢) .
- الصحف : قال تعالى ﴿ " إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى " ﴾(٣) .
- بينما كل التراث الذى ينسب إلى اليهودية الآن يقع فى ثلاثة هى : (العهد القديم ، التلمود ، والبروتوكولات) ولا علاقة للثلاثة الأخيرة بالثلاثة الأولى .

[٢] فقدان اليهودية كديانة وشريعة موسوية ، لأنه متى افتقد النبى المرسل والكتب التى تصور رسالته وتلاشت الأحكام التى جاء بها ، فإنها لا تعتبر موجودة فى الواقع ، وإن محاولة إيجادها ليمثل لونا من ألوان استعلاء الأكتاف تحت أسماء لا وجود لها ، وعلى الدارس أن يأخذ باعتباره هذا المفهوم .

[٣] اهتزاز الثقة فى المصادر التى تحمل الفكر اليهودى على الناحية الدينية باعتبار انها لم تسلم من النقود ، وهى فى ذات الوقت تمثل اتجاها بعيدا عن الناحية الشرعية ، وبالتالى فإن التعامل معها يجب أن يكون على نفس المستوى .

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢ .
(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٤ .
(٣) سورة الأعلى الآيتان ١٨/١٩ .

[٤] وجود نوعين من اليهودية إحداهما دينية كانت مع موسى عليه السلام ، وقد انقضت وجاء عيسى عليه السلام ليصلح الأخطاء ، حتى انقضى أمره ، وبه انقضت اليهودية على تلك الناحية رسولا ورسالة ، أحكاما وشريعة وأخلاقا ، أما الأخرى التى قامت على أنقاضها فهى اليهودية السياسية التى تمثلها طوائف اليهود منذ نزول القرآن الكريم إلى وقتنا الحاضر ، ومصادرها العهد القديم ، والتلمود ، ، والبروتوكولات ، وغايتها امتلاك الدنيا بكل ما فيها ، أما وسيلتها فكل شيء مباح ، باعتبار أن ا لغاية تبرر الوسيلة ، ولذا قلنا أنها سياسية باعتبار أن الغاية منها مرتبطة بتحقيق مصالح مادية دنيوية ليس أكثر .



التوصيات

[١] التزام الحيدة والموضوعية فى دراسة مقارنة الأديان على وجه الخصوص باعتبارها أمور تتعلق نتائجها بقضايا يصعب تدارك سلبياتها ، إن وقع الدارس فى سلبيات فقد يسلم بصدق معلومة لم تثبت صحتها .

[٢] مراعاة المنهج المناسب بالنسبة للموضوع المطروح نفسه ، فإن كان فى تاريخ الأديان استخدم المنهج التاريخى ، وإن كان فى مجال المقارنة استخدم المنهج المقارن ، وبالتالى لابد من مراعاة المنهج المناسب فى الدراسة المطروحة .

[٣] عدم التسليم للنتائج المسبقة والعواطف المتحيزة والثقافة السابقة ما لم تكن لها قواعد مؤكدة وبراهين ثابتة ، فإن ذلك يضر ولا ينفع .

[٤] استخدام المنهج العلمى فى الوصول للأدلة ، بحيث تكون القاعدة الثابتة ، والحكم الأكيد للنتيجة المستولدة من الأدلة الصحيحة على سبيل البرهان أو اليقين القطعى .

[٥] المحافظة على أدلة كلا من الطرفين أو الأطرف التى تتم بينها المقارنة وعدم إغفال أى دليل منها مهما كان صغيرا ، وفى نفس الوقت عدم المغالاة فى إبراز السلبيات ، وتجاهل الإيجابيات ، حتى لو كان ذلك مخالفا لإتجاهات الدارس نفسه .

[٦] الوصول للمعلومة من خلال مصادرها الصحيحة عند أصحابها أولا ، وكذلك التمسك بالمفاهيم والتفسيرات التى يقوم بها أتباعهم آنا بعد آخر ، محافظة على ذلك التراث الذى ينتسبون اليه .

المقترحات

[١] دراسة العقائد التى يتبناها اليهود دراسة منظمة من خلال مناهج ثابتة تقوم على العلم أولا ، ثم الإعتقاد ثانيا ، وليس العكس .

[٢] إعادة النظر فى المصادر التى عنيت بالأخلاق لدى اليهود ودراستها دراسة متأنية

[٣] الوعود فى العهد القديم بين القبول والرفض .

[٤] مفهوم النبوة والنبوات فى العهد القديم والقرآن الكريم دراسة مقارنة .

[٥] أثر العقائد فى تكوين الدوافع لدى اليهود وموقف الإسلام منها .

[٦] علاقة العهد القديم بالواقع المعاش لدى اليهود .

[٧] قصة الخلق فى اليهودية ، ومدى مطابقتها للقواعد العلمية .

[٨] الظواهر الكونية فى أسفار العهد القديم والعلم الحديث دراسة مقارنة .

[٩] حيوانات العهد القديم بين الحقيقة والخيال .

[١٠] كتاب العهد القديم بين الواقع والخيال .

[١١] أسفار العهد القديم بين القبول والرد .

[١٢] علاقة الثقافة المصرية القديمة باليهودية السياسية .

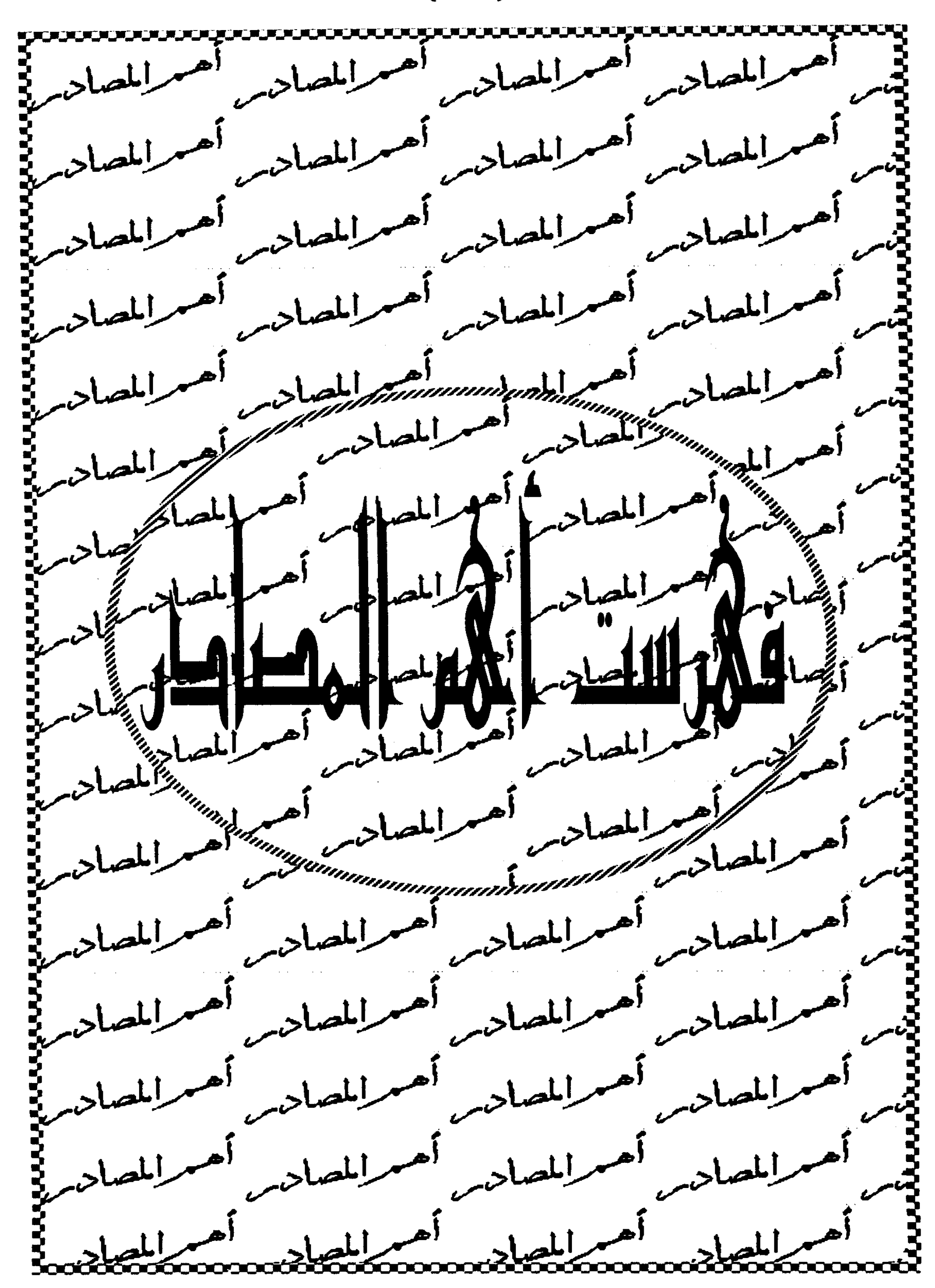
[١٣] أثر الفكر الفارسى على التراث اليهودى .

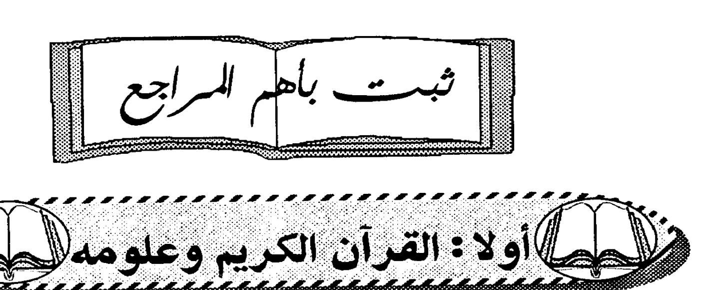
[١٤] صياغة أسفار العهد القديم من الناحية العلمية .

[١٥] القوى الطبيعية وأثرها فى تدوين أسفار العهد القديم .

[١٦] دور القصة فى روايات العهد القديم .

[١٧] الخيال ودوره فى أسفار العهد القديم .


فهرست أهم المصادر
أهم المصادر



(١) تفسير القرآن العظيم – الإمام / ابن كثير ت : ٧٧٤ الطبعة الأولى دار الأندلس ١٩٩٦م

(٢) مفاتيح الغيب – الإمام / فخر الدين الرازى توفى ٦٠٦هـ – طبعة دار الغد العربى – الطبعة الأولى ١٩٩١م .

(٣) جامع البيان عن تأويل أى القرآن – الإمام ابن جرير الطبرى ت : ٣١٠ – الطبعة الثالثة – مكتبة ومطبعة مصطفى البابى ١٩٦٨م .

(٤) المحرز الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز – العلامة ابن عطية – الطبعة الأولى ١٩٨٤م

(٥) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان – الشيخ / إسماعيل حقى البروسوى – اختصار الشيخ محمد على الصابونى – طبعة دار الصابونى ١٩٨٨م .

(٦) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلاليين للدقائق الخفيفة – الشيخ سليمان بن عمر العجيلى (توفى ٤٢٠هـ) الشهير بالجمل – طبعة دار المنار .

(٧) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلاليين – الشيخ أحمد الصاوى – دار الفكر .

(٨) تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار – الإمام الشيخ / محمد عبده ، والشيخ محمد رشيد رضا ١٣٤٥هـ – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

(٩) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى – العلامة / محمود الألوسى – الطبعة المنيرية .

(١٠) تفسير الجلاليين بهامش المصحف الشريف – الطبعة الثانية – دار المعرفة بيروت لبنان ١٩٨٤م .

(١١) صفوة التفاسير – الشيخ محمد على الصابونى – الطبعة الرابعة – دار القرآن بيروت ١٩٨١م .

(١٢) عناية البيان فى تفسير القرآن – الشيخ محمود محمد حمزة وآخرون – دار إحياء التراث – قطر .

(١٣) فى ظلال القرآن – الأستاذ الشهيد / سيد قطب – دار الشروق – الطبعة العاشرة ١٤٠٣هـ

(١٤) الأساس فى التفسير – الأستاذ سعيد حوى – الطبعة الأولى – دار السلام للطباعة ١٩٨٥م .

(١٥) التفسير الواضح – الدكتور / محمد محمود حجازى – الطبعة العاشرة – دار التفسير ١٩٩٢م .

(١٦) تفسير جزء عم – الأستاذ محمد عبده – إدارة البحوث والثقافة بالأزهر الشريف .

(١٧) تفسير سورة الإخلاص لشيخ الإسلام ابن تيميه – تحقيق الدكتور / عبدالعلى عبدالحميد حامد دار الريان الأولى ١٩٧٧م .

(١٨) المنتخب فى تفسير القرآن الكريم – الطبعة الثامنة عشر – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٥م .

(١٩) المفردات فى غريب القرآن – للعلامة الراغب الأصفهانى – تحقيق محمد سيد كيلانى – دار المعرفة – بيروت لبنان .

(٢٠) عجائب القرآن – الإمام الفخر الرازى – تحقيق الأستاذ عبدالقادر عطا – دار الكتب الإسلامية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

(٢١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى – مكتبة دار الحديث – الطبعة الأولى ١٩٨٧م ، وطبعة مكتبة الغزالى .

(٢٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم – مجمع اللغة العربية – الطبعة الثانية – الهيئة العامة للتأليف ١٩٧٠م .

ثانيا : السنة النبوية المطهرة وعلومها

(٢٣) صحيح البخارى – الإمام محمد بن إسماعيل البخارى (ت ٢٥٦هـ) – طبعة المعاهد والشعب .

(٢٤) صحيح مسلم – الإمام مسلم بن الحجاج النيسابورى (ت ٣٦١هـ) طبعة الحلبى .

(٢٥) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام النووى (٦٨٦/٦٣١هـ) دار زهران للنشر والتوزيع – الناشر مطبعة الأنوار المحمدية .

(٢٦) سنن الدرامى – الإمام الكبير أبو محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن مهران الدرامى (ت ٢٢٥هـ) دار الكتب العلمية .

(٢٧) سنن ابن ماجة للحافظ أبى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى ابن ماجة (٣٧٥/٣٠٧هـ) – دار الريان للنشر ، ودار إحياء الكتب العربية علق عليه الأستاذ / محمد فؤاد عبدالباقى .

(٢٨) سنن الترمذى – الجامع الصغير للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى (٢٩٧/٢٠٩هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(٢٩) سنن أبو داؤد – الإمام الحافظ المصنف المتقن أبى داؤد سليمان بن الأشعث السجثتانى (٢٧٥/٢٠٢هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – راجعه محمد محى الدين عبدالحميد .

(٣٠) مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل – شرحه ووضع فهارسه أحمد شاكر – دار المعارف مصر ١٩٥٥م – وطبعة دار الفكر .

(٣١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان / جمعة – الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى – راجعه الدكتور / عبدالستار أبو غدة الكويت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

(٣٢) الهداية الربانية – شرح الأربعين النووية – الأستاذ / عبدالخالق حسن الشريف – الطبعة الأولى – دار النشر والتوزيع الإسلامية .

(٣٣) المنهل العذب الفرات فى شرح الأحاديث الإمهات – د/ عبدالعال أحمد عبدالعال – الطبعة الأولى جـ٧ مطبعة الأمانة ١٩٩١م .

(٣٤) من وصايا الرسول للشيخ طه عبدالله العفيفى – الدار الذهبية – دار الاعتصام للطباعة الإسلامية .



ثالثا : المعاجم العربية

(٣٥) لسان العرب المحيط – ابن منظور – تقديم العلامة الشيخ / عبدالله العليلى – إعداد يوسف ا لخياط – دار لسان العرب – بيروت .

(٣٦) مختار الصحاح – الشيخ الإمام محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازى – الطبعة الأولى – المطبعة الأميرية ١٩٠٥ .

(٣٧) أساس البلاغة – الزمخشرى – دار الفكر بيروت .

(٣٨) تهذيب اللغة – أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى – الطبعة الأولى (٢٨٢/٣٧٠هـ) الدار المصرية للتأليف والترجمة .

(٣٩) قطر المحيط – المعلم بطرس البستانى – مكتبة لبنان طبعة ١٨٦٩ .

(٤٠) المصباح المنير – العلامة أحمد بن محمد بن على المقريزى ت : ٧٧٠هـ – الطبعة الثانية – المطبعة الكبرى الأميرية ١٩٠٦م .

(٤١) مختار القاموس – الأستاذ / الطاهر أحمد الزاوى الطرابلسى – الطبعة الأولى – دار لسان العرب ١٩٦٤م .

(٤٢) المنجد فى اللغة والادب والعلوم –الأب لويس معلوف – الطبعة التاسعة – المطبعة الكاثولوكية بيروت ١٩١٣م .

(٤٣) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية – الطبعة الثالثة – مطبعة الأوفست بشركة الاعلانات الشرقية ١٩٨٥م .

(٤٤) المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية ١٤١٢هـ /١٩٩٢م ، وطبعة ١٩٩٤م .

(٤٥) المعجم الفلسفى – الدكتور / جميل صليبا – دار الكتاب اللبنانى – الطبعة الأولى ١٩٧٤م .

(٤٦) المعجم الفلسفى مجمع اللغة العربية – الطبعة الثانية ١٩٦٦م .

(٤٧) القاموس السياسى – الأستاذ / أحمد عطية الله – الطبعة الثانية – دار النهضة العربية ١٩٦٨م .

(٤٨) معجم البلدان – للشيخ الإمام شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى الرومى البغدادى – الجزء الأول – تحقيق فريد عبدالعزيز الجندى – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٠م .

(٤٩) التعريفات – الشريف الجرجانى – طبعة مصطفى الحلبى .

الموسوعات

(٥٠) طونى مفرج – موسوعة المجتمعات الدينية فى الشرق الأوسط دار نوبليس بيروت لبنان – الطبعة الأولى ١٩٩٥م .

(٥١) عبدالوهاب المسيرى – موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية – الطبعة الأولى ١٩٩٩م

(٥٢) الدكتور / عبدالمنعم ا لحفنى – الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية – مكتبة مدبولى القاهرة – الطبعة الأولى ١٩٨٠م .

(٥٣) الدكتور / أسعد رزق – موسوعة علم النفس – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – الطبعة الأولى ١٩٧٩م .

(٥٤) دائرة معارف القرن العشرين – محمد فريد وجدى جـ١٠ – مطبعة معارف القرن العشرين ١٣٤٣هـ .



(٥٥) الدكتور بطرس عبدالملك وآخرون – قاموس الكتاب المقدس – الطبعة التاسعة – دار الثقافة ١٩٩٤م .

(٥٦) الأب صبحى حموى اليسوعى – معجم الإيمان المسيحى الطبعة الأولى دار المشرق بيروت ١٨٩٤م .

(٥٧) التفسير التطبيقى للكتاب المقدس – مجموعة من كتاب اللاهوت تعريب شركة مستر القاهرة الطبعة الثانية ١٩٩٨م .

(٥٨) معجم اللاهوت الكتابى الطبعة الثانية – دار المشرق لبنان بيروت ١٩٨٦م .

(٥٩) دائرة المعارف اللاهوتية للدكتور القس حبيب سعيد وآخرون – الطبعة الثانية ١٩٩٥ دار الثقافة .

(٦٠) وهيب عبدالملك – القاموس الموجز للكتاب المقدس – مكتبة الاخوة ١٩٨٣م .

(٦١) الدكتور / ديفيد اتكنسون – تفسير الكتاب المقدس – ا لطبعة الأولى دار الكنيسة الأسقفية ١٩٩٩م – ترجمة فلكس نسيم .

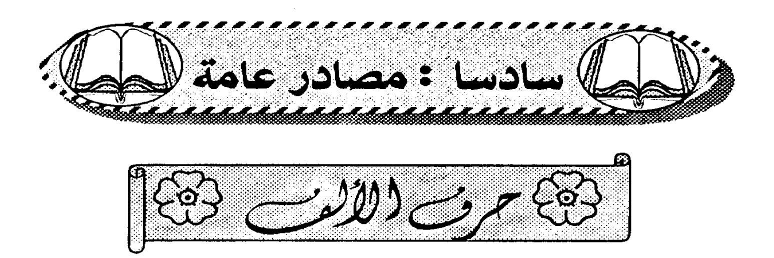
خامسا : الرسائل والمخطوطات

(٦٢) الدكتور / محمود محمد مزروعة – الدين وحاجة الإنسان إليه – دكتوراه مخطوطة بكلية أصول الدين – القاهرة .

(٦٣) الدكتور / إبراهيم عبدالحميد سلامة – القرآن وعقائد أهل الكتاب – رسالة دكتوراة أصول الدين القاهرة .

(٦٤) الدكتور / فتحى محمد الزغبى – تأثر اليهودية بالأديان الوثنية – رسالة دكتوراة – كلية أصول الدين طنطا ، ورجعت اليها فى المطبوع ، ولذا سأثبتها هنا فقط .

(٦٥) الدكتور / محمد حسينى موسى محمد الغزالى – عقيدتا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية – رسالة ماجستير مخطوطة بكلية أصول الدين القاهرة ١٩٨٢م .



❁ ابن القيم الجوزية - الإمام ٦٩٠/ ٧٥١

(٦٦) مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين – طبعة الشيخ الصبان

❁ الايجى - العلامة عضد الدين

(٦٧) المواقف – الموقف الخامس – مكتبة المتنبى .

❁ أبو زهرة - الشيخ محمد

(٦٨) الديانات القديمة – دار الفكر العربى ١٩٦٥م .

(٦٩) خاتم النبيين – العهد المكى ١٤٠٠هـ – المؤتمر العالمى الثالث للسيرة والسنة النبوية قطر

❁ أرمان - الأستاذ / أدولف

(٧٠) مصر القديمة – نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة – ترجمة الدكتور عبدالمنعم أبو بكر ، والدكتور أنور شكرى طبعة مصطفى الحلبى – بدون تاريخ – إشراف وزارة المعارف العمومية .

❁ إبراهيم - دكتور نجيب ميخائيل

(٧١) مصر والشرق الأدنى القديم –الطبعة الأولى دار المعارف ١٩٦١م .

❁ ابن ميمون - الفيلسوف الأندلسى موسى (١١٣٥/١٢٠٥)

(٧٢) دلالة الحائرين – ترجمة الدكتور حسين أتاى – مكتبة الثقافة الدينية

❁ ابن الجوزى - الإمام

(٧٣) أعمار الأعيان – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – تحقيق الدكتور محمود محمد الطناحى ١٩٩٠ .

❁ ابن رشد - العلامة قاضى القضاة

(٧٤) الكليات فى الطب – طبعة المجلس الأعلى للثقافة – ١٩٨٩م – تعليق الدكتور / سعيد شيبان ، عمار الطالبى .

(٧٥) مناهج الأدلة فى عقائد أهل الملة – تحقيق محمود قاسم طبعة ٣ – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٩م .

❁ أبو زيد - الدكتور جبر عز الرجال السيد

(٧٦) خصائص النفس الإنسانية فى القرآن الكريم – الطبعة الأولى مكتبة الإيمان ١٩٩٨

❁ إبراهيم - الدكتور / محمد عبدالعاطى

(٧٧) الصحوة فى علم النفس – الدعوى – الطبعة الأولى ١٤١٢ ١٩٩٢م

❁ ابن حزم - الإمام أبو محمد على بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ)

(٧٨) الفصل فى الملل والأهواء والنحل – مكتبة محمد على صبيح ١٩٦٤م

❁ ابن عبدربه - العلامة أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسى

(٧٩) العقد الفريد – شرحه أحمد أمين ، و أحمد الأبيارى – لجنة التأليف والترجمة ١٩٤٠

❁ ابن حمزة - العلامة سعد الدين سعد الأزهرى المنياوى

(٨٠) الجواب الظريف عن السؤال فى فن التصريف – الطبعة الأولى – المطبعة الجمالية بحارة الروم ١٣٢٢هـ .

حرف الباء

❁ **بيصار - الدكتور محمد**

(٨١) العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع – الطبعة الثالثة – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢م .

❁ **باشميل - الأستاذ محمد أحمد**

(٨٢) الإسلام ونظرية دارون – الطبعة الثالثة دار الفتح للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٤م .

❁ **بارندر - جفرى**

(٨٣) المعتقدات الدينية لدى الشعوب – ترجمة الدكتور إمام عبدالفتاح – الكويت – عالم المعرفة العدد ٧٣ سنة ١٩٩٣م

❁ **برستيد - جيمس هنرى**

(٨٤) فجر الضمير – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م

❁ **برانا تيس - الأب - أى بى**

(٨٥) فضائح التلمود – إعداد زهرى الفاتح – دار النفائس بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٥م .

❁ **البهى - الدكتور محمد**

(٨٦) الجانب الإلهى فى التفكير الإسلامى – الطبعة السادسة مكتبة وهبه ١٩٨٢م

❁ **البوصيرى - الإمام**

(٨٧) ديوان البوصيرى – القصيدة الميمية .

❁ **الباجورى - العلامة الشيخ إبراهيم**

(٨٨) حاشية الباجورى على جوهرة التوحيد – الطبعة الأميرية ، وعليها تقريرات العلامة الشيخ أحمد الأجهورى ١٩٣٨ – الطبعة الأخيرة

❁ **بتوستا - أ . ب**

(٨٩) دراسات فى الفكر اليهودى – ترجمة ناهد يسرى – طبعة دار الرشيد ١٩٧١م

حرف الجيم

❁ **الجزائرى - أبو جابر**

(٩٠) عقيدة المؤمن – مكتبة الكليات الأزهرية – الطبعة الأولى ١٩٧٧م .

❁ **جاد المولي - الشيخ محمد أحمد وآخرون**

(٩١) قصص القرآن – الطبعة العاشرة ١٩٩٦م .

❁ **جرجس - الدكتور / صبرى**

(٩٢) التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى – عالم الكتاب الطبعة الأولى ١٩٧٠م

❁ **جرجس - القس / ملاك**

(٩٣) ألوهية يسوع – طبعة دار منش ١٩٣٧م القاهرة

❁ **جارودى - رجاء**

(٩٤) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية – ترجمة قسم الترجمة بدار الغد – سلسلة كتاب دار الغد .



❁ **الحصرى - الدكتور / إبراهيم**

(٩٥) دراسات فى الملل والنحل – كلية أصول دين طنطا .

❁ **الحينى - الدكتور / جابر عبدالعال**

(٩٦) فى العقائد والأديان – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م .

❁ **حجازى - الدكتور / عوض الله جاد**

(٩٧) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام – دار الطباعة المحمدية – الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٣م .

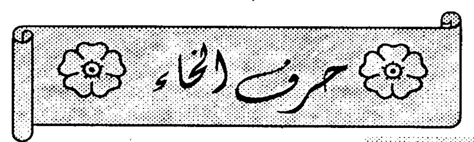
(٩٨) المرشد السليم فى المنطق الحديث والقديم – الطبعة السادسة – دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٨٣م القاهرة .

❁ حسب الله - الدكتور / على

(٩٩) أصول التشريع الإسلامى – الطبعة الخامسة – دار المعارف – مصر .

❁ الحديدى - الدكتور / محمد أبو النور

(١٠٠) عصمة الأنبياء ورفع الشبه الواردة عليهم – مطبعة الأمانة – الطبعة الأولى ١٩٧٩م .



❁ الخطيب - الأستاذ / عبدالكريم

(١٠١) المسيح فى القرآن والتوراة والإنجيل – الطبعة الأولى – دار الكتب الحديثة ١٩٦٥م

(١٠٢) قضية الألوهية بين الفلسفة والدين الله ذاتا وموضوعا – الطبعة الثالثة دار المعرفة سنة ١٩٧٥م .

❁ خان - الأستاذ / ظفر الإسلام

(١٠٣) التلمود تاريخه وتعاليمه – الطبعة السادسة ١٩٨٥م بيروت .

❁ خميس - الدكتور / سليمان سليمان

(١٠٤) نحو عقيدة قرآنية – مطبعة عطايا القاهرة – الطبعة الأولى ١٩٦٤م .

❁ خليل - الأستاذ / إبراهيم

(١٠٥) محاضرات فى مقارنة الديان – دار المنار – الطبعة الثانية ١٩٩٢م .



❁ ديورانت - الدكتور / ول

(١٠٦) قصة الحضارة – ترجمة محمد بدران – جامعة الدول العربية



❁ الرافعى - الأستاذ / مصطفى صادق

(١٠٧) وحى القلم – الطبعة الثالثة – مطبعة الاستقامة ١٩٤١م

❁ ربيع - الدكتور / يحيى محمد على

(١٠٨) الكتب المقدسة بين الصحة والتخريب – دار الوفـاء للطباعـة والنشر – الطبعـة الأولى سنة ١٩٩٤م

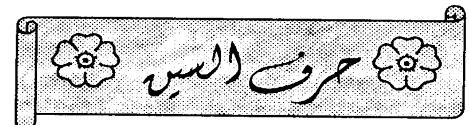


❁ زاهر - الدكتور / رفقى

(١٠٩) أوهام الماركسية – الطبعة الأولى –دار زاهر للنشر والتوزيع ١٩٩٦م .

❁ زهران - الدكتور / محمد على

(١١٠) إنجيل يوحنا فى الميزان – الطبعة الأولى – دار الأرقم ١٩٩٢م .



❁ سابق - الشيخ / السيد

(١١١) العقائد الإسلامية – الطبعة الثالثة – دار إحياء التراث العربى – دار الكتب الحديثة

❁ السعدنى - الأستاذ / مصطفى

(١١٢) الفكر الصهيونى والسياسة اليهودية – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

❁ سعيد - الأستاذ القس / حبيب

(١١٣) أديان العالم – دار التأليف والنشر – الكنيسة الأسقفية ١٩٧٧م

❁ سعفان - الدكتور / كامل

(١١٤) اليهود تاريخا وعقيدة – سلسلة ثقافة شهرية العدد ٣٦٤ – دار الهلال إبريل ١٩٨١م

● سيلر - الدكتور / روبرت

(١١٥) التلمود فى حدود التعاريف – طبعة لندن ١٩٢٢م .

● السواح - الأستاذ / فراس

(١١٦) أرم دمشق وإسرائيل فى التاريخ والتاريخ التوراتى – ط الأولى ١٩٩٥م – منشورات دار علاء الدين – دمشق .

● السيوطى - العلامة جلال الدين

(١١٧) جهد القريحة فى توجيه النصيحة المعروف بصون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام – تحقيق السيدة / سعاد عبدالرازق – طبعة مجمع البحوث الإسلامية



● الشهرستانى - الإمام / أبو الفتح محمد بن عبدالكريم (٥٤٨/٤٧٩هـ)

(١١٨) الملل والنحل – تحقيق الأستاذ / عبدالعزيز الوكيل – طبعة الحلبى وطبعة أخرى تحقيق الأستاذ / محمد سيد كيلانى .

● شلتوت - شيخ الإسلام / محمود

(١١٩) الإسلام عقيدة وشريعة – دار الشروق – الطبعة السادسة عشر ١٩٩٠م .

● الشرقاوى - الدكتور / محمد عبدالله

(١٢٠) الكنز المرصود فى فضائح التلمود – مكتبة الوعى الإسلامى ١٩٩٠م .

● الشيمى - الدكتور / على سيد عبدالحميد

(١٢١) اليهودية بين المادية والروحية – دراسة مقارنة –الطبعة الأولى ١٩٩٦م

● الشوادفى - - الشيخ / إبراهيم عطية

(١٢٢) دراسات فى التوراة من أبحاث المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية المؤتمر العالمى الرابع للسيرة والسنة النبوية .

● الشرقاوى - الأستاذ / محمود

(١٢٣) التفسير الدينى للتاريخ – الجزء الأول كتاب الشعب – مطبوعات دار الشعب .



❁ صالح - الدكتور / سعد الدين السيد

(١٢٤) مدخل لدراسة الأديان والملل والنحل – الطبعة الأولى ١٩٩١م .

❁ صبرى - الأستاذ / محمد

(١٢٥) التلمود شريعة بنى إسرائيل حقائق ووقائع – طبعة مؤسسة دار الهلال .



❁ طنطاوى - الدكتور شيخ الإسلام / محمد سيد

(١٢٦) بنوا إسرائيل فى القرآن والسنة – الزهراء للطباعة .

❁ الطير - الشيخ / مصطفى محمد الحديدى

(١٢٧) أقباس من نور الحق – الجزء الأول – سلسلة مجمع البحوث الإسلامية – السنة التاسعة العدد ٨٦ لسنة ١٩٧٧م – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية .

❁ طعيمة - الأستاذ / صابر عبدالرحمن

(١٢٨) الماسونية ذلك العالم المجهول – دار الجيل بيروت ١٩٧٥م .

(١٢٩) التراث الإسرائيلى فى العهد القديم وموقف الإسلام منه – دار الجيل بيروت ١٩٧٩م.

❁ الطويل - الدكتور / السيد رزق

(١٣٠) بنو إسرائيل فى القرآن تاريخ وتحقيق دار المعارف مصر بدون تاريخ



❁ ظاظا - الدكتور / حسن

(١٣١) الفكر الدينى الإسرائيلى أطواره ومذاهبه – معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١م

حرف العين

❁ **العقل - الدكتور / ناصر عبدالكريم**

(١٣٢) مجمل أصول أهل السنة فى العقيدة ١٩٩٢م .

❁ **عبود - الدكتور / عبدالغنى**

(١٣٣) العقيدة الإسلامية والأيدلوجيات المعاصرة – الطبعة الثانية

❁ **عبدالمنان - الأستاذ / عكاشة**

(١٣٤) عبادة الأوثان – مكتبة التراث الإسلامى ١٩٩٠م .

❁ **على - الدكتور / محمد أمان**

(١٣٥) الصفات الإلهية فى الكتاب والسنة –دار التقوى .

❁ **عزيز - الدكتور / عبدالغفار محمد وآخرون**

(١٣٦) الدين والإنسان – دراسات فى الأديان والمذاهب القديمة – الطبعة الأولى – دار الفارق الحديثة سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

❁ **العقاد - الأستاذ / عباس محمود**

(١٣٧) الله – كتاب فى نشأة العقيدة الإلهية – دار المعارف – الطبعة الثامنة ١٩٨٠م .

(١٣٨) إبراهيم أبو الأنبياء – دار الهلال بيروت .

❁ **عبدالوهاب - المهندس / أحمد**

(١٣٩) النبوة والأنبياء فى اليهودية والمسيحية والإسلام – مكتبة وهبة – الطبعة الأولى ١٩٧٩

❁ **عزت - الدكتور / محمد**

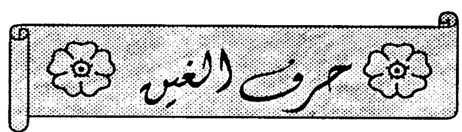
(١٤٠) اليهود من خلال مصادرهم – مطبعة الإستاد – الطبعة الأولى ١٩٦٢م .

❁ **عاطف الزين - الأستاذ / سميح**

(١٤١) علم النفس ومعرفة النفس الإنسانية فى الكتاب والسنة – الطبعة الأولى – مجمع البيان – دار الكتاب اللبنانى ١٩٩١م .

❁ عوض الله - الأستاذ / حامد

(١٤٢) الألوهية وفكرة العصر أهناك إله ؟ المركز الثقافى الجامعى - سلسلة الدراسات العلمية



❁ الغزالي - حجة الإسلام - الإمام / أبو حامد محمد بن محمد (٤٥٠/ ٥٠٢هـ)

(١٤٣) إلجام العوام عن علم الكلام - ضبطه وحققه الأستاذ / مصطفى رياض - منشورات دار الحكمة بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

(١٤٤) ميزان العمل - طبعة الكليات الأزهرية

(١٤٥) إحياء علوم الدين - الطبعة الأولى - مكتبة الإيمان ١٩٩٦م .

❁ الغزالي - الشيخ / محمد

(١٤٦) عقيدة المسلم - دار الدعوة - الطبعة الثالثة ١٤١١هـ .

❁ الغزالي - الدكتور / محمد حسينى موسى محمد

(١٤٧) المدخل التام لعلم الكلام - مطبعة آل مخزنجى - الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

(١٤٨) حفيف الأفنان بين الملل والنحل والأديان - الجزء الأول - مطبعة الهدى ١٩٩٧م .

(١٤٩) حبو الوليد فى علم التوحيد - الطبعة الأولى - مطبعة شروق ١٩٩٦م

(١٥٠) المدخل والحصاد فى علم التوحيد - مطبعة آل مخزنجى - ط الأولى ١٩٩٨م .

(١٥١) الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى - ط السادسة مطبعة آل مخزنجى ١٩٩٨

(١٥٢) منهج السلف فى إثبات وجود الله - طبعة آل بسيونى - ط الثالثة ١٩٩٧م .

(١٥٣) خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة - مطبعة صنعاء - ط الأولى ١٩٩٩م .

(١٥٤) اليهودية من الأرض إلى الاعتقاد - طبعة آل بسيونى ١٩٩٧م .



❁ **فاخر - الدكتور / عبدالعزيز**

(١٥٥) توضيح النحو – الجزء الثانى ١٩٩٨م .

❁ **فريد الأستاذ / أحمد**

(١٥٦) تيسير المنان فى قصص القرآن – دار ابن الجوزية – السعودية .

❁ **فودة- الأستاذ / عبدالرحيم**

(١٥٧) قصص بنى إسرائيل من معانى القرآن – الدار القومية للطباعة .



❁ **قراعة - الأستاذة / سنية**

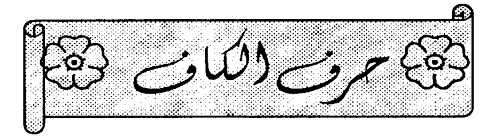
(١٥٨) الرسالات الكبرى – مكتبة الصحافة الدولى للصحافة والنشر ١٩٩٦م .

❁ **قنديل - الدكتور / عبدالرازق أحمد**

(١٥٩) الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى – دار التراث ١٩٨٤م .

❁ **قناوى - الدكتور / محيى الدين عبداللطيف وآخرون**

(١٦٠) الفيزياء المقرر على دور المعلمين – الجهاز المركزى للكتب الجامعية ١٩٨٧/١٩٨٨م .



❁ **كولر - جون**

(١٦١) الفكر الشرقى القديم – عالم المعرفة – ترجمة / كامل يوسف حسين – الكويت العدد ١٩٩

❁ **كولز - الدكتور / اسبنسر**

(١٦٢) اعرف نفسك – ترجمة الدكتور / فتحى الشنيطى – طبعة الدراسات النفسية

❁ كامل - الدكتور / مراد

(١٦٣) إسرائيل فى التوراة والإنجيل – دار المعرفة – الطبعة الثانية ١٦٩٧م معهد الدراسات العربية .



❁ لوبون - الدكتور / جوستاف

(١٦٤) اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى – تعريب / عادل زعيتر – طبعة عيسى البابلى الحلبى ١٩٧٠م .

❁ لوميرة - الأستاذ / أندريه

(١٦٥) تاريخ الشعب العبرى – الطبعة الأولى – عويدات للنشر والطباعة بيروت لبنان ١٩٩٩

❁ اللاقانى - العلامة / إبراهيم

(١٦٦) جوهرة التوحيد – مجموع مهمات المتون – طبعة الحلبى – الطبعة الرابعة سنة ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م

❁ ليوتا كاسيل

(١٦٧) التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير – ترجمة حسان ميخائيل إسحاق – الطبعة الأولى سنة ١٩٩٤م .



❁ مشرقى - القس / صموائيل

(١٦٨) الكتاب المقدس يتحدى مشاكل الاعتراضات – طبعة القاهرة الكتاب الثامن والأربعون – مطبعة الأمانة ١٩٠٦م .

(١٦٩) الإلهيات الكتاب الثالث والستون – الطبعة الثانية ١٩٨٧م – الكنيسة المركزية للمجمع الخمسينى .

❁ مزروعة - الدكتور / محمود محمد

(١٧٠) دراسات فى اليهودية – الطبعة الأولى – دار الطباعة المحمدية ١٩٧٧م .

❁ مهران - الدكتور / محمد بيومى

(١٧١) دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم – مطبعة الأمانة ١٩٧٣م .

❁ مختار - الدكتورة / سهير محمد

(١٧٢) التجسيم عند المسلمين مذهب الكرامية كلية البنات ١٩٧١م

❁ المرزوقى - الشيخ / السيد أحمد

(١٧٣) منظوم عقيدة العوام – صلب كتاب نور الظلام – طبعة الحلبى الثانية ١٩٣٦م .

❁ مظهر - الأستاذ / سليمان

(١٧٤) قصة العقائد بين الأرض والسماء – دار النهضة العربية ١٩٦٢م .

❁ محمود - الدكتور / على عبدالحليم محمود .

(١٧٥) مع العقيدة والحركة والمنهج فى خير أمة أخرجت للناس الطبعة الأولى دار الوفاء ١٩٩٢م .

❁ محمود - الدكتور / مصطفى

(١٧٦) التوراة دار المعارف مصر .

❁ مراد - الدكتور / سعيد

(١٧٧) مدرسة البصرة الاعتزالية – مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٢م .



❁ نصار - الدكتور / محمد عبدالستار

(١٧٨) المدرسة السلفية وموقف رجالها من علمى المنطق والكلام – الطبعة الأولى ١٩٧٩م

❁ الندوى - العلامة الشيخ / أبو الحسن

(١٧٩) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – الطبعة العاشرة – دار النصر للطباعة ١٩٩٤م .

❁ النجار - الشيخ / عبدالوهاب

(١٨٠) قصص الأنبياء – مكتبة دار التراث – الطبعة الثانية ١٩٨٥م .

❁ نويهض - الأستاذ / حجاج

(١٨١) بروتوكولات حكماء صهيون نصوصها ورموزها وأصولها التلمودية – الطبعة الرابعة – دار الاستقلال بيروت ١٩٩٦م .

❁ ندا - الأستاذ / محمد

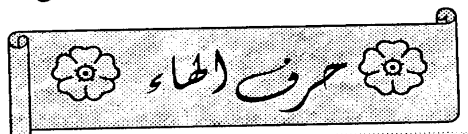
(١٨٢) جنايات بنى إسرائيل على الدين والمجتمع – دار اللواء الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

❁ النمر - الأستاذ / عبدالمنعم

(١٨٣) تاريخ الإسلام فى الهند – الطبعة الأولى – دار العهد الجدي للطباعة سنة (١٣٧٨هـ/١٩٧٩م)

❁ نووى الشافعى - الشيخ محمد

(١٨٤) نور الظلام شرح عقيدة العرام – الطبعة الثانية طبعة الحلبى ١٩٣٦ م .



❁ الهاشمى - الدكتور / محمد فؤاد

(١٨٥) الأديان فى كفة الميزان – دار الحرية ١٩٨٦م .

❁ الهندى - الشيخ / رحمة الله

(١٨٦) إظهار الحق – ط الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية السعودية ١٩٩٢م .

❁ الهوارى - الدكتور / حسن حسين

(١٨٧) دراسات فى اليهودية – مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٣م .

❁ الهراوى - عبدالسميع

(١٨٨) الصهيونية بين الدين والسياسة – الهيئة المصرية العامة للكتاب .

حرف الواو

❁ **وافى - الدكتور / على عبدالواحد وافى**

(١٨٩) الأدب اليونانى القديم دلالته على العقائد اليونانية – دار نهضة مصر ١٩٧٩م

(١٩٠) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام – مكتبة نهضة مصر ١٩٨٤م .

(١٩١) اليهود واليهودية – مكتبة غريب ١٩٧٠ .

❁ **وليميا - القس / نصرى**

(١٩٢) التلمود شروح وتعليقات – طبعة استراليا ١٩٣١م .



❁ **يوسف - الدكتور / أحمد عبدالحميد**

(١٩٣) مصر فى القرآن والسنة – دار المعارف الطبعة الثالثة ١٩٩١م .

❁ **الايجى - العلامة عضد الدين**

(١٩٤) المواقف فى علم الكلام – مكتبة المتنبى .

(١٩٥) **مراجع ثانوية**

(١٩٦) التوراة تاريخها وغايتها – ترجمة سهيل ديب – دار النفائس الطبعة الأولى ١٩٧٢م

(١٩٧) دراسات فى التراث اليهودى – طبعة آل بسيونى – ط الأولى ١٩٩٦م .

(١٩٨) مختصر منهاج القاصدين – ابن قدامة مكتبة دار لبنان مؤسسة علوم القرآن

(١٩٩) الكنز المرصود فى قواعد التلمود – ترجمة الأستاذ يوسف نصر الله ط الأولى – دار القلم – دمشق ١٩٨٧م .

(٢٠٠) دراسات فى علم النفس الحديث – طبعة أبو الهدى الأولى ١٩٩١م .

فهرست الموضوعات